بداية الطريق

جمع وإعداد
الدكتور/ أحمد مطهر الشامي

مركز الشهداء
للأعمال الثقافية والفنية

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ- ٢٠٢٣م

مركز الشهداء للأعمال الثقافية والفنية

جميع الحقوق محفوظة

مركز الشهداء
للأعمال الثقافية والفنية

المركز الرئيسي: اليمن - صعدة
للتواصل: ٧٣٣١٠٠٧٥٣ - ٧٧١٧٦٦١١١
البريد الإلكتروني: shuhda.center@gmail.com

فرع صنعاء: الجراف - خط المطار
للتواصل: ٧٧١٧٦٦٢٢٢ - ٧١٤٧٧٠٥٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

كانت فترات عصيبة ومقلقة بالنسبة لي كشاب في ريعان شبابه يبحث عما يريح ضميره وقلبه في عالم الأفكار والمذاهب، ومررت حينها بتجارب قاسية وعشت فيها لحظات مريرة، وكان قلبي معلقاً ما بين اليأس والأمل؛ اليأس من الوصول إلى الحقيقة في زمنٍ التبس فيه الحق بالباطل وأصبح للباطل جولات وصولات ولم يعد للحق وأهله حضور، والأمل في غدٍ مشرق يستمد نوره من الله الذي وعد بالتمكين والنصر لأهل الحق والصدق، وسبحت بتفكيري هنا وهناك عساه يجد مهبطاً آمناً يحط فيه رحاله ويستريح فيه من سفره، كانت الأفكار من هنا وهناك تزاحم تفكيري، وكانت العقائد من هنا وهناك تزاحم فطرتي، ولكن كانت هناك ثقافة ومشروع، وكانت هناك عقيدة فرضت نفسها بنفسها وأثبتت وجودها بذاتها كان لها صدىً قويٌّ في وجداني وفطرتي، إنه المشروع القرآني -ثقافة ومشروع ورثة الكتاب أئمة أهل البيت عليهم السلام- عند ذلك حططت رحالي وهبطت من رحلة طويلة لطالما أنهكَتْ ضميري ووجداني، وعندها وجدت أمة من الناس لم تصل إلى ما وصلتُ إليه؛ وجدتهم يُسيَّرُون بأفكار سقيمة، ووجدتهم يعانون ويقاسون ويمرون بتجارب قاسية سبق أن مررتُ بها، فقلت لنفسي هيهات أن أنعم بالحق والحقيقة وهناك أمة حائرة وإنسانية ممزقة ما زالت تتخبط في متاهات الأفكار والعقائد السقيمة! لم لا أختصر لهم الطريق وألقي اليهم بخلاصة تجربتي ومعايشتي بدلاً من التخبط والمرور بنفس التجارب حتى تتفرغ لما هو مطلوب منها كأمة مستخلفة في الارض وداعية إلى الله سبحانه وتعالى؟ عند ذلك فكرت أن أكتب عن هذا المشروع القرآني باعتباره المشروع الوحيد القادر على لَمّ شمل هذه الأمة وباعتباره يمثل فطرةَ ونبضَ هذه الانسانية فكان هذا الكتاب.

ولا شك أن المتابع لقضية المذاهب في اليمن يجد أن المذهب الوهابي التكفيري يمثل عنصرا دخيلا في نسيج المجتمع اليمني الفكري والثقافي، واتضح بأنه فكر

مزروع لخدمة الغزاة، والعدوان السعودي خير دليل على أن التكفيريين الوهابيين أداتها الداخلية لقتل أبناء الشعب اليمني، ولا يعني هذا بحال من الأحوال التعبئة والاستنفار لاستئصال جذور هذا المذهب الدموي بالقوة فحسب بمقدار ما يحتاج الأمر كذلك إلى معالجة وتنوير ثقافي وفكري لمجتمعنا عن خطورة الوهابية على وحدة صف الأمة، وباعتبارها نبتة خبيثة زُرعت من قبل الاستعمار الغربي لإثارة نعرات داخلية بين المسلمين، وإيجاد المبرر للتدخل في شؤون المسلمين بحجة الإرهاب.

ولا شك أن أبناء اليمن بشريحتيه الزيدية والشافعية قد عانوا من صلف الوهابية بشقيها السلفي والاصلاحي، والأخيرة تعتبر في عصرنا هذا ضحية المنهج الوهابي السعودي رغم حداثة سنها في بلادنا لدرجة تصل إلى اقتحام المساجد وضرب القيمين عليها، بل في بعض الأحيان تصل المسألة إلى القتل والتفجير كما حصل في جامعي الحشوش وبدر وكذلك جامع المؤيد في صنعاء، ولأجل هذا السبب ايضاً اقتصرت على مناقشة الأفكار الوهابية مقارنة بمنهج ورثة الكتاب من أهل البيت عليهم السلام حتى تعلم أنها مقارنة بين النور والظلام.

وقبل البداية أود أن أنوه للتالي:

ليس من منهجيتنا إصدار الأحكام بالتكفير والتفسيق على أحد من الأمة.

الطريقة الحكيمة في مواجهة مجموعة من الأفكار المنحرفة والنظريات السيئة أن نتحدث عن الفكرة مباشرة؛ لأن الخطورة تكمن فيها – خصوصا إذا تحولت وتمثلت في جماعات أو أفراد – ولا يليق بنا أن نلصقها بجميع الناس.

العنوان الرئيسي الذي سمانا به الله هو الإسلام فلا ينبغي أن نتخندق خلف عناوين مذهبية وبالذات في هذه المرحلة التي يريد فيها الأمريكيون والإسرائيليون إثارة النعرات الطائفية والمذهبية.

❖ ❖ ❖

البداية

كانت البداية عندما كنت طالبا ثانويا في جمهورية السودان الشقيقة، وفي تلك الفترة بدأت أشعر بإقبال شديد على الدين، وبدأ يشغل حيزا كبيرا من تفكيري إن لم يكن هو الهمَّ الوحيد الذي كنت أفكر به، وكنت أتلقف الدروس والمواعظ والمعلومات الدينية بنهم شديد، ولم أكن آنذاك ممن يملك رصيدا معرفيا عن الاتجاهات الإسلامية المختلفة يعينني في غربلة وتصفية ما أتلقاه من معلومات دينية سوى النزر اليسير من المعلومات عن المذهب الزيدي الذي كنت أنتمي له انتماء شكليا، فكنت آخذ كل معلومة دينية بثقة وتصديق دون مراعاة جانب التدبر والتأمل.

ولما كانت الثقافة الدينية العامة في هذا البلد العربي هي ثقافة القطب الواحد -التيار الوهابي بشقيه السلفي والإخواني- انعكس جزء يسير من هذه الثقافة على تفكيري وصبغَتْه بصبغة سنية، وإن لم أكن آنذاك قد تعمقت في أفكارهم ومبادئهم إلا النزر اليسير جدا، ورغم أن ثقافتي كانت سطحية جدا إلا أنني كنت أتلمس أن هناك صراعا إسلاميا إسلاميا، وكانت الصولة والجولة في تلك البلاد للحركة الوهابية، وكانت هناك صيحات من هنا وهناك تمثل السنة المتصوفة الذين يوجدون بكثرة في أطراف تلك البلاد، ولكنني لم أنشغل بهم كثيرا؛ ربما لأنهم كانوا بعيدين عن واقع الحياة ومنشغلين عن حياة الناس بحياة خاصة بهم في الزوايا والأربطة، فتركَت البلاد للوهابية تنشر أفكارها دون وجود من يقف في وجهها، وحقا كان الوهابيون الحنابلة غليظون على من خالفهم من أبناء المذاهب الأخرى، وذلك ولّد رد فعل عنيفًا من أبناء المذاهب الأخرى ضد الوهابية وأفكارها، وأصبحت تلك الأمة تعيش حالة من الصراع الفكري المرير.

دارت الأيام والليالي والتقى والدي الذي كان قنصلا في السفارة اليمنية في السودان بالشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه، وأخبرتني فيما بعد والدتي الكريمة بأن الوالد استضاف مجموعة من الطلاب اليمنيين في السودان في بيتنا في وجبة طعام وكان السيد حسين رضوان الله عليه بين هؤلاء الطلاب, وشخصيا لم أعلم آنذاك من هو السيد حسين, إلا أنني ما زلت أذكر أن والدي حصل

على هدية من الشهيد القائد عبارة عن كتاب: (تحرير الأفكار) للمولى العلامة بدر الدين الحوثي، ووجدت والدي مسرورا جدا بالكتاب عندما التقيته بعدها، وأخبرني بأنه كتاب لعلامة زيدي عظيم.

اطلعت على الكتاب، ولما كانت ثقافتنا العامة قد تأثرت بالثقافة السنية التي غزت المدارس في اليمن والسودان انصدمت من بعض ما ورد فيه، فقلت لوالدي: هذا كتاب رافضي يا أبي، كانت ردة فعل والدي عنيفة وحكيمة، وحذرني من مسلك النواصب، وأن أحذر من الوهابية والمبغضين لأهل البيت.

لم يكن لدى والدي القدرة الكاملة في الإقناع، لكن تصرفه العفوي معي كان له دور في بذر وتنمية الشعور بالانتماء ولو بشكل محدود للمذهب الزيدي ولأهل البيت عليهم السلام.

انتهت فترة عمل الوالد ضمن البعثة الدبلوماسية اليمنية في تلك الدولة وعدت إلى اليمن، وفي بلادي تفاجأت بأن الخلاف المذهبي قد بلغ منتهاه في تلك الفترة بين الحنابلة الوهابيين من جهة وبين أبناء الزيدية الذي يمثل انتماء معظم أبناء المنطقة الشمالية في اليمن، أما في المناطق الجنوبية لليمن فقد كان هناك الصراع على أشده بين الشوافع المتصوفة من جهة والوهابية من جهة أخرى. والملاحظ أن الحركات الوهابية رغم حداثتها في بلادنا كانت مشاغبة ومستفزة، وفي حارتنا الكائنة في العاصمة صنعاء عشت في بيئة متنوعة المشارب والمذاهب، وكان بجوارنا جوامع زيدية وجوامع وهابية ومركز إثني عشري، كل هذا التنوع المذهبي أوجد نوعا من التناقض في بيئتنا انعكس سلبا على حياة الناس، ومثلت تلك الفترة فترة صراع مذهبي كبير بين الوهابيين من جهة وأبناء الزيدية من جهة أخرى، والحق أن الأفكار الوهابية استفحلت في ظل الدعم السعودي السخي والرضى الأمريكي بذلك، وفي ظل النوم العميق لأبناء الزيدية والشافعية، ودخل في الصراع طرفٌ رابعٌ ألا وهو الشيعة الاثنا عشرية بقوة كبيرة فانتشرت كتبهم ولقيت لها قبولا -شيئا ما- وسط المجتمع اليمني ربما كردة فعل على العنف والتعصب والنصب السلفي.

وهكذا أصبحت الساحة اليمنية مسرحا للصراع المذهبي والفكري تارة بين

السلفية الوهابية والزيدية، وتارة بين الوهابية والشافعية، وتارة بين الاثني عشرية والوهابية، وفي هذه البيئة المليئة بالاختلافات بدأت الطريق وأيقنت بأن هناك خطا يمثل الحق والحقيقة، وكان من فضل الله أن منَّ عليَّ بمجموعة من الإخوة في الله أخذوا بيدي وأعانوني على هذا الدرب الشاق، كان أحد هؤلاء الإخوة يدعى حسين، وكان يسكن بجوار حارتنا تعرفت عليه في أحد الجوامع المجاورة للمنزل، وكان حقاً مثالاً للأخلاق الفاضلة، أذكر يوماً أننا خرجنا من المسجد وكنا ثلاثة أحدنا حسين، فكان يحدثنا عن تفرق هذه الأمة وتمزقها إلى فرق متعددة، وكان اعتقاده أن سبب تفرق هذه الأمة هو تركها لمنهج ورثة الكتاب من أعلام اهل البيت، كانت هذه الفكرة تمثل لي نوعاً من التعصب والغلوّ والتخلف، دخل معي في نقاشات وحوارات كثيرة، والحق أنني كنت في بادئ الأمر أتوجس خيفةً من هذه الأفكار الجديدة التي لم يسبق لي أن سمعت بها أو تعرفت عليها، وهذا حال الناس فـ «الناس أعداء ما جهلوا"، كان يساورني الشك تجاه هذا الرجل بادئ الأمر، وحدثتني نفسي أنه أحد المتشددين والمغالين المتعصبين لمذاهبهم، ولكن الغريب أن هذا الرجل كان – قبل ذلك– من المتأثرين بالمنهج الوهابي، وأخبرني بأنه كان شديد الحنق والحقد على كل من خالفه، ولم يكن هناك أبغض إلى قلبه من إمام جامعه الذي يدعى –الاستاذ إبراهيم– لا لشيء إلا لأنه كان من أتباع أهل البيت عليهم السلام، ولكن حنكة هذا الأستاذ وأخلاقه أثرتْ في حسين فاستطاع أن يؤثر في تفكيره، ومن ثم تحوّل حسين إلى منهج قرناء القرآن من أهل البيت عليهم السلام كما أخبرني بذلك.

المهم أنني واصلت الدرب مع أخي حسين فأعطاني مجموعة من الكتب كان لها الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في بداية المعرفة الصحيحة، وكان مما يزيد عجبي واندهاشي أن هؤلاء الإخوة يستدلون على آرائهم وعقائدهم من القرآن ويعتبرونه كلية الشريعة والهداية ويستدلون على الوهابية من كتبهم من باب –وشهد شاهد من أهلها– وكنت أستغرب وأتساءل في نفسي إذا كانت الأدلة متظافرة من كتب أهل السنة على أحقية منهج قرناء القرآن في الاتباع فلماذا هذا التكتم بل والحرب على هذا المنهج؟ أثر ذلك في نفسيتي تأثيراً بالغاً وأخذت أحدث نفسي لماذا كل هذا الإعراض عن هذا المنهج؟ وما السبب في ذلك؟ هل هو التعصب من جانب

بقية المذاهب الإسلامية؟ أم أن السبب لعدم انتشارهذا المنهج هم أبناؤه الذين ظلموه ولم يعيروه أي اهتمام، وخلصت في الاخير إلى أن السبب مشترك من الداخل والخارج، بدأَتْ بعد ذلك لحظات الحماس والاندفاع، وفي هذه المرحلة تعرفت على صديق جديد يدعى جمال والذي كان وهابيا إصلاحياً فيما سبق، وكنا نقوم بجولات لمجموعة من المساجد التي سيطرت عليها الوهابية -كما هي عادتهم في السيطرة على الجوامع وطرد أبناء الزيدية والشافعية منها- وكذلك زرنا بعض المراكز الاثني عشرية لغرض البحث عن الحقيقة وغرض المناقشة والمحاورة وفي بعض الأحيان المناظرة، وكانت هذه الفترة فترة نزق وحميّة، كنا ندخل في بعض المساجد وربما يصل الحوار بنا إلى مشادات كلامية، بل وصل الأمر في أحد المساجد أن تعرضنا لتعامل عنيف كاد أن ينتهي بمعركة ومشادة بالأيدي والعصي.

المهم أنني بدأت بقراءة الكتب الإسلامية بمشاربها المختلفة، وكانت مرحلة صعبة؛ كنت أتحسر وأتألم لحال الأمة وما جرى عليها من فرقة وشتات وتخلف، وكانت أمنيتي أن يهديني الله إلى المشروع الذي يجمع شتات هذه الأمة ويحفظ لها عقيدتها صافيةً وخاليةً من معالم الغلوّ والعصبية والتطرف والبدع.

وفي الطريق:

وفي طريق البحث عن الحقيقة لم أكن أتصور أن الخلاف بين المسلمين وصل إلى حد المسائل الجوهرية المتعلقة بمعرفة الله، وفي ولاية أمر الأمة، وكنت أتصور أن المسألة خلافات في المسائل الفرعية كهيئات الصلاة (الإرسال أو السربلة عند الزيدية والضم عند الشافعية والوهابية) وكلمات الأذان (حي على خير العمل في جوامع الزيدية، وعدمها في الجوامع الشافعية والوهابية) وغيرها من المسائل البسيطة التي لا تتطلب منا كمسلمين أن نتشاغل بها ونتفرق من أجلها، ولكن كانت المفاجأة أن القضية وصلت إلى أكبر من ذلك وقد مسَّت أغلى ما يملكه المؤمن في حياته، نعم لقد مسّت اعتقاد المؤمن في خالقه، وفي عدله، بل ودخل الإختلاف كذلك في صفات الأنبياء، القرآن الكريم، والولاية، وغيرها من المسائل الهامة، إلى درجة أصبح من الصعب التغاضي عن ذلك.

ولما وجدتُ كثرة المسائل المُختلَف فيها أدركت مدى خطورة المسألة ومدى الشرخ والخلل الذي أوقعه أعداء الإسلام في جسد هذه الأمة الدامي، وكان مما يُدمي القلب ويَحز في النفس أن هذه الأمة رغم معاناتها وتمزقها أصبح بأسها بينها شديدا، عندئذٍ شعرتُ بثقل المسؤلية علينا كشبابٍ واعٍ عايَشَ التمزق والتفرق، وعايَشَ الأفكار وتأثيرها على المجتمعات.

وفي ظل هذه الظروف المتوترة وجدت بحمد الله سبحانه وتعالى ضالتي؛ ألا وهو المشروع القرآني الذي تحرك به الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي، والذي يمثل الامتداد الطبيعي لورثة الكتاب من أهل البيت السابقين؛ الإمامِ زيد والإمامِ القاسم الرسي والإمامِ الهادي وغيرِهم من أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين يمثلون الامتداد الطبيعي للإسلام المحمدي الأصيل

ومن منطلق الرحمة بأمة محمد كما تعلمنا ذلك في ظل هذا المنهج، ومحبةً في أن تعيش معي الحقيقة أخي القارئ -سواءً كنت سنياً أو شيعياً- آثرت أن أكتب عن هذا المنهج كأبسط تقدير عرفانا مني بالجميل وطلباً للقرب من الله سبحانه وتعالى في نصرة الحق وأهله، لذلك فضلت أن أكتب هذا الكتاب بأسلوب مبسط وميسر للعوام حتى تحصل به الفائدة بإذن الله سبحانه وتعالى، وقررت أن أضع هذا الكتاب بأسلوب العرض المقارن لعقائد ومفاهيم المشروع القرآني في مقابل العقائد السلفية الوهابية، ونعرج قليلا على بعض الروايات الغير منطقية في كتب إخواننا من الاثني عشرية وبالذات الغلاة منهم (باستثناء التيار الخميني الجهادي الذي مثّل ثورة ضد الاستبداد الأمريكي والصهيوني، وضد الخنوع والخرافة المستشرية داخليا عند غلاة الاثني عشرية) إيمانا مني بالقاعدة المنطقية أن الضد بالضد يعرف، وحتى يتميز للقارئ الكريم الغث من السمين، تعالَ معي لاكتشاف الحقائق التالية.

❖ ❖ ❖

العقيدة في الله سبحانه

منذ أن وُجد الإنسان على وجه الأرض وهو يشعر وجدانيا بعلاقة مقدسة تربطه بالخالق سبحانه وتعالى كحقيقة فُطِرَ الناس عليها، ولما كانت المجتمعات والثقافات بطبيعة حالها متداخلة إما صراعا أو حوارا، وفي ظل الابتعاد عن ثقافة ومنهج الأنبياء، فقد تشكلت عدة نظريات وعقائد في محاولة فهم الوجود الأسمَى، انبثقت معظم هذه النظريات والعقائد نتيجة أهواء أنجبتها العصبيات والأهواء، وأظلتها العادات والتقاليد، وغذاها ورباها الجهل، فساهمت بشكل كبير في طمس أو تشويه الفطرة الإلهية التي فطر الله الناس عليها، وكان لزاما -في حكمة الله ورحمته- أن يرسل الله سبحانه أنبياءه ورسله بكتبه ورسالاته لاستثارة دفائن العقول ولإعادة الفطرة البشرية إلى سابق عهدها بربها سبحانه وتعالى.

وضمن نطاق المجتمع الإسلامي فهو مجتمع كغيره من المجتمعات يخضع لقانون التأثر والتأثير، ونتيجة لهذا القانون ونتيجة للابتعاد عن القرآن وورثته الحقيقيين اختلطت المبادئ الإسلامية بغيرها من المعتقدات والأفكار الإسرائيلية واليونانية والزرادشتية وغيرها، ولما كانت بعض الفرق الإسلامية وبالذات الفرقة الوهابية وغلاة الإثني عشرية الشيرازية والإخبارية قائمة على أساسات هشة نتج عن ذلك أفكار وعقائد سقيمة حسبها أصحابها من صميم الدين والكتاب والحق رغم أنها من صميم الأهواء والبدع، ووجدت هذه الفرق نفسها ناطقة رسمية عن عقائد إسرائيلية ويونانية وزرادشتية وهندوسية وغيرها من العقائد البعيدة كل البعد عن منطق القرآن وبساطة التوحيد.

عقيدة الوهابية في الله سبحانه وتعالى

كانت المفاجأة كبيرة جداً بالنسبة لي ولكثير من أصدقائي الذين كنت أخطو معهم سوياً في طريق البحث عن الحقيقة عندما تفاجأنا ونحن نطّلع على الكم الهائل من الروايات الموجودة في كتب الوهابية التي تتكلم عن الذات الإلهية بجرأةٍ عجيبة ووقاحة لم نكن نتصورها!!!

ولا شك أن أغلى ما يملكه الانسان هو حبه ومعرفته بالله سبحانه وتعالى المعرفة التي يصنعها القرآن في النفس فتملأ وجدانه وأعماق مشاعره محبة وحياءً وهو يستعرض صفحات القرآن وصفحات هذا الكون الشاهدة على عظمة الله وقدسيته، وتملأه محبة وإجلالا وهو يتذكر نعم الله التي أسبغها على عباده، والقرآن يأتي للإنسان من كل جانب ليغرس في نفسه معرفة تجعله مفعما بالإيمان لاتزحزح إيمانه الشدائد ولا الصعاب، القرآن يغرس في الإنسان معرفة تجعله مستشعرا حضور الله وشهادته على خلقه، ومن الصعب على قلب تعلق بحب الله سبحانه وتعالى أن يقبل بمثل هذه الروايات التي تلوث فطرة الإنسان وتجعل ثقافته أشبه بثقافة اليهود التي امتلأت جرأة ووقاحة بحق الله سبحانه وتعالى، وقد مثلت تلك الروايات ظاهرة شاذة بالنسبة لي ولاصدقائي على المجتمع المسلم الذي يؤمن من منطلق فطرته وثوابته القرآنية بإله عظيم منزه مقدس لا يشبه شيئا من مخلوقاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وأنه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: ١١٠] وأن له الأسماء الحسنى التي نتعبد الله بالدعاء بها ونحن نتحرك في إطار تحملنا مسؤولية الاستخلاف في الأرض، فنعيش في حالة من الطمأنينة والسكينة في ظل الرأفة والرحمة الإلهية، لا يساورك شك بقداسة المعبود وعظمته وكبريائه، ولا تملك إلا أن تسجد بقلبك وجوارحك إعظاما وإجلالا له سبحانه وتعالى.

وكم كان وقع هذه الروايات الخبيثة على قلبي قويا، وامتلأْتُ حينها حنقا وغضبا على من كان السبب في إدخال هذا المنهج الخبيث، وامتلأت ألما وحسرة على كثير من الشباب الذين وقعوا في شراكه، والغريب العجيب في المسألة أنني كنت أتوجه بهذه الروايات إلى بعض المتعاطفين والمنتمين إلى منهج الوهابية فيجيبني برد فطري «هذا لا يجوز على الله" و"هذا كفر"، ولكن عندما يعلم بأن هذه المرويات موجودة في الكتب التي يقدسها الوهابية كما في "صحيح" البخاري ومسلم سرعان ما ينقلب على عقبيه وينقض ويعاكس ما أقرَّتْه فطرته السليمة، كل ذلك ولو كان على حساب الذات الإلهية! فيعيش حالة من التناقض بين ما يمليه عليه ضميره وفطرته السليمة من جهة وبين ما يمليه عليه انتماؤه ومنهجه الذي ارتضاه لنفسه تقليداً وتعصباً من جهة أخرى.

وقد مثلت هذه النقطة بالذات بالنسبة لي منطلقاً كبيراً وتحولاً متسارعاً عن منهج من يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة الذي صُبغتُ به صبغةً سطحية جدا، وبدايةَ التعلق بمنهج قرناء القرآن من أهل البيت عليهم السلام، ولكي تدرك ما أقول لك عزيزي القارئ لنبدأ في طرح التصور الوهابي عن الذات الإلهية من خلال مروياتهم، والتي تتحدث عن إله غيرالإله الذي يعرفه المسلمون وتعرفه النفوس الزاكية والفطر السليمة، أرجو أن تفهم أخي القارئ أن هذه الروايات تتحدث عن إله وهمي لا وجود له إلا في كتب اليهود وروايات الوهابية، وأما الله فهو أسمى وأعلى من أن تتناوله هذه الروايات الإسرائيلية التي ملئت بها كتب الوهابية.

فالتصور الوهابي للذات الإلهية مبني في مجمله على التشبيه والتجسيم للذات الإلهية، فالله سبحانه وتعالى له (عندهم) أغلب ما للإنسان من أعضاء وجوارح تعالى الله عما يصفون، ويلمس المطالع ذلك من خلال الاطلاع على أمهات كتبهم، وسوف أذكر لك هنا نماذج من روايات التشبيه من كتبهم ومصادرهم هم حتى تعلم أن إيهامهم العوام بأن كتبهم بريئة من التشبيه دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة تشهد بذلك كتبهم كما سنوافيك، ولعلك أخي القارئ –سواءً كنت سنيًا أم شيعيًا– تُفاجأ بهذه الروايات كما تفاجأت بها، بل وقد لا تصدق ذلك، ولكنها للأسف الحقيقة وإن كانت مُرَّة للغاية، فقبل أن تسارع إلى تكذيب كلامي هذا ما عليك إلا أن تدخل أي مكتبة كانت حتى تتأكد بنفسك مما أقول لك.

ولنبدأ بطرح التصور الوهابي للذات الالهية:

فقد أثبتوا لله يدين ليس هذا فحسب بل جعلوا لها خمسة أصابع كما روي ذلك في أصح كتاب عندهم وهو صحيح البخاري «عن عبدالله قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله (ﷺ) فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلائق على إصبع فيقول: أنا الملك، فضحك النبي صلى الله عليه وآله حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله (ﷺ) ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٦٧].[1]

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير/ باب تفسير سورة الزمر (و ما قدروا الله حق قدره).

ولم يقتصر الأمر على ذلك فما كان منهم إلا أن يتبرعوا بتحديد طول هذه اليد كما روى أحد كبار أئمتهم وهو عبدالله بن أحمد بن حنبل: «إن غلظ جلد الكافر أربعون ذراعا بذراع الجبار» [١].

ثم أثبتوا لهذه اليد البرد كما روى الترمذي في سننه "عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجوَّز في صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا: على مصافكم...إلى قوله: فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد. قلت: لبيك رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري. قالها ثلاثا. قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي" [٢].

كما ترى فإن هذه الرواية تثبت صفة البرودة مع أنها من صفات الأجسام المحدثات، بل تجعل الله في صورة والصورة تراكيب وأشكال، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، والغريب أن إمام أهل الحديث الأكبر البخاري يصحح هذا الحديث! يقول الترمذي: سألت عن صحته محمد بن إسماعيل البخاري فقال: هذا حديث حسن صحيح[٣]!!!!!.

ولما كان أكثر تفكير الوهابية تفكيرا قاصرا وخاليا من تعظيم ومعرفة الخالق: كان لسان حالهم يقول: كيف يمكن أن يكون للإله يدان بلا ذراع وصدر؟ فما كان منهم إلا أن استوردوا الأحاديث والمرويات الإسرائيلية التي تسربت إلى كتبهم فأثبتوا لله سبحانه وتعالى الذراعين والصدر! روى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن النبي (ﷺ) - حاشاه - أنه قال «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر»[٤]، ويا ليتهم وقفوا عند هذا القدر من التشبيه لله -تعالى عن ذلك علوا كبيرا- فها هم يثبتون له سبحانه وتعالى القدمين! وفي ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن

(١) كتاب السنة ٢/٤٩٢.
(٢) الترمذي.
(٣) سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/باب تفسير سورة ص.
(٤) كتاب السنة ص٦٥.

أبي هريرة عن النبي (ﷺ) أنه قال: «يلقى في النار فتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه أو رجله فتقول قط قط»[١] والأغرب من ذلك أن يروي عبد الله بن أحمد بن حنبل «أن الكرسي كالنعل في قدميه»[٢] ثم بعد ذلك يقولون: إنه لا تشبيه ولا تجسيم في كتبهم.

ولأن عظمة الله ومحبته لم تترسخ في نفوس الوهابية فقد قاسوا الخالق على المخلوق ولم يستطيعوا الإيمان بالله خارج نطاق المادة وفوق مستوى الإدراكات البشرية، وأقحموا الذات العلية إلى حدود المادة وقوانينها، بدلا من أن يرتقوا بنفوسهم لإدراك أن الله منزه من ذلك، فما كان منهم إلا أن يثبتوا الساق للخالق إذ لا يمكن تصور قدم بلا ساق، وفي ذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري نأخذ منه هذا المقطع «فيأتيهم الجبار فيقول: أنا ربكم. فيقولون له: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا. فيقول: هل بينكم وبينه آية؟ فيقولون: نعم، الساق فيكشف عن ساقه» [٣]! غفرانك ربنا ونتوب إليك ونسألك الهداية للمسلمين من مثل هذه العقائد الدخيلة على ديننا.

ولابد بعد ذلك من أن يكون هناك حقو للخالق في المخيلة الوهابية إذ كيف يكون هناك ارتباط بين الصدر والساق بدون حقو!!! روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال مه! قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب. قال: فذاك [٤]

ولم يعد من الصعب أن نثبت للإله القعود والنزول والصعود وأن نخضعه لقانون الجاذبية فنجعل له ثقلا كما روي في أحاديث أهل السنة (أن الله إذا جلس على الكرسي سمع له أطيط كأطيط الرحل الجديد [٥]» وزاد بن خزيمة: من ثقله.

---

(١) كتاب البخاري/كتاب التفسير/ باب سورة ق (وتقول هل من مزيد) وكتاب التوحيد باب ((إن رحمة الله قريب من المحسنين)).
(٢) كتاب السنة ٢/٤٧٥.
(٣) صحيح البخاري/ كتاب التوحيد/ باب وجوه يومئذ ناظرة إقرأ أحاديث الباب.
(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير باب تفسير ((وتُقطعوا أرحامكم)) سورة محمد.
(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة ص١٠٣ وأبو داود وابن ماجة في سننهما باب ما أنكرت الجهمية.

وأصبح من السهل -تبعا لهذه العقائد الخبيثة- أن تكتنفه المتغيرات والمحدثات! روى البخاري في صحيحه أن الله يتغير من صورة إلى أخرى إقرأ هذا المقطع من حديث طويل عن أبي هريرة... «فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون...» [1].

ثم تطور الحال والمقال عند الوهابية المضلين فأثبتوا لله دارا ومكانا يحل فيه! روى البخاري في صحيحه عن النبي (ﷺ) أنه قال: ننقل هذا المقطع «.. فيأتوني فأنطلق فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه حتى إذا رأيته وقعت له ساجدا» [2].

وليس غريبا حسب منطق القوم على رب تحويه مخلوقاته ويأوي إلى دار أن يدنو ويتدلى! روى البخاري في صحيحه حديثا طويلاً عن شُريك ننقل منه هذا الجزء «.. حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى» [3].

والمعلوم أن الذي دنا فتدلى هو جبريل عليه لسلام بدليل قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١١-١٨] وآيات الله غير الله سبحانه وتعالى، ولا أدري كيف يستقيم هذا الحديث مع الحديث الذي رواه البخاري نفسه عن عائشة أنها قالت في هذه الآية: «أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله عن ذلك فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء سادا عظيم خلقه ما بين السماء والأرض» [4]

واستكمالا لمسلسل التشبيه إضافة النزول الحسي لا المعنوي من ذلك ما

(١) البخاري كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناظرة إقرأ أحاديث الباب.
(٢) البخاري كتاب التوحيد باب وجوه يومئذ ناظرة إقرأ أحاديث البا ب.
(٣) البخاري كتاب التوحيد باب وكلم الله موسى تكليما.
(٤) ذكر حديث مقارب لهذا في صحيح البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة النجم.

رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له؟ [1].

ورغم أن بعض العلماء فسر الحديث بالنزول المعنوي كما ذكر بن حجر العسقلاني شارح البخاري، إلا أن الوهابية يرفضون ذلك رفضا قاطعا ويؤكدون أنه ينزل بذاته! ولا أدري كيف يستقيم ذلك مع الحديث الذي يقول: إن السموات على إصبع والأرضين على إصبع المذكور سابقا فإذا كانت السموات بأكملها على إصبع كيف يكون النزول من السابعة إلى الأولى إلا إذا أثبتوا للخالق سبحانه وتعالى خاصية التمدد والإنكماش -سبحانه وتعالى عن ذلك- ولم لا؟ لم يعد ذلك صعبا (عندهم) بعد كل هذه الخزعبلات.

بل كيف يكون على العرش ثم ينتقل إلى السماء التي لا تساوي شيئا أمام العرش كما هو مروي في كتبهم؟ كل ذلك يدل على محدودية الخالق وحلوله في خلقه بالمقتضى الوهابي وإلا ما معنى ذلك؟ والحق أنني سألت كثيرا من الوهابيين العقائديين عن هذه الإشكالات فلم أجد منهم إلا جوابا واحدا وهو: "يجب أن نؤمن بهذه الأحاديث بلا كيف"، بينما عندما أعرضها على عوامهم الذين ما زالوا على الفطرة يستنكرونها ويستبشعونها.

وروى عبدالله بن أحمد بن حنبل بإسناده عن النبي أنه قال: «لما كلم الله موسى عليه السلام ربه عز وجل كان عليه جبة صوف وعمامة ونعلاه من جلد حمار غير زكي» [2]" وقد أخرج هذا الأثر الآجري في الشريعة وابن بطة وهما من الحنابلة، والأثر مكذوب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه تجسيم وتشبيه واضح واستهانة بالذات الإلهية وقد يقول البعض: إن هذا يريد من القائل وصفا لموسى لا لله عز وجل، أقول أرجو ذلك ولكن يعكر على هذا الاعتذار أن سياق الآثار في الباب كله إثبات صفات الله عز وجل من جلوس وقيام وصوت وكرسي وصدر وذراعين

(١) البخاري كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل.
البخاري كتاب التوحيد باب وكلم الله موسى تكليما.
(٢) كتاب السنة ١/٢٩٣.

ونحو ذلك، ولا فائدة لهم هنا في ذكر لبس موسى فإن هذا مما لا دخل له بالعقيدة ولا السنة » [١].

مثل هذه العقائد لا تثمر إلا قلوبا خاوية من تعظيم الخالق حتى أن التشبيه والتجسيم والاستهزاء بالذات العلية أصبح تنزيها وتعظيما عندهم فها هو ابن تيمية والملقب عندهم بشيخ الإسلام يقر مقولة الدارمي الشنيعة: «ولو شاء الله لاستقر على ظهر بعوضة، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيتة فكيف على عرش عظيم» [٢].

وحتى تكتمل لديك الصورة وتدرك تماما أن حمَّى التشبيه متجذرة لدى الوهابية تأمل هذه الروايات:

أن السماء ممتلئ بالله عز وجل. كتاب السنة ٢/ ٤٥٧.

وأن أسباب الزلازل أن الله يبدي بعضه للأرض فتزلزل. كتاب السنة ٢/ ٤٠٧.

وأنه خلق آدم على صورته هو. المصدر السابق ٢/ ٤٧٢.

وأن عرش الرحمن مطوق بحية. المصدر السابق ٢/ ٤٧٤.

وأن الله يطوف في الأرض. المصدر السابق ٢/ ٤٨٦.

وأن الله يضع يده في يد داود. المصدر السابق ٢/ ٥٠٢.

ويأمره أن يأخذ بحقوه. المصدر السابق ٢/ ٥٠٣.

وأن الرياح من نفس الرحمن. المصدر السابق ٢/ ٥١٠.

يقول الأستاذ حسن فرحان المالكي مستعرضا طامات الحنابلة السلفيين بقوله:

صحح الشيخ عبد المغيث الحربي الحنبلي حديث الاستلقاء!! الذي فيه أن الله لما انتهى من الخلق استلقى ووضع رجلا على رجل » [٣].

(١) أ.هـ قراءة في كتب العقائد بتصرف ص ١٢٤-١٢٥.
(٢) التأسيس/ ١/ ٥٦٨.
(٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ١٦٠.

أما الأهوازي [الحسن بن علي بن إبراهيم] -وهو من غلاة أهل السنة وغلاة أهل السنة حنابلة- الحنبلي فقد ألف كتابا طويلا في الصفات أورد فيه أحاديث باطلة ومنها حديث عرق الخيل الذي نصه: " إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت ثم خلق نفسه من ذلك العرق " [١] تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

إلى أن وصل إلى قوله: كما حدث الأهوازي هذا بحديث «رأيت ربي بمنى على جمل أورق عليه جبة» وهذا تشبيه واضح وتجسيم صريح...

وروى عبد الصمد بن يحيى الحنبلي قال: قال لي شاذان: إذهب إلى أبي عبدالله - أحمد بن حنبل - فقل ترى لي أن أحدث بحديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: «رأيت ربي عز وجل في صورة شاب» قال: فأتيت أبا عبدالله فقلت له: فقال لي: قل له: تحدث به قد حدث به العلماء..!! [٢] إ.هـ [٣]

وكثيرة جدا هي الروايات من هذا القبيل في كتب الوهابية وخصوصا كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، وكتاب التوحيد لابن خزيمة، والغريب أن شيخ الوهابية مفتي السعودية في العصر السابق عبد العزيز بن باز يصف هذين الكتابين ضمن الكتب الهامة في العقيدة وينصح بهما إلى جانب كتب أخرى.

والأغرب من ذلك أن علماء السلفيين من لدن عبد الله بن أحمد بن حنبل إلى ابن تيمية في كتابه التأسيس في رد أساس التقديس، إلى ابن باز يصححون الحديث المكذوب على رسول الله (ﷺ) «أن الله خلق آدم على صورة الرحمن» [٤].

وقد قام أحد مشائخهم وهو المدعو حمود التويجري بتأليف كتاب بهذا الشأن سماه «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن».

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٧ وتاريخ الإسلام ٣٠/ ١٢٤ وقد اتهمه ابن عساكر بأنه من الفرقة السالمية المجسمة، لكن ابن تيمية عده من أهل السنة في الجملة فاحتمل أمثال هؤلاء داخل أهل السنة مع ما ترى من بشاعة ولم يحتمل دخول المعتزلة والجهمية ومعتدلي الشيعة وهذه مفارقة عجيبة.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢١٨، ٢/ ٤٦.

(٣) قراءة في كتب العقائد ص١٢٩-١٣٠.

(٤) انظر فتاوى بن باز.

ثم تجدهم يصدرون كلامهم هذا بقولهم: إجماع السلف، وقال السلف الصالح، وإجماع الصحابة، لتأكيد هذا الكفر والكذب!

واعلم أن عامة المسلمين قد شنعوا على الوهابيين الحنابلة عقائدهم الكفرية والضالة هذه، فما كان منهم إلا أن التفوا على هذه المرويات بإلحاق ذيل بعد كل تشبيه وتجسيم فتراهم يقولون: "إن التشبيه والمشبهة هم الذين يقولون: يد كيدي ووجه كوجهي ولكننا نقول: بلا كيف وبما يليق بجلاله"، والحق أننا لا نعلم أحدا حتى اليهود الذين هم أئمة التشبيه يقولون أن لله يدا كأيدينا أو رجلا كأرجلنا، ولله درالقائل معلقا على ذلك:

وجماعة سموا هواهم سنة ... وجماعة حمر لعمري موكفة
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفة

روايات التشبيه والتجسيم الموجودة في كتب الاثني عشرية

اما الشيعة الاثني عشرية فهم أخف وطئاً من الوهابية في هذا الجانب، ومن خلال مطالعتي لكتب علمائهم المتقدمين والمتأخرين منهم فقد ألّفوا الكثير من الكتب التي ترد على المشبهة بشكل قوي ومشرّف، ولكن رغم ذلك لم تخلُ مراجعهم وكتبهم من روايات التشبيه والتجسيم ربما لأن كتبهم مصابة بداء الحشو الزائد، وإليك امثلة لروايات التشبيه عندهم:

"إن بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل، وبيننا وبينه أربعة حجب، حجاب من نور، وحجاب من الغمام، وحجاب من ماء"[1].

وروى عبد الله شبّر في كتابه حق اليقين ١/ ٢٣٩ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: ".. فلما دخلت إلى الجنة رجعت إلى نفسي، فسألت جبريل عن تلك البحار وهولها وأعاجيبها، فقال: سُرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك وتعالى بها".

(١) حق اليقين ١/ ٢٣٩.

وروى في الكافي ٢/ ٧ عن أبي عبد الله عليه السلام: "إن الله لمّا أراد أن يخلق آدم أرسل الماء على الطين، ثم قبض قبضة فعركها، ثم فرقها فرقتين بيده".

وروى في الكافي ٢/ ٥ "فأمسك القبضة الأولى بيمينه، والقبضة الأخرى بشماله... إلى أن قال للذي بيمينه: منكِ الرسل، وإلى أن قال للذي بشماله: منكِ الجبارون".

ومن كتاب نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين انظر الفهرس وفيه باب: من زار قبر الحسين كان كمن زار الله فوق عرشه!!!

باب: من زار قبر الحسين كان كمن زار الله فوق كرسيه!!!

باب: من سرّه أن ينظر الى الله فليكثر زيارة الحسين!!!

وغيرها من الروايات الإسرائيلية التي امتلئت بها كتبهم.

ومن المناسب ذكر أن جميع علماء الاثني عشرية في العصر الحالي ينكرون التشبيه، وهذا تحول إيجابي بعكس الوهابية، بل ويكذبون الروايات الموجودة في كتبهم حول التشبية ولا يحيطونها بهالة من القداسة كما هو حال الوهابية.

عقيدة قرناء القرآن في اللّه

إن شئت أن تسميهم بأهل المعرفة فسمهم، وإن شئت أن تسميهم بأهل القرآن فسمهم، فالحق أنني ومنذ فترة طويلة وأنا أبحث عن المعرفة الحقيقية الصادقة بالله سبحانه وتعالى التي تنسجم مع القرآن ومع الفطرة التي فطرنا الله عليها لم أجدها إلا في المشروع القرآني العظيم؛ إن الإله في هذا المنهج إله خارج نطاق المادة وفوق مستوى الإدراكات، إنه إله لا تحويه الأقطار ولا يقاس بالناس ولا يدرك بالحواس، الظاهر والباطن الأول والآخر السميع البصير، إنها المعرفة التي صنعها القرآن والواسعة بسعة تعاليم القرآن.

وبهذا تجد كتبهم مشحونة، وقد نذر قرناء القرآن أنفسهم للدفاع عن أساس الدين وهو معرفة الله المعرفة القرآنية، وها أنا ذا أذكر لك نماذج مما روي في كتبهم

وما نطقت به أئمتهم سلام الله عليهم فهم الامتداد الطبيعي لجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

- روى الإمام أبو طالب الهاروني في أماليه بسند صحيح قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم، فقال (ﷺ) وماذا صنعت في رأس العلم حتى تسألني عن غرائبه؟ قال وما رأس العلم يا رسول الله؟. قال: أن تعرف الله حق معرفته. قال: وما معرفة الله حق معرفته؟ قال: أن تعرفه بلا مثيل ولا شبيه وأن تعرفه إلها واحدا أولا آخرا ظاهرا باطنا لا كفؤ له ولا مثل له »[1] وروى الإمام أبو طالب الهاروني عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «خمس لا يعذر بجهلهن أحد معرفة الله، أن تعرفه ولا تشبهه بشيء ومن شبه الله بشيئ وزعم أن الله يشبه شيئا فهو من المشركين، والحب في الله والبغض في الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الظلم». [2]

- قال الإمام علي عليه السلام مثنيا على ربه سبحانه وتعالى: «فاعل لا باضطراب آلة، مقدر لا بجول فكرة، غني لا باستفادة، لا تصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات »[3] وقال أيضا: " لا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء،... ولا يقال له حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه فتقله أو تهويه، أو أن شيئا يحمله فيميله أو يعدله،... يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع لا بخروق وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويغضب من غير مشقة). [4]

- وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام (سبحانك خضع لك من جرى في علمك، وانقاد للتسليم لك كل خلقك، سبحانك لاتُجس ولاتُحس، ولا تُمس، ولا تُكاد، ولا تُماط، ولا تُنازع، ولا تُجارى، ولا تُمارى، ولا تُخادع، ولا تماكر، سبحانك سبيلك جدد، وأمرك رشد، وأنت حي صمد...

(١) امالي ابي طالب.
(٢) امالي ابي طالب.
(٣) نهج البلاغة ص٤٣٩.
(٤) نهج البلاغة ص٤٤٠.

- روى العلوي عن عبيد الله بن العلاء قال: سمعت زيدا عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤] ، قال: مجاز الآية النعمة منه والفضل، وقوله تعالى: ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾، يدل على ذلك وقد يقول الرجل من العرب: لفلان علي يد أي نعمة. وقد قال علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [المائدة: ٦٤] قال: «لا تمسك يدك عن النفقة في حق بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه...»[1].

ويقول الإمام القاسم الرسي عليه السلام: "فأما دلائله لنا سبحانه أنه خلاف للأشياء، ولكل ما يعقل في جميعها من العجزة والأقوياء فقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ وما ليس كمثله شيء فهو خلاف لكل شيء وقوله سبحانه في سورة التوحيد والإفراد بعد تنزهه فيها سبحانه عن الوالد والأولاد ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ [الإخلاص: ٤] ومن لم يكن له كفوا أحد فهو خلاف لكل أحد، وما كان خلافا للآحاد كلها كان خلافا اضطرارا لأصلها؛ لأن الأصل في نفسه وتحداده فهو غير شك جميع آحاده، فالله سبحانه هو خلاف الآحاد المعدودة وجميع ما يعقل من الأصول الموجودة، وهو الله الصمد الحق الذي ليس من وراءه مصمد يصمد إليه صامد"[2].

- ويقول الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام: "..وأن الله علام الغيوب لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا في الدنيا ولا في الآخرة وأنه القادر الذي لا يعجزه شيء من الأشياء لم يزل عالما قادرا ولا يزال قادرا عالما، ليس لقدرته غاية ولا ل[ ]علمه نهاية، وليس علمه وقدرته سواه، هو القادر لا بقدرة سواه، والعالم لا بعلم سواه، وهو السميع البصير، ليس سمعه غيره ولا بصره سواه، ولا السمع غير البصر ولا البصر غير السمع، ولا يوصف بسمع كأسماع المخلوقين، ولا يبصر ببصر كأبصار المخلوقين، تعالى الله عن ذلك ولكنه سميع لا تخفى عليه الأصوات، ولا الكلام، ولا اللغات، بصير لا تخفى عليه الأشخاص ولا الصور ولا الهيئات ولا مكان

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد ص ٣٣٨.
(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي ص٢٣٠.

شيء من الأشياء وموضعه، ولا يغيب عليه أمره وحاله، لم يزل سميعا بصيرا ليس ذلك على إضافة شيء ثان له تبارك وتعالى، ولا كما ظن المشبهون أن له وجها وصورة وتخطيطا، وأنها نفس في جسد حاشا الله من ذلك، ولكنه على تحقيق إثباته جل جلاله...»[1].

- ويقول الشهيد القائد «ومتى ما سمعناه يسمي نفسه بأنه قدير فإنه يقول: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٣٩﴾ [فصلت: ٣٩] لا يعجزه شيء، والقرآن الكريم عمل على ترسيخ مبدأ الكمال، كمال الله سبحانه وتعالى، وهو المبدأ الذي استطاع أن ينسف الشرك من نفوس العرب، عندما جاء ليقول لهم: إن الإله يجب أن يكون كاملاً، الإله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون كاملاً كمالاً مطلقاً، أما إذا كان ناقصاً محتاجاً فغيره أكمل منه، إذاً فغيره أولى بالعبادة له منه، فتحدث عن أصنامهم بأنها لا تنفع ولا تضر، لا تسمع، لا تبصر.. ألم يتحدث في القرآن الكريم عن هذا كثيراً؟.

نبي الله إبراهيم عندما حطم تلك الأصنام؛ ليثير في نفوس قومه أن هذه الأصنام التي تعبدونها ناقصة قاصرة، لا تستطيع أن تنفع ولا تضر، لا تستطيع أن تدفع عن نفسها فكيف يمكن أن تدفع عنكم، فلماذا تعبدونها؟! إن من يجب أن تعبدوه هو الله سبحانه وتعالى الكامل، ذي الكمال المطلق، الذي لا أحد يستطيع أن يقهره، الذي إذا التجأت إليه نفعك، إذا خرجت عن نهجه وتجبرت عليه ضربك، ويستطيع أن يضربك، ويقول لك: بأن كل من في السموات والأرض جنود له: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الفتح: من الآية٤] ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء:٦٤] عرفوا أنه فعلاً أصنام تتحطم هي ناقصة، فكيف نعبدها، ماذا يمكن أن تعمل هذه الأصنام؟ من أي وجه تستحق العبادة؟ أيّ كمال لها تستحق به أن نعبدها، ونُخْضِع أنفسنا لها، ونثنيَ عليها.

وهكذا استطاع القرآن الكريم أن ينسف الشرك من نفوس العرب إلى الآن. هل هناك صنم في البلاد العربية ركزوه من جديد ليعبدوه؟ انتهى الموضوع؛ لأن كل واحد يتساءل لماذا أنصب صخرة، أو خشبة، أو تمثالاً فأعبده وأؤلهه، ماذا يمكن

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام ص ٨٨.

أن يعمل؟ لماذا أعبده؟ بأي وجه يستحق العبادة؟ أي كمال فيه يستحق أن أعبده، واثني عليه، وأمجده، وأعظمه وأقدسه؟ انتهت.

فعندما نسمع أن من عقائدنا: أن الله سبحانه وتعالى لا يشبه شيئاً، ولا يجوز أن يشبه شيئاً؛ لأن كل الأشياء غيره سبحانه وتعالى فيها دلائل الحدوث، فلو كان مشبهاً لأي شيء من مخلوقاته لكان قد أصبح ناقصاً محتاجاً كمثلها، ولكان هو في نفسه دليلاً على أن هناك طرفاً آخر هو أكمل منه، وهذا نسف للألوهية من أساسها، نسف لاستحقاقه الألوهية والربوبية من أساسها؛ لأننا سنقول فيما بعد: إذاً ذلك الذي منحك هذا الذي أنت عليه هو أجدر بالعبادة، هو أكمل منك. وتلاحظون أن مبدأ الكمال – أيضاً – هو مما رسخه الله سبحانه وتعالى في نفوسنا، فطرة فطر الناس عليها.

أنت في كل أعمالك تبحث عن الأكمل. أليس كذلك؟ أنت تريد أن تبني فيقال لك: فلان وفلان، وفلان، وفلان، فلان هو تعلم عند فلان. ستقول والله سأشوف فلان الذي علمه هو أبصر منه.. أليس كذلك. حتى وأنت تبحث عن زوجة تريد أن تبحث عن الزوجة الأكمل، عندما نقول نحن: أريد أن تكون طبيعتها جيدة، شكلها مقبول، ومن أسرة جيِّدة.. ألست هنا تبحث عن كمال؟ هكذا وأنت تريد أن تغرس شجرة قات ألست ستبحث عن الشجرة الجيدة؟ تقول ما نشتي نغرس حمار أو سواد نشتي نغرس قات زراق هو أحسن، وبيتحمل قطف، هو كذا وكذا.. وأنت تريد أن تشتري ثور، أنت تبحث في السوق تبحث عن الثور الذي تجد فيه مميزات كمال بالنسبة له، وأنت تريد أن تبحث عن خياط كذلك تريد تبحث عن خياط يجيد الخياطة أي فيه صفات كمال أكمل من الآخر... دكاكين الخياطة واحد اثنين ثلاثة أربعة أنت تبحث عن من؟ عن خياط جيّد وهكذا. مبدأ الكمال والبحث عن الأكمل هو من الفطر التي فطر الله الناس عليها، وهو سلَّم ينتهي بالله سبحانه وتعالى الكامل الكمال المطلق.

حتى عندما نصف شخصاً نقول: عالم كريم فاضل.. ما أنت تصفه بنوع من هذه الصفات التي تسمع الله سبحانه وتعالى يصف نفسه بها؟ لكن وفوق كل ذي

علم عليم، إلى أن تنتهي إلى عند العالم الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، عند من قال عن نفسه بأنه لا تسقط ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه، وهو في كتاب مبين، في علمه الذي لا يعزب عنه شيء.

والكمال المطلق لا يمكن أن يكون إلا لواحد، لا يمكن أن تفترض أن هناك اثنين كاملين، كل واحد منهما سيظهر ناقصاً بالنسبة للآخر، الكمال المطلق لا يمكن أن يكون إلا لواحد، وهو الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا كل ما يستلزم منه أن يكون الله مشابهاً لخلقه بما يعني هذا: أنه أصبح فيه دلائل أنه محدث ومحتاج إلى طرف آخر فهو من أكبر الكبائر عندما تعتقده بالنسبة لله سبحانه وتعالى؛ لأنه ماذا يعني؟ بأنك حكمت بنسف استحقاقه للألوهية من أساسها؛ ولهذا نحن نقول في عقائدنا: لا يجوز أن نقول: إن لله وجهاً، كما يقول الآخرون، وليس له يد، ليس له أعين كما يقول الآخرون، هذه آليات عملها لنا نحن الناقصين، نحن القاصرين، نحن المحتاجين.

لو قلنا بأن له وجهاً وله يداً وله رِجلاً، حتى ولو قلنا كما يقولون: «يليق به»، وجه يليق به، يد تليق به، رِجْل تليق به.. هكذا يقولون. اسألهم: هل وجهه غير يده، ويده غير رجله؟ أم أن وجهه يده، ويده رجله، ورجله وجهه؟. سيقول لك: لا، هي بالطبع وجهه غير يده، ويده غير رجله؟ إذاً مَن الذي منحه وجهاً هو مغاير ليده، ويداً مغايرة لرجله، إذاً أثبتم له أعضاء، وإن كنتم تقولون بأننا لا نعرف كيفيتها، فالتنزيه لا يعني فقط بأنك تقول بأنك لا تعرف الكيفية التي عليها هذا الوجه الذي أثبتّه لله، أن تنفي عنه من الأساس أن يكون له عضو، أو يكون مركباً من أجزاء، أن يكون مؤلفاً، لا يصح؛ لماذا؟. لأن التركيب علامة من علامات الحدوث.

ماذا يعني الحدوث؟. أي أن هناك مَن منحه وجهه كما منحك وجهك، ومن منحه يده وجعلها في موضع في غير موضع وجهه، ولها أعمال غير أعمال وجهه، وله رِجْل لها أعمال غير أعمال يده، وموضعها غير موضع يده، كما هو الحال بالنسبة لنا أليس كذلك.

إذاً فهذه علامات الحدوث، إذاً هناك من منحه هذه الأشياء، إذاً فهو ناقص،

ومن منحه هذه الأشياء هو أكمل منه، إذاً فليس رباً ولا إلهاً، أليست المسألة تنتهي إلى هذه؟ المسألة تنتهي في الأخير إلى كفر بالله؛ ولهذا أذكر أن أحد أعمامي (رحمة الله عليه) وهو السيد العلامة [حسين بن حسن الحوثي] وزع قبل سنوات فتوى يحكم فيها بكفر من يعتقد: أن الله يُرى، ويقول: أن الله يرى؛ لأنه هكذا تنتهي المسألة إلى هذا الحد؛ ولهذا نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن أن يكون له مشابه، وهنا نزه نفسه عن أن يكون له ولد، ألم ينزه نفسه هنا؟. (١)

ذكر الشهيد القائد في الدرس الثالث والعشرين من دروس رمضان عند حديثه عن قول الله سبحانه ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] "..ليس المقام الآن مقام أخذ ورد إلى حول كيفية الله، هل هو كذا أو كذا، المقام في هذا الموضوع يعطي موضوعا آخر. هذا التعبير اللغوي ما يزال عند الناس إلى اليوم، ألسنا نقول: [فلان يده ناشف]؟ لا يريدون أن يده يابس، هل هناك أحد يفهم هذا؟ يعرفون معناها كناية عن البخل، [فلان يده خضراء] ألسنا نقول: يده خضراء؟ يعني: كريم، لا يوجد أحد عندما تقول له: يده خضراء يتبادر إلى ذهن السامع أن معناها: يد خضراء، يد، هذه اليد، مع أن معه يد، أليس الإنسان معه يد؟ لا يتبادر إلى الذهن أن اليد عندما نقول له: يده خضراء أن هذه اليد نفس هذا العضو أخضر، يتبادر إلى ذهنك مجمل العبارة، مجمل العبارة ماذا؟ أنه سخي، عندما يقولون: [فلان لسانه طويل] في سياق كلام حول بذاءة، وأشياء من هذه، هل يتبادر إلى ذهنك أن لسانه إلى فوق صدره، أو يتبادر إلى ذهنه هو نفس السامع عندما تقول: أنت يا فلان لسانك طويل، يتبادر إلى ذهنه أنه بذيء أي: لا يتحكم في منطقه، ينال الناس بلسانه، بمنطقه"

بعد هذه المقاطع النورانية التي قرأتها والتي تستحق أن تكتب بماء الذهب لم يعد لذي لبّ حجة في ترك تلك الأفكار والعقائد السقيمة والارتحال إلى كنف التنزيه والنور والحقيقة.

(١) ملزمة معرفة الله الدرس الثامن للشهيد القائد.

مناقشة الوهابية في التشبيه والتجسيم

لقد وضع أئمة أهل البيت عليهم السلام ردودا كثيرة في هذه المسألة بحيث لم يتركوا لأحد الحجة في جهل الحقيقة، وقد حددوا أسبابا كثيرة لنزوع الوهابية إلى التشبيه نحاول ذكرها هنا باختصار:

٣- الابتعاد عن الثقلين و الاختراق اليهودي

لأن الوهابية وأسلافهم من الحنابلة نواصب وبعيدون عن القرآن وورثته الحقيقيين أصبحوا عرضة للاختراق اليهودي، ولعب اليهود وما زالوا يلعبون دورا مهما وخطيرا في إفساد تفكيرهم وعقائدهم وزعزعة ثقتهم بربهم سبحانه وتعالى، بتصوير إلهٍ لا يرقى إلى مرتبة الألوهية في قلوب كثير من أبناء الأمة؛ للوصول إلى مجتمع مهزوز وضعيف الإيمان بالإمكان اختراقه واللعب بعواطفه كيفما شاؤوا ومتى ما شاؤوا، وهذا ما شاهدناه في عصرنا الحالي كيف أصبحت الحركات والجماعات المنحرفة -والمنتمية في أغلبها إلى التيارات الوهابية- ألعوبة في أيدي الكفار يسيرونهم كيفما شاؤوا لضرب الإسلام من حيث لايشعرون، وسوف أذكر هنا بعض النماذج لأحاديث إسرائيلية في التوراة وعلاقتها بعقائد المشبهة، ولمعرفة مزيد من الاختراقات الاسرائيلية ارجع إلى موضوع السنة النبوية في هذا الكتاب:

اليهود يثبتون الذراع لله جاء في التوراة المحرفة: "هل لك ذراع كما لله" سفر أيوب الباب الأربعين، وقريبا من هذا الكلام الحديث المكذوب الذي رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل «خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر»[١].

تقول توراتهم المحرفة : "يكون الثلج من نفس الرحمن"، ويروي عبد الله بن أحمد بن حنبل «لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن»[٢].

تقول توراتهم المحرفة: "يوم خلق الله الإنسان على شبه الله خلقه" سفر

(١) كتاب السنة ص٥٦.
(٢) كتاب السنة ٢/٥١٠.

التكوين، ويروي البخاري في صحيحه كتاب الإستئذان «خلق الله آدم على صورته» إلى آخر الحديث، وأصرح منه ما رواه عبدالله بن أحمد بن حنبل «خلق الله آدم على صورة الرحمن»، وقد علق على هذا الحديث بقوله: رجاله رجال الصحيح، وقد لقي هذا الحديث تأييد ابن باز في فتاواه، وابن تيمية، وكبار أئمة السلفية، وهناك كثير جدًا من الروايات الموجودة في كتب اليهود تشابه كثيراً الروايات الموجودة عند الوهابية.

الجهل بلغة العرب والرواسب الجاهلية:

يعد سببا آخر في الوقوع في التشبيه والتجسيم، والملاحظ أن معظم أئمة التشبيه هم من الأعاجم الحديثي عهد بالوثنية، ونتيجة جهلهم بلغة العرب، ووجودِ رواسب وثنية، وبُعدِهم عن ورثة الكتاب، فسروا ظاهر القرآن تفسيرا ينم عن جهل شديد باللغة العربية، والفهم البديهي الفطري، ولقد قسم علماء اللغة عموم الكلام إلى حقيقة ومجاز، وقالوا الأصل في الكلام الحقيقة ولا يجوز الخروج عن ظاهره إلى مجازه إلا بقرينة صارفة، ومثلوا لذلك بأدلة كثيرة تثبت بأن هناك في القرآن والسنة النبوية ألفاظا مجازية لايراد ظاهرها، وهي مسألة بديهية لا تحتاج إلى تعقيد، من تلك الأمثلة:

أ) المجاز في القرآن:

قال تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التوبة ٦٧] ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ﴾ فظاهر هاتين الآيتين غير مراد لمن يتدبر، أليس يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: ٦٤] ولا يصح أن يقال: ينسى لا كنسياننا أو بما يليق بجلاله وعظمته فظاهر الآية غير مراد لذلك تصرف إلى معناها المجازي وهو الكناية عن الترك والإهمال، وهذه مسألة بديهية لا تحتاج إلى تبحر في اللغة.

قال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ..﴾ [يوسف: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣] فلا القرية تُسأل، ولا العير ولا الحبل المعروف على حقيقته مطلوب، وإنما المراد بالقرية أهلها، وبالعير أصحابها وبالحبل صراط الله المستقيم الذي هو الكتاب والعترة.

وقد طرحت هذه المسألة في زمن الأئمة سلام الله عليهم وكانوا يتصدون لها بالرد والتبيين.

روى العلوي عن عبيد الله بن العلاء قال: سمعت سعيد بن بارق يقرأ على الإمام زيد بن علي عليهما السلام شيئا حتى انتهى إلى قوله سبحانه وتعالى ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فوقف، قال الإمام زيد بن علي ما يوقفك؟ قال جعلت فداك أي مكر الليل والنهار وهما لا يمكران؟

قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: وهذا الحرف أو أعجبك فله مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] والقرية لا تُسأل إنما يُسأل أهلها ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾ [الكهف: ٥٩] أي أهلها مجاز ذلك على ما يفعلون والعرب تقول: بنوا فلان تطؤهم الطريق أي أهل الطريق لأن الطريق لا تطأ وقولهم: مازلنا نطأ السماء حتى جئناكم، أي ماء السماء والسماء لا تطأ.

وكذلك بل مكر الليل والنهار، وكذلك في ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة ١٨٩]، ومن اتقى ليس البر ولكنه البار والبر فعله.

و﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[لقمان:٢٨] أي كخلق نفس واحدة[1]...

وكذلك قوله سبحانه وتعالى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢] فليس هناك ثم جناح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا ثَمَّ يدان لكتاب الله عز وجل، فلا تعلق هنا بالمعنى الظاهري أبدا.

ولو أردنا حصر الآيات المجازية في القرآن لاحتجنا إلى مجلد كامل كما فعل ذلك الشريف الرضي في كتابه المعروف بـ«تلخيص البيان في مجاز القرآن».

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام زيد بن علي عليه السلام ص٣٣٤.

ب) المجاز في كتب الوهابية

والغريب أن الوهابيين غفلوا أو تغافلوا عن كثير من الأحاديث والمرويات الموجودة في كتبهم التي لا يراد ظاهرها وهذا معروف بالبديهة ويتبادر للذهن دون الحاجة إلى تبحر في اللغة، ونذكر هنا بعضًا منها كي تكون حجة عليهم وقاطعة لعنادهم: :

١- ثبت في صحيح مسلم / الحديث رقم ٢٥٦٩ عن رسول الله (ﷺ) أن الله تعالى يقول: يابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده...».

فهل يعقل أن يمرض الله بمرض عبده؟ وهل صحيح أننا إذا عدنا المريض فسنجد الله؟!!! الحديث دليل قوي على ظهور المعنى المجازي فيه كما قال العلماء، بل حتى دون أن يقولوا فهذا المعنى هو المتبادر إلى الذهن بالبديهة، فإضافة المرض إلى الله سبحانه وتعالى والمراد عبده ما هو إلا تشريف للعبد وتقريب له، وقالوا: معنى وجدتني عنده أي وجدت ثوابي وكرامتي.

٢-ثبت في صحيح البخاري أن النبي (ﷺ) قال: إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بأحب مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها...) فهل حقا أن سمع وبصر ويد أولياء الله هو الله بذاته؟ بل وهل يعقل أن يكون الله أرجلهم التي يمشون بها!!! أم أن المراد معان مجازية؟ والمراد أن الله يؤيدهم فهم لا يسمعون ولا يبصرون ولا يبطشون ولا يمشون إلا لله وفي الله وفي كنف ورعاية الله ونصرته وتأييده.

ثبت في صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء عن ابي ذر أن الله عز وجل يقول في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني، فإن ذكرني... وإن اقترب إلي شبرا، تقربت إليه ذراعا، وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا، وإن

أتاني يمشي أتيته هرولة» فالتقرب ضرب مثل لإنعام الله على عبده والهرولة لزيادة الإنعام بزيادة الطاعة من العبد.

بعد عرض هذه الآيات والأحاديث أصبح من السهل أن نقول إن هناك الكثير من الآيات والأحاديث ليس المراد ظاهرها ولكن المراد روح الآية أو بما بات يعرف بالمعنى المجازي.

ومن آثار جهل الوهابية باللغة أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هي إضافات، وليس كل مضاف صفة، فقوله تعالى على سبيل المثال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠] فاليد هنا مضاف وليست صفة ولم يَرِدْ في القرآن ذكر لليد والوجه والساق على أنها صفات لله سبحانه وتعالى إلا في مخيلة وقواميس الوهابية.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] ولما كان المعلوم من لغة العرب أنه ينقسم إلى حقيقة ومجاز، فإذا ما رأينا آيات كالآيات التي تذكر الوجه واليد والساق فالمعنى المتبادر للذهن عند من صفت فطرته يؤخذ من السياق ومن القرائن المحيطة ومن البديهيات الفطرية، فقد يكون المقصود المعنى الحقيقي أو المجازي، فالوجه يطلق حقيقة على عضو من الإنسان مخصوص بما فيه من عينين ولسان وشفتين، ومجازا يطلق على ذات الشيء كما يقال: هذا وجه الرأي أي هذا هو الرأي بذاته، وكذلك يطلق مجازا على أول الشيء كقوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢] فأين وجه النهار وأين آذانه ولسانه؟

الوهابيون يتأولون ولكن ...:

فإما أن يحملوا الآيات على ظاهرها ومعانيها الحقيقية مخالفين بذلك ما يتبادر للذهن وما ينسجم مع الفطرة، فيثبتوا لله وجها كما هو معروف في اللغة وهو العضو المخصوص المؤلف من خدود وأنف وعين وفم، وكذا يثبتوا له يدا حقيقية مؤلفة من أصابع وراحة، وإما أن يحملوها على معانيها المجازية المستخدمة في لغة العرب بما يتناسب مع عظمة الله سبحانه وتعالى ويجعلوا الآيات النافية للتشبيه

كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] قرينة صارفة لظاهر الآية إلى مجازها، ولكن الوهابية أخرجوا الألفاظ عن معانيها الحقيقية والمجازية وأثبتوا لها معان لا توجد في لغة العرب ولا توجد إلا في أذهانهم وبذلك أخرجوا القرآن عن أن يكون عربيا، فهم في الحقيقة متأولون وليسوا بباقين على ظواهر القرآن والسنة كما يدّعون، والفرق بينهم وبين أهل البيت أن أهل البيت عليهم السلام يتعاملون معها على مقتضى لسان العرب.[1].

٢- فساد القلب وضعف خاصية التدبر والتعقل لديهم:

إن للانحراف وفساد القلب وعدم تزكية النفوس دور كبير في تقبل الأفكار والعقائد الكفرية المنحطة، والملاحظ أن المجتمعات التي أصيبت بالوباء الوهابي هي من أكثر المجتمعات المهيئة للانحراف الأخلاقي وهذا هو الحاصل الآن في السعودية في موسم الرياض وفي الإمارات وفي بقية الدول الخليجية إلا ما رحم ربك، ويعتبر الفكر الوهابي فكرا منحطا يهيئ النفوس للانحراف الأخلاقي وللانحطاط العقائدي، فلذلك لا غرابة أن يتقبل من تشبع بالوهابية مثل هذه الأفكار والعقائد البشعة، وكذلك يعتبر ضعف خاصية التدبر والتعقل الفطري لكتاب الله مشكلة من مشاكلهم الكبيرة، فكثيرا ما كنت أتكلم مع بعض الوهابية ونتبادل الحديث في جوانب كثيرة وخصوصا في الجوانب العقائدية لدى المدرستين مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الوهابية، وكنت أجد منهم تغييبا تاما لدور التدبروالتعقل ورفضا تاما لإعمال ذلك في تدبر آيات القرآن وسنة النبي -صلوات الله عليه وآله- للوصول إلى الحقيقة، وكثيرا ما كنت أسمع منهم عبارة «نحن يجب أن نُقر ونَمر"، وأذكر يوما بل أياما أنني تكلمت معهم بخصوص حديث النزول فقلت لهم الحديث المروي في صحيح البخاري يقول: «إن الله ينزل ثلث الليل إلى السماء الدنيا» فهل المراد بالنزول نزول الرحمة والعفو الإلهي من باب المجاز، أم نزول الملائكة أم انها بضم الياء أي (يُنزل) كما ذكر ضمن آراء متعددة للعلماء، أم أن المراد أن الله ينزل بذاته؟ فيجيبون بلا أدنى تفكير: بل ينزل بذاته. فقلت لهم: إن معنى كلامكم

(١) نظرة وبيان ص٢١.

هذا : أن الله ينزل إلى السماء الدنيا ولا يصعد بعد ذلك أبدا لأن ثلث الليل باق في الأرض لا يزول ؛ فإذا اختفى ثلث الليل من جزء من الأرض فهو في جزء آخر وهكذا باستمرار، كما أقره علماء الفلك نتيجة لكروية الأرض، هذا من جهة ومن جهة أخرى كيف يستقيم ذلك مع الحديث المروي في البخاري من أن السموات على إصبع من أصابع الرحمن؟ فإذا كانت السموات كلها على إصبع كيف ينزل من العرش إلى السماء الدنيا إلا إذا كنتم تؤمنون بأن لله صفة التمدد والانكماش؟ والأغرب من ذلك أن السموات والأرضين لا تساوي شيئا أمام العرش فعلى كلامكم يصبح المولى شيئا صغيرا جدا بجانب العرش وتحويه الأماكن وتحده الأقطار، وهذا هو الحلول والتشبيه بعينه، ثم ألم يكن الله سبحانه وتعالى موجوداً ولم يكن هناك سماءٌ ولا أرض ولاعرش ولا كرسي ولا مكان ولا زمان؟ ويوم القيامة سيفنى كل شيء ولن يبقى إلا الله، كل ذلك يدل أن الله سبحانه ليس بحاجة الى المكان وأنه منزه من التحيز والحلول، وبعد كل هذا الكلام والشرح لمحاولة إقناعهم للعدول عما هم عليه أُفاجأ برد على وتيرة واحدة، وكأنك تستمع إلى شريط كاست مكرر «يجب علينا أن نؤمن بذلك بلا كيف»، وهذا يدل على مسخ عجيب للفطرة وضلال رهيب، وأخبرني أحد الإخوة أن أحد طلاب جامعة الإيمان (جامعة وهابية) أجابه بقوله: في مجال العقيدة يجب أن تضع تعقلك وتدبرك للأشياء تحت أرجلك!! وعندما يكون التعقل تحت الأرجل لا ننتظر إلا عقائد تخرج أناسا لا يفرقون بين الناقة والجمل.

قرناء القرآن والتعقل:

أدرك أئمة أهل البيت أكثر من غيرهم من الأئمة أن التعقل والتدبر لكتاب الله وصفحات هذا الكون نور يدرك الإنسان به ويميز به بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين الممكن والمستحيل.

والتعقل والتدبر مما ييسر فهم القرآن ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقد بشر الله أهل التعقل والتفهم للقول الإلهي فقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ

ٱلْأَلْبَٰبِ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨] وذم الذين لا يعقلون فقال: ﴿۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]، ولذلك نجد القرآن الكريم استخدم خاصية التعقل الفطري في إثبات مسائل أصول الدين في مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۢ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] وقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥]، والمشروع القرآني يثبت مسائل أصول الدين بالاستناد إلى الفطرة والكتب الإلهية والأنبياء ولا يلغون دور التدبر والتعقل الفطري، فالنفس البشرية تتعقل الأمور وبالذات عندما تستنير بالقرآن وبالأعلام[1].

مناقشة الوهابية في بعض الآيات

عندما تدخل إلى القرآن بروحية إيمانية وبصفاء فطري فإنك تتلو آيات الله لتجلو الصدأ الذي يصيب القلب؛ فإذا ضاقت عليك الأرزاق وتلوت قول الله ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ تثق بأن الله له خزائن السموات والأرض، وإذا تكالب عليك الأعداء وتآمروا وتلوت قول الله ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤] تستحضر مشاعرك معية الله وتأييده لعباده، وعندما تتلو قول الله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] تدرك يقينا مدى افتقارنا إلى الله وأن الكل سيفنى ولايدوم ويبقى إلا الله فتجيش في نفسك مشاعر الإلتجاء والإعتصام بالله، وعندما تتلو قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]

(١) المقصود بالتعقل هنا ليس كما يذكره المعتزلة من أن العقل جهاز مستقل يقوم بفرز الحق من الباطل تلقائيا، فهذا من أبطل الباطل، فلو كان كذلك لما اختلف الناس فيما بينهم ولكننا وجدنا أصحاب العقول مختلفين، وإنما القصد أن النفس البشرية ترى ببصرها وتسمع بأذنها وتعقل بقلبها، فالنفس هي من تتعقل الأمور وهي بحاجة إلى هدى الله كي تتعقل بكل سليم، ومما يعين على التعقل بشكل سليم البديهيات الفطرية التي فطر الله الناس عليها.

﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨﴾ [الأنبياء: ٧٨] تستحي من أن تعصي الله وأنت تحت رقابته ورعايته وهو شهيد عليك، وهكذا يفهم القرآن من صفَتْ فطرتُه وزكَتْ نفسُه.

لكن عندما تدخل إلى القرآن بروحية وهابية تتحول كل تلك المعاني السامية والمشاعر الإيمانية إلى مشاعرقاسية وجافة ووقحة تشبّه الله بخلقه وتثبت له الجوارح والأعضاء، ولذلك سنبين ونناقش الوهابية في بعض الآيات التي جهلوها وأهانوا قدرها.

١/ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤] قالوا فالله أثبت لنفسه اليدين فيجب أن نؤمن بذلك بلا تأويل ولا تعطيل.

كما تشاهد فإن ضحالة التعقل للوهابية والإنحطاط النفسي وتلوث الفطرة بل والتعصب المذهبي أيضا الذي وصلوا إليه كان عائقا كبيرا أمامهم منعهم من فهم الآيات التي يفهمها جميع الناس ممن لم يصابوا بداء التشبية، ولذلك نرى أن لا تناقش هذه المواضيع إلا مع من أصيب بهذا الداء وأن لا ينشغل الناس كثيرا بالرد على هؤلاء؛ لأن التشبيه مرفوض فطريا، ومن غير المناسب أن يقتصر الناس في معرفة الله على موضوع نفي التشبيه وينسوا مواضيع المعرفة بالله الواسعة في القرآن الكريم، ولأن هؤلاء حقيقة ليس لله احترام في نفوسهم تراهم بكل بساطة يثبتون أعضاء للإله، ولم يكلفوا أنفسهم حتى بربطها مع سياقاتها، فمثلا يستدلون على اليدين بقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] مجردة ومسلوخة من سياقاتها، ولو أنهم قرؤوا سياق الآية لما وصلوا إلى هذه النتيجة، فلو تتبعت الآية من صدرها وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤] لعلمت أن اليهود اتهموا الله بالبخل وعلى ذلك إجماع المفسرين سنة وشيعة، ولم يتهموه بأن يده مقيدة إلى عنقه -تعالى الله عن ذلك- كما يفيد ظاهر الآية، ولذلك ردّ عليهم سبحانه بقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] فلو كان المراد ظاهر الآية أي قيدت إلى أعناقهم لخالف الواقع والحقيقة من أن اليهود أيديهم محررة وليست مقيدة بل

ويستعملونها في سفك دماء إخواننا من الفلسطينيين، ولذا لزم أن يكون المعنى المجازي هو المراد أي أُلزموا البخلَ فهم أبخل الناس، ولما كانت شبهتهم هي دعوى البخل في حق الله -تعالى عن ذلك- كان لزاما أن يكون الرد من مخرج الشبهة وهو أنه سبحانه كريم بل وبالغ في الكرم فقال سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] كناية عن الكرم بدليل قوله بعد ذلك: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] إذًا المسألةُ مسألةُ إنفاق وتقتير وليست مسألة تقييد اليد للعنق أو فرشها كما توهم السلفيون، ومثل هذا المجاز مذكور في كتاب الله سبحانه وتعالى كقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝٢٩ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ..﴾ [الإسراء: ٢٩- ٣٠] "ألا ترى أنها مشابهة للآية السابقة؛ هناك يد مغلولة نهى عنها ويد مبسوطة كل البسط نهى عنها وكل هذا لا حقيقة له باتفاق، فليس هناك يد مغلولة ولا مبسوطة وإنما معناه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧] وارجع بهذه الآية إلى قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة: ٦٤] ألا يظهر لك أن مخرجهما واحد وأنهما يؤديان غرضا واحدا؟!"(١)

وقد جلست مع كثير من الوهابيين وتناقشنا حول هذه الآية وكنت أسعى جاهدا لثنيهم عن معتقدهم ورؤيتهم الخاطئة، ولكني كنت أواجه بكلمات تنم عن تحجر وانحطاط، وضلال رهيب، ما أكثر ما سمعناها حتى أصبحت (كاست) مكرر يسقط على آذاننا كلما تكلمنا معهم مثل قولهم «نُقِر ونَمُر»، «لانقول إلا ماقاله السلف».

وسرعان ما يقولون لك إن الله ذكر اليد مثناة ولا تثنى اليد إلا للحقيقة وليس للمجاز، فقلت لهم أين تذهبون بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧] فأين يدي المطر بل أين يدي القرآن الذي نقرؤه باستمرار فلا يستطيعون جوابا إلا بتلك الكلمات المتوارثة.

(١) قراءة في كتب العقائد ص بتصرف٢٥٠.

كلام الإمام زيد في تفسير هذه الآية

أخرج العلوي عن عمارة قال: حدثني عبيد الله بن العلاء قال سمعت زيدا عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

قال عليه السلام مجاز الآية النعمة منه والفضل وقوله تعالى: ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] يدل على ذلك، وقد يقول الرجل من العرب لفلان علي يد أي نعمة، وقد قال علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩] قال: لا تمسك يدك من النفقة في حق بمنزلة المغلولة يده إلى عنقه.

وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥] أي توليت أنا خلقه بغير أبوين، كقوله يداك عملت هذا، [وكقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]](١) أنت فعلته ولم تعالجه بيدك، وأنت عملت هذا بيدك ولعله إنما قاله بلسانه ولم يعمل شيئا بيده (٢) (٣).

---

(١) ما بين المعكوفتين من تصرفنا.

(٢) أ. هـ مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام ص٣٣٧..

(٣) ذكر بعض معاني اليد في اللغة:

القوة قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾ [ص: ١٧].

الذات قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

الأمام أو المتقدم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ﴾ [فصلت: ٤١].

النعمة يقال له علي أياد بيضاء. انظر مختار الصحاح.

الطاقة والقدرة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يأجوج ومأجوج: ((لا يدان لأحد بقتالهم)) رواه مسلم ٤/ ٢٢٥٣ ذكر النووي في شرحه أي لا طاقة ولا قدرة.

التصرف المطلق والملك، يقال الدولة في يد رئيسها أو بيده، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: ١].

المساندة والعهد والتعاون كأن يقال لنضع أيدينا فوق بعض لبناء المنزل أي لنتعاون ونتساند، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠].

النصح والإرشاد، يقال أسلم فلان على يدي الشيخ الفلاني أي بنصحه وإرشاده.

(٩) يد بلا كيف: بدعة لغوية لا ذكر لها في قواميس اللغة.

٢/ قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

قالت الوهابية من أهل السنة إن هذه الآية دليل على أن لله وجها -تعالى الله عن ذلك- وهكذا تظل هذه العقلية تحكم غلاة أهل السنة، يقول أحد الدعاة «بتصرف»: دخلت ذات يوم جامعا من جوامع نيجيريا فإذا أنا بشيخ وهابيّ يخطب في الناس قائلا: «إن لله يدا يقول سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وله ساق يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] وله وله .. وله وجه يقول سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فاستوقفته قائلا يا أخي ما هذا الكلام الذي تقوله ألا تعلم أن لغة العرب فيها الحقيقة والمجاز، والآيات التي ذكرتها ليس المراد ظاهرها؛ لأن الله ليس كمثله شيء، فقال الشيخ بل نحن نؤمن بأن لله يدا وأن له ساقا وله وله وجها بلا كيف ولا نؤول ولا نعطل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ قال الداعية، فاستوقفته قائلا ياشيخ لقد زدت الطين بلة ؛ إذا كنت تقول إن لله يدا وساقا وقدما إلى جانب الوجه معنى ذلك أن هذه الأعضاء سوف تهلك ولن يبقى إلا الوجه أليس يقول سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فسكت الشيخ ولم يرد جوابا [1]، ولو أن الشيخ أنصف لذكر أن المراد بالوجه هنا الذات الإلهية وليس العضو المخصوص الذي تعنيه السلفية، وهذا هو الواجب في حقه سبحانه وتعالى، ولكي تعلم المراد نحيلك إلى أئمة الهدى ومصابيح الدجى قرناء القرآن ليزيلوا عنك شبه التشبيه بأكف التنزيه.

كلام الإمام القاسم الرسي عليه السلام في معرض رده على المشبهة:

"وإن فرقة من البدعية استعجمت في كتاب الله وسارعت في تأويله من غير فصاحة بالتأويل ولا فهم في التنزيل ولا آلة في العلم باللغات، فتأولت بالعجمة إذ تأولته، ولما سمعوا كلام الله وما فيه من قول المطعمين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] وقوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، إن لله -عز عن ذلك- وجها كوجه

(١) مع الصادقين.

الإنسان، ونحن سائلوهم وبالله نستعين ماذا أراد الله بقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧] شيء منه دون شيء؟ أم هو الله تبارك وتعالى يبقى؟! لأنه ليس بذي جوارح متفاوتة؟ فإن رجعوا إلى النظر وتصفية الجواب علموا أن الله أراد بقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ يعني يبقى ربك، وأنّ كل شيء غيره فان؛ لأن الله ليس مبَعّضًا يبقى وجهه دون أبعاضه، تعالى الله عن التبعيض، فإن تقحم ذو حيرة غمرات الكفر وزعم أن له أبعاضا أحدها وجه!! قيل له أخبرنا عن تلك الأبعاض التي أحدها وجه تفنى دون الوجه؟! فإن زعم أنها تفنى دون الوجه صرح بشركه، وإن زعم أن الأبعاض التي هي غير الوجه تبقى مع الوجه، قيل له من أين قلت أن كلها تبقى؟ وقد قال الله عز وجل في كتابه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ولن تجدوا حجة تدفعون بها الفناء عن الأبعاض التي هي سوى الوجه إلا أن ترجعوا إلى قولنا"[1]..

وفي معرض ذكر معان الوجه في مثل تلك الآيات المتشابهة يقول الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام: إن معنى الوجه في الله سبحانه وتعالى عن كل شان شانه هو الله وإنه ليس بذي أعضاء ولا أبعاض ولا أجزاء، وذلك فمعروف في العربية، يعرفه كل من فارق لسان الأعجمية، من ذلك ما تقول العرب: هذا وجه بني فلان، تريد أنه المنظور إليه منهم... وتقول: هذا وجه الرأي، أي محضه وصدقه وصوابه في كل أمر وحقه، لا أن له وجها كما يعرف من الوجوه المخلوقة في البشر المجعولة له المقدرة المركبة المصورة، وفي ذلك وما كان كذلك ما يقول الشاعر:

وقد يهلك الإنسان من وجه أمنه ... وينجو بإذن الله من حيث يحذر

... ومما يحتج به أهل اللغة، وبما قالت في ذلك، ما يقول العلي الأعلى، مما بين فيه أن وجهه هو لا بعضه ما يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم: ٣٩] فقال تريدون وجه الله وإنما أراد سبحانه تريدون الله... وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢] فقال من أسلم وجهه أراد بذلك سبحانه من أسلم نفسه لربه، واستسلم له في جميع أموره،

(١) مجموع رسائل الإمام القاسم الرسي عليه السلام ١/ ٤٧٢.

وأخلص له سبحانه دينه، وقال جل جلاله عن أن يحويه قول أو يناله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣] فأمره بإقامة وجهه للدين والإخلاص في ذلك لرب العالمين، ولم يرد الوجه دون القلب وسائر الأبعاض والأعضاء وإنما أراد بذلك العلي الأعلى... وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آل عمران: ٧٢] فلم يرد سبحانه فيما ذكر عنهم أن للنهار وجها... وقال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ [المائدة: ١٠٨] يريد على حقيقتها وصدقها.(١)

٣/ ﴿..تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، ﴿..فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]:

استلهم الوهابيون من خلال هذه الآيات أن لله عينين اثنتين وأن العين في الوجه!! رغم عدم وجود نص يفيد أنها اثنتين؛ لأن الأعين جمع وليس تثنية، كما أنه لا نص يفيد بأن العينين في الوجه إلا إذا كانت كلتا القضيتين من باب قياس الخالق على المخلوق وهذا هو التشبيه بعينه، والحق أن معنى الآيتين واضح لكل ذي لب ولولا العصبية لما احتجنا إلى توضيح ذلك، لذلك نقول للوهابية إما أن تأخذوا بظاهر الآيتين وهو أن السفينة كانت تجري بأعين الله وليس في البحر كما هو المعلوم!! وإما أن الظاهر غير مراد وهذا هو الحق فيكون المعنى أن السفينة تجري برعايةٍ ومرأى منا، وهذا هو المعنى المتبادر للذهن لكل من صفت فطرته ولم يكابر ويعاند، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ظاهر الآية أن أعين الله مكان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك فهو غير مراد، والمراد هو المجاز أي بحفظنا ورعايتنا، وكغيرها من الألفاظ العربية تحتمل العين معان عديدة أوردناها في الهامش، ومن خلال السياق والقرائن والبديهيات الفطرية يفهم المعنى(٢).

---

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي ص١٢٢.

(٢) بعض معاني العين:

- عين الماء: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾[الغاشية: ١٢]، ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢].
- الجاسوس: يقال: هذا عين للعدو. مختار الصحاح.
- الذات: إنه هو بعينه أي بذاته. مختار الصحاح.
- الحفظ والإكرام: ((أنت على عيني)). مختار الصحاح.

٤/ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الحديد: ٤]

يقول الشهيد القائد رضوان الله عليه: فهو قادر على كل شيء، من خلق السموات والأرض في ستة أيام هو قادر على كل شيء، أفلا يكون قادراً على أن ينجز لأوليائه ما وعدهم به في الدنيا؟! لكن من الذي يثق؟. الذي يثق من يعش حضور الله في ذهنيته وشهادته على كل شيء، من يكرر تدبره في القرآن الكريم وتأمله في القرآن الكريم، ويلغي عبارات الآخرين القاصرة في مجال معرفته، اللهم إلا من كان أسلوبه يدور حول أسلوب القرآن الكريم كأئمة أهل البيت القدامى الذين لم يتأثروا بالمعتزلة ولا بغيرهم، كالإمام الهادي والإمام القاسم بن إبراهيم، وفي ما نجد في [نهج البلاغة] من فقرات جميلة جداً في الحديث في مجال معرفة الله سبحانه وتعالى، هؤلاء هم من يَدُوْرُوا حول القرآن.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الحديد: ٤] الآيات من أولها هي تتحدث عن ماذا؟ عن عظمة الله سبحانه وتعالى، عن مظاهر قدرته العجيبة، هو خلق السماوات والأرض تحدث عن خلقها عن تكوينها، أليست هذه آية عظيمة على قدرته؟ على حكمته؟ وأنه وحده الذي له ملك السماوات والأرض؟.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ نأتي إلى الحديث عن كلمة: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ بالمعنى الذي يقول الآخرون، أي: هناك عرش استوى عليه استواءً يليق بجلاله! انظر كيف ستهبط الآية إلى أحط مستوى؟ ما قيمة أن يقول الله لنا الله سبحانه وتعالى بأن هناك عرشاً هو يستوي عليه؟. ما قيمته بالنسبة لنا في مقام الدلالة على قدرته سبحانه وتعالى، على تدبيره، على حكمته، على عظمته وجلاله!. هل يمكن لأي شخص منا أن يتحدث بأن له سرير نوم [يرقد] عليه في بيته ما قيمة هذا؟ أن أقول: فلان عظيم وهو من أولياء الله وهو كذا وهو كذا ومعه أيضاً سرير في غرفته ينام عليه. هل لهذا الكلام قيمة؟. أو له كرسي في صالته يستوي عليه!.

القرآن الكريم كل مفردة داخله لها أهميتها ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] يتحدث عن خلق السماوات والأرض ويقول: وله أيضاً عرش يجلس عليه! ما قيمة

هذه في مجال حكمته؟ في مجال قدرته؟ في مجال ماذا؟ بل قد تستوحي منها على هذا النحو: بأنه [ثم تعب ورجع يرتاح قليل على الكرسي حقه] هذا في منطقنا نحن نقول هذا: [عملتُ إلى بعد العصر وعدت إلى البيت لأستريح فألقيت بنفسي على الكرسي] ألسنا نقول هكذا؟ حينئذٍ يكون كلامك على الكرسي في مكانه صحيح؟ لكن في الدلالة على ماذا؟ على التعب، أنك قد تعبت.

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الحديد: ٤] عندما يقولون: هناك عرش، يعني: سرير أو كرسي، فالله استوى عليه. ولكن قالوا: كيف استوى عليه؟ هل جلس كذا أو كذا؟ قالوا: استواء يليق به، لكن ما الذي قد ثبت في الصورة؟. هو أن هناك عرش، والله جاء فوقه، [لكن ما درينا كيف يكون استواؤه فوقه؟]. أليس هذا الذي يحصل في الذهنية؟. هناك عرش وهناك جلس فوقه، على حد عبارة من يقولون استواء يليق به.

كلمة: استوى على العرش تبين لك أن الله من حيث المبدأ خلق السماوات والأرض، كوّنها، لكن السماوات والأرض شؤونها واسعة، مملكة عظيمة، مملكة واسعة، شؤونها كثيرة جداً ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن: ٢٩] ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السجدة: ٥] شؤون مملكته في اليوم الواحد ينجز فيها ما لا ينجز إلا في ألف سنة مما نعد، فهذا الكون الذي خلقه لم يخلقه ثم يرمي به هناك، خلقه ثم اتجه إلى تدبيره، إلى تدبير شئونه، تدبير شؤون هذا العالم الفسيح، وهذا هو ما يعبر عنه [بالعرش] الذي يعني: السلطان والمملكة.

الاستواء على العرش معناه: ثم اتجه نحو تدبير شؤونه، هو خلقه ثم دبره، وجاء صريحاً هذا في أول [سورة يونس]، ومعظم ما تأتي عبارة: [استوى على العرش] تأتي في مقام عرض لمظاهر قدرته سبحانه وتعالى ففي أول [سورة يونس] يقول تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ﴾ [يونس: ٣] يدبر الأمر.. وهم يقولون: [استواء يليق به، وفي الأثر: استواء يليق به!!] وأينما وصلنا عند: [استوى على العرش]: استواء يليق به!

فهم مغلوط للقرآن، بل حط، حط لعظمة القرآن وحكمته. أي: أنه خلق وعندما

خلق هذا الكون الفسيح ذو الشؤون، ذو الشؤون الكثيرة لم يتخلّ عنه، هو وليه، هو ملكه، هو من يدبر أمره، هو حكيم، هو حكيم لا يخلق شيئاً هناك ثم يرم به، ثم ما عاد له حاجة منه.

اتجه إلى تدبير شؤونه، وهذا ما يعني في اللغة العربية، العرب يسمّون المُلك والسلطان ولاية الأمر يسموها العرش، عرش المملكة، هو أساساً مأخوذ - في لغة العرب، وفيما هو معروف - من الأشياء عند الملوك هو أن يكون للملك عرش يجلس عليه، لا يجلس عليه إلا الملك، حتى ولي العهد يكون له مقام آخر، هذا العرش الذي هو أصله كرسي، كرسي مزخرف كبير مفخم، يضفي على الْمَلِك هيبة أيضاً. عرش، عرش تكرر في الذهنية استخدام [عرش .. عرش..] ثم أصبحت العبارة تعني: المملكة والملك.

والقرآن الكريم هو قرآن عربي، هو قرآن عربي، بلسان العرب، وبأساليب العرب يتحدث، فقال: هو خلق هذا العالم السموات والأرض، ثم اتجه نحو تدبير شؤونها؛ لأنه ملكها، عبر عن المسألة بالعبارة المعروفة لدى العرب [الاستواء على العرش].

أذكر أنه في الأردن قبل فترة طُبِع دينار أردني مكتوب فيه: [بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما من الاستواء على العرش] أو بعبارة تشبه هذه، في الدينار الأردني طبعوه، معروف إلى الآن.

ألسنا نقول: أن المسؤول همه الكرسي، ماذا تعني هذه، عبارة [كرسي]؟ المنصب، المقام، الرتبة التي هو فيها، لا تزال الكلمة معروفة لدينا إلى الآن تستعمل، التعبير عن الملك، عن المنصب، عن المقام بما هو عادة يكون متوفراً لدى الملوك ولدى المسؤولين، فنقول: الرئيس ما همه إلا الكرسي، رئيس الوزراء همه الكرسي، وزير الخارجية همه الكرسي، ألسنا نحن نقول هكذا؟.

الذي يسمعك تقول ما همه إلا الكرسي، هل ممكن أن يقول لك: [يا أخي نحن سنبحث له عن كرسي ونوصله إلى بيته من غير أن يزعجنا]، هل أحد سيقول كذا؟. لا أحد يقول لك هذا، هو فاهم أنه يعني: همه المنصب، همه الملك، همه الزعامة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس: ٣] مثل

عبارة سورة الحديد ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [يونس: ٣] تذكرك نفس الآيات في [سورة الحديد]. بما هو بمعنى: يدبر الأمر الذي جاء في [سورة يونس] ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ [الحديد: ٤] أليس هذا هو تصرف المُلْك، تصرف الْمَلِك؟. هذا معنى ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ﴾ [يونس: ٣١]»[1].

وهكذا وقف أئمة أهل البيت عليهم السلام وقفة مشرفة في توضيح عقائد الإيمان، والحق أنهم فرسان الحق.

وكثيرة هي الآيات التي اغتر بظواهرها الوهابيون نتيجة الانحطاط في النفوس والجهل باللغة، ولكن هذا الكتاب غير مخصص لذلك ومن أراد أن يتزود ويستنير بعقائد أهل البيت للتعرف أكثر على الحق فعليه بدروس معرفة الله للسيد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه، ومجاميع الأئمة عليهم السلام وخصوصا المجاميع العقائدية للإمام زيد بن علي والإمام القاسم الرسي والإمام الهادي عليهم السلام.

❖ ❖ ❖

(١) الدرس السادس من دروس معرفة الله للشهيد القائد.

العدل الإلهي

شكلت هذه المسألة نقطة ساخنة من نقاط الجدل بين أئمة أهل البيت عليهم السلام والوهابية ونحوهم من أهل السنة، وكانت تأخذ أبعادا وعناوين عديدة؛ فتارة تكون باسم القضاء والقدر، وتارة باسم الجبر والاختيار، ولا شك أن هذه المسألة من المسائل الكبيرة التي تعنى بقضية مهمة جدا وهي مسألة الحرية الإنسانية ومدى مسؤولية الإنسان تجاه عمله وفعله، ففي الوقت الذي يجعل القرآنُ الإنسانَ مسؤولًا عن أفعاله الاختيارية مسؤولية كاملة ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٤]، تقف المدرسة الوهابية ونحوهم من أهل السنة موقفا سلبيا من الحرية الإنسانية، فهم يعتقدون أن الإنسان ما هو إلا كالريشة في مهب الريح، وإن لم يصرحوا بذلك ولكن يفهم ضمنيا من كلامهم، فلذلك يؤمنون بأن كل صغيرة وكبيرة قد قضى الله بها وقدر من غير حول للإنسان ولا قوة؛ يقول النووي (ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى الله، بل العالم ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه، يفعل فيهما ما يشاء، فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان عدلاً منه، ولو نعّم الكافرين وأدخلهم الجنة كان له ذلك)[1].

لا خلاف من أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء وأنه المالك لكل شيء، ولكن ما معنى قول النووي (فلو عذب المطيعين...)؟ ما الداعي لإيراد مثل هذا الكلام؟ وهل يعقل أن يدخل الله سبحانه وتعالى المؤمنين النار والكافرين الجنة؟ هذا جائز عندهم، ولسنا بحاجة إلى كثير عناء كي نفند هذه الترّهات، يكفينا قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩] وقوله عزمن قائل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [يونس: ٥٥].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٠/١٧.

ومن عقائدهم وعقائد أهل السنة الأشاعرة (أن الله يأمر بما يكره وينهى عما يحب... وأن أفعالهم خيرها وشرها من الله)[1].

ويقول ابن عثيمين: «وفيه أيضا المعاصي والفجور والكفر والفسوق والقتل وغير ذلك وكل هذه شر، لكن باعتبار نسبتها إلى الله هي خير؛ لأن الله عز وجل لم يقدّرها إلا لحكمة بالغة عظيمة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها...» [2]

وليت الشيخ أتحفنا بذكر الحكمة من ذلك وأي حكمة هذه التي يقضي فيها الله الحكيم المتعال الزنا والفجور والقتل على عباده ثم يعذبهم بالنار على فعلها بلا ذنب سوى أنه قدرها وكتبها عليهم من غير حول منهم ولا قوة.

ويروي البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: «احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحجّ آدمُ موسى ثلاثا» [3] هذا الحديث يظهر عتاب موسى عليه السلام آدم وإلقاءه باللائمة عليه لخروجنا من الجنة، ولكن نبي الله آدم -حاشاه- يُلقي باللائمة على الله سبحانه وتعالى؛ لأنه هو الذي قدر لآدم العصيان بحسب الرواية، لكن الله سبحانه وتعالى يُكذب هذه الرواية؛ لأنه قال لأبينا آدم وزوجه: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] ولم يقدر عليهما أكلها.

كما روى مسلم في صحيحه عن عائشة أنها قالت: «دعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت: يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال: أوغير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم وهم في أصلاب آبائهم»[4].

(١) المواقف في علم الكلام والفروق للقرافي والمذاهب الاسلامية لابي زهرة ٦٣/١.
(٢) المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية الجزء الأول ص٤٧ مكتبة طبرية.
(٣) صحيح البخاري كتاب القدر باب تحاج آدم وموسى.
(٤) صحيح مسلم كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة

هل حقا أن معشر البشر مجرد دمية تحركها أيدي القدر؟ كل هذه الأحاديث خلقت بلبلة في صفوف المسلمين غير المتمسكين بالثقلين حتى أصبحت القضية من الأمور الغامضة التي ليس لها حل إلا الحيرة والانتظار للقدر المحتوم وها أنا ذا أنقل لك كلام أحد الكتاب الإسلاميين والذي تحول من مذهب السنة وكانت هذه المسألة من بين عدة مسائل سارعت بتحوله هذا، نذكر كلامه بتصرف، يقول: "القضاء والقدر عند أهل السنة.. كان موضوع القضاء والقدر لغزا عويصا فيما مضى من حياتي، إذ لم أجد فيه تفسيرا شافيا ولا كافيا يريح فكري ويقنع قلبي، وبقيت محتارا بين ما تعلمته في مدرسة أهل السنة من أن الإنسان مسير في كل أفعاله... وبين ما يمليه عقلي وضميري، من عدالة الله سبحانه وتعالى وعدم ظلمه لمخلوقاته، إذ كيف يُجبرهم على أفعالٍ ثم يحاسبهم عليها، ويعذبهم من أجل جرم كتبه هو عليهم وأجبرهم عليه.

فكنت كغيري من شباب المسلمين أعيش تلك التناقضات الفكرية في تصوري بأن الله سبحانه هو القوي الجبار الذي ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦]، وقد خلق الخلق وجعل قسما منهم في الجنة وقسما آخر في الجحيم، ثم هو رحمن رحيم بعباده ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤]، ثم هو أحنُّ عليهم من المرأة على ولدها كما جاء ذلك في الحديث الشريف [١].

وكثيرا ما يتراءى هذا التناقض في فهمي لآيات القرآن الكريم؛ فمرة أفهم بأن الإنسان على نفسه بصيرة وهو المسؤول الوحيد عن أعماله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]، ومرة أفهم بأنه مسير وليس له حول ولا قوة، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا رزقا، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨].

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٧٥.

نعم لست وحدي بل أغلب المسلمين يعيش هذه التناقضات الفكرية، ولذلك تجد أغلب الشيوخ والعلماء إذا ما سألتهم عن موضوع القضاء والقدر لا يجدون جوابا يقنعون به أنفسهم قبل إقناع غيرهم، فيقولون: هذا موضوع لا يجب الخوض فيه، وبعضهم يحرم الخوض فيه ويقول: يجب على المسلم أن يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره وأنه من عند الله.

وإذا ما سألهم معاند: "كيف يجبر الله عبدَه على ارتكاب جريمة ثم يَزُجُّ به في نار جهنم؟" اتهموه بالكفر والزندقة والخروج عن الدين إلى غير ذلك من التهم الباردة، فجُمدت العقول وتحجرت، وأصبح الإيمان بأن الزواج بالمكتوب، والطلاق بالمكتوب، وحتى الزنا فهو مكتوب إذ يقولون: مكتوب على كل فرج اسم ناكحه، وكذلك شرب الخمر، وقتل النفس وحتى الأكل والشرب، فلا تأكل ولا تشرب إلا ما كتبه الله لك! على اعتبار أن الكتابة والتقدير ثمرة الفرض والجبر – فلا إرادة للانسان – لا ثمرة العلم والحكمة والسنن الإلهية.

قلت لبعض علمائنا بعد استعراض كل هذه المسائل: إن القرآن يكذب هذه المزاعم، ولا يمكن للحديث أن يناقض القرآن! قال تعالى في شأن الزواج

﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣] فهذا يدل على مزية الاختيار، وفي شأن الطلاق: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩] وهو أيضا اختيار، وفي الزنا قال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ [الإسراء: ٣٢] وهو أيضا دليل الاختيار، وفي الخمر قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١﴾ [المائدة: ٩١] وهي أيضا تنهى بمعنى الاختيار.

أما قتل النفس فقد قال فيها: ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ [الإسراء: ٣٣] وقال: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء: ٩٣] فهذه أيضا تفيد الاختيار في القتل.

وحتى بخصوص الأكل والشرب فقد رسم لنا حدودا فقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف: ٣١] فهذه أيضا بالاختيار.

فكيف يا سيدي بعد هذه الأدلة القرآنية تقولون بأن كل شيء من الله، والعبد مسير في كل أفعاله؟!

أجابني: بأن الله سبحانه هو وحده الذي يتصرف في الكون واستدل بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

قلت: لا خلاف بيننا في مشيئة الله سبحانه، وإذا شاء الله أن يفعل شيئا، فليس بإمكان الإنس والجن ولا سائر المخلوقات أن يعارضوا مشيئته! وإنما اختلافنا في أفعال العباد هل هي منهم أم من الله؟؟

أجابني: لكم دينكم ولي دين، وأغلق باب النقاش بذلك. هذه هي في أغلب الأحيان حجة علمائنا «[1].

العدل الإلهي في منظور أهل البيت عليهم السلام

تساؤلات كثيرة كانت تطرأ على عقول وقلوب كثير من الناس فتثير البلبلة والشك في صدورهم، هل أن المعاصي من زنا وقتل وسرقة وغيرها بقضاء من الله وقدره؟ وهل أن الظلم والاستعباد للشعوب والمستضعفين بقضاء الله وقدره؟ في بيئتنا اليمنية بعد أن استفحلت عقائد وأفكار الوهابية في فترة خمل فيها أتباع أهل البيت عليهم السلام من الزيدية، كنت كثيرا ما أسمع تحليلا عجيبا لقضايا مهمة وخطيرة، فعندما تحصل جريمة قتل تجد القاتل بل أهل المقتول وجُلّ الناس يحمِّلون القدر الإلهي المسؤولية، وكذلك العجز والعوز الاقتصادي، بل حتى صعود الفجرة والظلمة على رقاب الناس فهو عندهم ليس سوى نتيجة لتقدير الباري سبحانه وتعالى، وهذا هو سر أن السلفية والصوفية وأهل السنة عموما مقربون

(١) كتاب مع الصادقين.

من السلطة ودوائرها، بعكس من ينتمي لمنهج أهل البيت عليهم السلام، حتى القضايا الاجتماعية كالزواج مثلا فهو قسمة ونصيب! فعندما تحاول البحث عن بنت الحلال بمواصفات معينة كالخلق والدين وغيرها من الصفات التي ترغب فيها النفس البشرية سرعان ما يبادرونك بقولهم: «الزواج قسمة ونصيب»، «ما لك إلا ما كتب لك» على أساس أن الكتابة والتقدير الإلهي لأفعال العباد ثمرة للجبر والتسيير الالهي وليس ثمرة لعلم الله المسبق وحكمته البالغة وسننه الالهية التي وضعها في هذا الكون، ولن تشفع لك حتى الأحاديث النبوية كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فاظفر بذات الدين..» التي تدعو إلى الأخذ بالأسباب ، وكانت هذه الأفكار الجبرية موجودة منذ ما قبل التاريخ الإسلامي، وقد طرأت هذه المسألة بقوة في عصر الأئمة عليهم السلام، من ذلك قصة الرجل الشامي الحائر في سفره وفي فعله هل له الحرية والاختيار في العمل أم أنه كالريشة في مهب الريح، وقد رواها أئمة أهل البيت والعلماء السائرون على دربهم في كتبهم، وأذكر هنا هذه الرواية «سأل شيخ شامي الإمام علياً عليه السلام عن مسيره إلى الشام أكان بقضاء وقدر؟ فقال علي عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما قطعنا واديا وعلونا تلة إلا بقضاء وقدر.

فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي، ما أرى لي من الأجر شيئا.

فقال علي عليه السلام: بلى أيها الشيخ قد عظم الله لكم الأجر في مسيركم وأنتم سائرون وعلى منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين.

فقال الشيخ: فكيف والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيرنا؟

فقال علي عليه السلام للشيخ: لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما؟ لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله والنهي، ولما كانت تأتي من الله محمدة لمحسن ولا مذمة لمسيء، ولما كان المحسن بثواب الإحسان أولى من المسيء، ولا المسيء بعقوبة الإساءة أولى من المحسن، تلك

مقالة عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب في الأمور، قدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله أمر تخييرا ونهى تحذيرا، وكلف يسيرا، ولم يُعص مغلوبا، ولم يُطَع مُكرها، ولم يرسل الرسل هزؤا، ولم ينزل القرآن عبثا، ولم يخلق السموات والأرض وعجائب الآيات باطلا ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [ص: ٢٧].

فقال الشيخ: ما القضاء والقدر اللذان ما وطئنا موطئا إلابهما؟

فقال عليه السلام: الأمر من الله والحكم، ثم تلى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]

فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول شعرا:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته	يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا	جزاك ربك عنا فيه إحسانا
نفسي الفداء لخير الناس كلهم	بعد النبي علي الحبر مولانا
نفي الشكوك مقال منك متضح	وزاد ذا العلم والإيمان إيمانا
فليس معذرة في فعل فاحشة	يوما لراكبها ظلما وعدوانا
لا لا ولا قائل ناهيه أوقعه	فيها عبدت إذا يا قوم شيطانا [1]

- وفي عصر الإمام زيد بن علي كانت هذه العقائد الفاسدة ظاهرة، وبدأت تسري في أوساط المجتمع فتصدى لها الإمام زيد بن علي عليه السلام بالرد، يقول عليه السلام: "سبحانه وتعالى عما تقول المجبرة والمشبهة علوا كبيرا؛ إذ يزعمون أن الله سبحانه وتعالى خلق الكفر بنفسه، والجحود والفرية عليه، وأن يده مغلولة، وأنه فقير وأنه سفيه، وأنه أفَّك العباد ثم قال: ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤﴾ [المنافقون: ٤] وصرفهم وقال: ﴿أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩﴾ [غافر: ٦٩] وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ [الحديد: ٢١] ولم يعطهم آلة للسباق، وأنه خلقهم أشقياء، ثم بعث إليهم رسولا يدعوهم إلى السعادة، وأنه أجبرهم على المعاصي إجبارا ثم دعاهم إلى الطاعة ولم يخل سبيلهم إليها، ثم

(١) مقدمة مجموع كتب و رسائل الامام الهادي عليه السلام.

غضب عليهم وعاقبهم بغرق وحرق واصطلام بقوارع النقم، وجعل موعدهم جهنم وأنه جاء بالإد فأدخله في قلوب الكافرين ثم قال: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝٨٩﴾ [مريم: ٨٩] سخطا منه لخلقة فطرها، وأنه لم يجعل للقلوب استطاعة لدفع ما دهمها وحل بها؛ إذ أجبرها عليه وجبلها له، فنسبوا إلى الله تبارك وتعالى المذمات ونفوها عن أنفسهم من جميع الجهات، فقالوا: منه جميع تقلبنا في الحركات التي هي المعاصي والطاعات، وإنه محاسبنا يوم القيامة على أفعاله التي فعلها... كلا وباعثِ المرسلين ما هذه صفة أحكم الحاكمين، بل خلقهم مكلفين مستطيعين محجوجين مأمورين منهيين، أمرنا بالخير ولم يمنع منه، ونهى عن الشر ولم يُغْرِ عليه، وهداهم النجدين سبيل الخير والشر ثم قال: ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٥] فكل ميسر لما خلق له من عمل الطاعة وترك المعصية، وقال تعالى: ﴿خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠﴾ [عبس: ١٩ - ٢٠]" إلى آخر كلامه عليه السلام وهي رسالة مهمة جدا ننصح بمطالعتها[1].

- ويقول الإمام القاسم الرسي عليه السلام ردا على الجبرية: "فزعمت القدرية الكاذبة على ربها أن الله -عز وجل عن قولهم- خلق أكثر خلقه ليعبدوا غيره ويتخذوا الشركاء والأنداد مع قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، ومع قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١] ... فزعموا أنه لم يُرد منهم أن يطيعوا رسله، وأن الله أمر بما لا يريد، ونهى عما يريد، وخلقهم كفارا وقال الله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠١] ومنعهم من الإيمان وقال: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٣٩] وقال: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٩٤]"[2].

ولا يعني ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق خلقه ثم أهملهم كما يقول الفيلسوف أرسطو، بل إن يد القدرة الإلهية وحكمة التدبير الإلهي تتدخل في كل شيء ولا تغفل عن شيء، ويجب أن لا يغفل الإنسان أنه محاط بسنن إلهية ومن ورائها إرادة مدبرة ومشيئة مطلقة، فالمؤمن يعيش هادئَ النفس مطمئنَّ السريرة وهو يشاهد تدبير الله وتدخله في كل حادث، والمؤمن يعيش في ظل رعاية الله ويستشعر فاعلية

(١) انظر مجموع كتب ورسائل الإمام زيد ص٢١٣.
(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي ١/٤٩٩.

تأثير أسماء الله الحسنى، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١] ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج: ١٦] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [هود: ٥٦] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٣٦] ﴿مَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ﴾ [الحج: ١٨] ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٣].

من هنا ندرك أن الإنسان والكون وإن كان محاطا بالسنن والقوانين الإلهية، فهناك دائما وراء السنن والقوانين الإلهية مَنْ خلق هذه السنن ودبرها وهو الله سبحانه وتعالى.

إذًا فالإنسان في المشروع القرآني صاحب مسؤولية كبيرة، ولا ينبغي له بأن يُلقي تبعات أفعاله وأخطائه على غيره.

ويقول الإمام الهادي عليه السلام: «ومما يسألون عنه أن يقال لهم: أجيبونا عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل: ١٩]، وعن قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ [الكهف: ٢٩]، أمن شاء أن يفعل خيرا فعله، أم ليس هو عندكم كما قال الله؟ فإن قالوا: ليس هو كما قال الله كفروا، وإن قالوا هو كما قال الله رجعوا إلى الحق وقالوا على الله بالصدق وأقروا أن العباد مُمَكَّنون من العمل، وأنهم يفعلون ما شاؤوا بما جعل الله فيهم من الاستطاعة التي ركبها فيهم.

فإن قالوا: ليس هو كذلك ردوا كتاب الله وكذبوه، ومن فعل ذلك فقد كفر» مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي.

وهنا رواية ملفتة للإمام الهادي عليه السلام:

عندما دخل الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام صنعاء اجتمع وعلماء المجبرة الذين اختاروا لمناظرته العالم النقويّ.

فقال النقوي: ما تقول يا سيدي في المعاصي؟ ممن المعاصي؟

فأجاب الإمام الهادي عليه السلام: ومن العاصي؟

فانقطع النقوي ولم يحر جوابا، فلامه أصحابه، فقال: إن قلت «الله» كفرتُ، وإن قلت «العبد» خرجت من مذهبي.

وفي إطار هذا الموضوع نقتطف هذا المقطع من دروس الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين رضوان الله عليه:

«تأتي هذه الآيات تتحدث عن تنزيهه لذاته سبحانه وتعالى لأنه هو ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الأنعام: ١٠١] هو من لا يحتاج – وهو يخلق ما يخلق ويفطر ما يفطر – إلى أن يعتمد على طرف آخر يسلمه مخططاً ليرسم عليه، أو يسْتَقْدِمَ نموذجاً فيصنِّع كمثله، هو مَن لا يحتاج إلى هذا، هو من ليس هناك غيره يمكن أن يعمل هذا؛ لأن كل ما سواه مخلوق، كل ما سواه محدث، هو الذي خلقه، هو الذي أحدثه، فهو مَن ابتدع السماوات والأرض، هو من لا يمكن أن يكون له ولد.

هل فهمنا الآن بأنها صفة نقص لو حكمنا بأن له ولداً؟ صفة نقص فيه نثبتها.. ما هي صفة النقص هذه؟ أي سنثبت بأنه ناقص. ما هو النقص؟ أننا أثبتنا أنه محتاج لطرف آخر، وأن الطرف الآخر هو أكمل منه، إذاً ونحن مفطورون على إعطاء الحق للأولي أليس كذلك؟ والتسليم للأكمل، سنقول: إن ذلك الذي هو من صنع الله على هذا النحو، أو منحه هذا الشيء هو الأكمل، إذاً فهو الأولى. فهذه تنسف التوحيد من أساسه، كفر، كفر شديد.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ [الأنعام: ١٠١] هو من خلق كل شيء، كل شيء من هذه الأشياء التي نراها أمامنا، خلقنا نحن، وخلق كل هذه الموجودات التي أمامنا. كلمة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ أتت في سياق الثناء على الله، والتمجيد لله، والتقديس لله، والحديث عن كماله سبحانه وتعالى، كماله الذي يستحق الثناء من عباده، بل هو من أثنى على نفسه قبل أن يثني عليه عباده.

فعندما يأتي الآخرون فيقولون: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ يعني: هو أيضاً أفعالنا هذه، المعاصي هو الذي خلقها؛ لأنها أشياء فهو إذاً الذي خلقها. لا يفهمون الحديث هو عن ماذا هنا، أنه يتحدث عن كماله، عن تنزيهه، عن تنزيه ذاته، عن تمجيده، عن تقديسه، عن الثناء عليه، عن كماله سبحانه وتعالى.. فهل هو من يتمدح يَتَمَدّح بأنه الذي خلق المعاصي وخلق الظلم وخلق الفساد وخلق الكفر وخلق النفاق؟! هل هذا تمدُّح؟!. لو كان هو من خلق الضلال والكفر والفساد والنفاق والمعاصي والباطل لما استحق أن نثني عليه. نثني عليه مقابل ماذا؟ إذا كنا نقول: بأنه مصدر كل قبيح ومصدر الفواحش، ومصدر الشرور، فلماذا نثني عليه؟. هل يستحق الثناء عليه فيما إذا وصفناه بأنه مصدر القبائح والفواحش؟ هل من هو مصدر القبائح والفواحش يستحق أن يُثْنَى عليه؟ هل الله سبحانه وتعالى ممكن أن يثني على نفسه، ويتحدث في مقام الثناء على ذاته بأنه من خلق الظلم والفواحش والفساد؟! هذا ليس مما يمكن أن يقوله من في قلبه مثقال ذرة من معرفة بالله صادقة، وشعور بعظمة الله سبحانه وتعالى.

هو من نزه نفسه في آيات أخرى عن الفساد والظلم، أنه لا يريد أن يظلم العباد: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت: ٤٦] وهو من قال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨]، وكلمة ظلم تشمل – تقريباً – كل أنواع الفساد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨] ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل: ٩٠].

هو الذي ينهى عنها فكيف يتمدح بأنه هو من يخلقها، وكيف يمكن أن يكون هو من خلقها فيك، إذا كان هو من خلقها فيك فمعنى ذلك بأنك انطلقت فيها بغير اختيار منك؛ لأن كل ما خلقه الله فيك هو بغير اختيار منك، بل وبغير اختيار من أبيك، وبغير اختيار من أمك، لونك، شكلك، طولك، قصرك، شكل أعضائك، هل هو باختيار منك؟ هل أنت قدمت لله مخططاً فقلت أريد أن تجعل أذني كذا وأنفي كذا وعيوني كذا وأن يكون طول وعرض وجهي على هذا النحو مثلما تعمل مخططاً لواحد صاحب ورشة؟. لا.

إذاً فلو كان الله هو من خلق فينا المعاصي، ومن ساقنا إليها - على اختلاف أقوالهم حول هذه - هم يلتقون حول هذه أنه خلقها فكيف يمكن أن ينطلق هو ليلعن الشيطان ويأمرنا أن نعادي الشيطان وأن نلعنه والشيطان إنما يوسوس ليحملنا على الفحشاء فكيف يعمل هذا مع الشيطان وهو هو من خلق الفحشاء؟! من الأسوأ حينئذٍ من يخلق الفحشاء أو من يوسوس لها فقط؟.

حينئذٍ جعلوا الله - سبحانه وتعالى ننزهه ونقدسه - جعلوه أسوأ من الشيطان! عقائد سيئة.. خلق الفواحش وهو من تنزل أول آية من كتاب الله الكريم بعد بسم الله الرحمن الرحيم هي [سورة الفاتحة] وأولها الثناء على الله ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ بهذه العبارة التي تعني: كل الحمد، كل الثناء كل المجد ﴿لِلَّهِ﴾ سبحانه وتعالى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] فكيف يستحق الثناء من هو الذي يخلق الفواحش، من يملأ القلوب كفراً ويملؤها نفاقاً رغماً عن أصحابها، ثم هو في الأخير من يلعنهم، وفي الأخير من يقودهم إلى قعر جهنم؟! ماذا عملوا؟ ماذا عملت أنت؟ رغماً عنك يملأ قلبك كفراً ونفاقاً، ويملأ قلبك فساداً ثم يعذبك؟!.. يتنافى هذا مع عدله، يتنافى مع حكمته، يتنافى مع رحمته، يتنافى مع كماله، يتنافى مع جلاله وعظمته وقدسيته.

وهكذا، يقولون: هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، هذه عقيدتنا، وهذا دليلها من القرآن ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:١٠١]، والمعاصي هي أشياء إذاً هو الذي خلقها!!.

القرآن الكريم هو كتاب عربي، بلسان العرب، بأساليب العرب، ونحن نستخدم هذه العبارة، والقرائن المحيطة بها، والجو الذي تقدم فيه، الطرف الآخر الذي تتحدث معه هو من يعرف ماذا تعني، عندما تقول: [نحن تغدينا عند فلان وقدم لنا من كل شيء] ألسنا نقول هكذا؟ هل سيفهم ذلك أنه قدم لكم من كل شيء في الدنيا في السماوات والأرض؟ لا. من الأشياء المعلومة المعروفة[1].

(١) ونظير ذلك ما قاله الله عن ملكة سبأ ((وأوتيت من كل شيء)) فلا يعني ذلك أنها أوتيت من كل ما في السماوات والأرض من ملائكة وجن وإنس وجمادات وحيوانات وغيرها، وإنما أوتيت من الأشياء التي ينسجم مع مقامها كملكة.

فنقول: هذه الأشياء التي تشاهدونها، هذه الأشجار هذه الجبال والأحجار، هذه الدواب، هذه الكواكب، هذه السحب الله هو الذي خلقها ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من هذه الأشياء، لأن الناس بفطرتهم لا أحد يتبادر إلى ذهنه أن يقول: إذاً هو خلق أفعالي؛ لأن كل إنسان بفطرته، بل الدواب بفطرتها تعرف أن أفعالها منها، أنها هي التي انطلقت فيها؛ ولهذا ترى القط، ترى الكلب عندما يعمل عملاً هو يعرف بأنه عمل غير مسموح به، يدخل من باب البيت فمتى ما سمعك أنك قريب من البيت يهرب بسرعة؛ لأنه يعرف أنه قد ارتكب خطأً، دخل البيت وليس من حقه أن يدخل البيت. القطُّ قبل أن يتناول [اللحمة] أليس هو ينظر هنا وهنا قبل أن يتناولها هل أحد يراه ثم يقفز وينطلق بسرعة؟ وإذا لم يكن أحد عنده أكلها مكانها، فعندما يسمع أحداً قادماً إليه يأخذها ويهرب بسرعة.. هكذا حتى الحيوانات تعرف أن أفعالها منها.

من منا ممكن أن يتبادر إلى ذهنه أنه عندما يشرب، عندما يأكل أن الله هو الذي خلق هذا الفعل وأنا آكل، يمكن تقول هو الذي خزن هو الذي دخن! خلق التدخين خلق التخزين؟! هذه أفعالنا نحن، والحيوانات لها أفعال تختص بها. لا يتبادر إلى الذهن، لكن الطواغيت، وعلماء السوء هم من أجل خدمة السياسة الفاسدة، خدمة الطواغيت يحمِّلون الله كل سوء، وينسبون إلى الله كل قبيح فيشبهون على العوام من الناس، فمتى ما رأينا معاوية بطغيانه وقبحه نقول: الله هو الذي ولاه، والأعمال التي تصدر من معاوية الله هو الذي خلقها! فأصبح معاوية مقبولاً بكل ما هو عليه؛ لأنه كله من الله، هو الذي ولاه، وهو الذي خلق أفعاله!! فمن الذي سيستثار ضد معاوية إذا أو أشباه معاوية وهو يعتقد هذه العقيدة؟!.. أليسوا هم من دَجَّنُوا أنفسهم ودجّنوا الأمة للظالمين بعقائد مثل هذه؟ هم من أساءوا إلى الله إساءة بالغة.

فسبحانه وتعالى ما أعظم حلمه عنهم، وهم من ينطلقون في عباداتهم، وأنت عندما ترى ما في كتبهم من عقائد باطلة، وتراهم يتعبدون ستحكم بأنهم يتعبدون لغير الله، وأنهم يتعبدون لمن؟ أنت كيف تقول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» فتثني على من تعتقد أنه وراء كل فاحشة وقبيح؟! هذا تناقض.

ثم أنت تجعل العقيدة الباطلة في قلبك، والمنطق الصحيح على لسانك فقط، والله يتعامل مع من؟ مع القلب أو مع اللسان؟ مع القلب. بل لو انطلقت من لسانك كلمة كفر تكره عليها وقلبك مطمئن بالإيمان لا يضر، لكن أن يكون قلبك مطمئناً بالكفر وتنطلق من لسانك كلمة إيمان لا تنفع ولا قيمة لها. يقرؤون القرآن أحياناً ويبكون، وفي الصلاة يسبحون: سبحان ربي العظيم وبحمده. اسأله عن ربه بعد سيقول لك: هو الذي يقدر كل شيء إذاً فلماذا تسبحه؛ لأن التسبيح لله يعني: تنزيه له عما لا يليق بكماله، وأنت الآن نسبت إليه بأن تلك الفاحشة التي اقترفها فلان، تلك الجريمة التي ارتكبها فلان الله هو الذي قدرها، هو الذي خلق الفعل الذي انطلق من هذا الشخص وهو ينفذ الجريمة! فكيف تسبحه! وكيف تلعن الشيطان وهو لم يعمل إلا أقل مما عمله ربك الذي قلت بأنه خلق الفاحشة، وقدرها وساق ذلك الشخص إليها رغماً عنه!. إنهم متناقضون.. عقائد خبيثة، عقائد تتنافى مع القرآن الكريم بشكل مفضوح.

ثم لا ينفع أن يقولوا: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» أو يقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٢ - ٣] ألم ينطق بكلمة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ لكن كما قلت سابقاً؛ لأن بعض الناس يقول: كيف هم هؤلاء يقولون مثلنا يسبحون الله ويحمدون الله ويمجدون الله!. نقول: لكن فيما إذا كان الواقع على هذا النحو: أن قلوبهم تعتقد عقائد باطلة وفقط ألسنتهم تقول بهذا فما يصدر من ألسنتهم إنما هو شهادة على قبح اعتقادهم، وهو نفس المنطق الذي استخدمه القرآن مع الكافرين الذين كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٩﴾ [الزخرف: ٩] ويردد في آيات أخرى، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم..﴾ ثم بعدها يقول: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

إذاً أنتم تقولون: بأن الله هو الذي خلق السموات والأرض، إذاً فلماذا تجعلون معه آلهة؟ أنت من تقول: الحمد لله، وتقول: سبحان الله، إذاً فلماذا تعتقد بأنه مصدر القبائح؟ نفس المنطق، ونفس الأسلوب. فأولئك عندما كانوا يقولون:

﴿خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩﴾ [الزخرف: ٩] الله هو الذي خلقنا، ألم يجعل هذه حجة عليهم وشهادة انطلقت من ألسنتهم على بطلان ما يعتقدون من أن هناك آلهة مع الله؟. نفس الشيء أنت عندما تقول: سبحان الله والحمد لله وأنت تعتقد أن الله هو مصدر القبائح والفواحش، هو الذي خلقها وقدرها، فأنت تشهد على نفسك، وقولك حجة عليك يشهد ببطلان ما تعتقد، إذاً فلماذا لا تتحول عن هذا الاعتقاد الباطل.

أما أن آتي أنا وأقول: هذا الاعتقاد لا يضر؛ لأني سمعتك تقول: سبحان الله والحمد لله، إذاً سأقول لذلك النبي عندما يقولون: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزخرف: ٨٧] سأقول له إذا خلاص هم يقولون الله، إذاً فالمسألة انتهت إلى مجرد حجر يطوفون عليها فلا تضر هذه المسألة، أو أنهم جعلوا هذا إله، هم ما نسبوا إليه أنه خلق، ولا نسبوا إليه أنه رزق، ولا نسبوا إليه أنه من يدبر الأمر، ولا نسبوا إليه أنه من خلقهم، ولا شيء، إذاً لم يعد إلا مجرد خرافة لا تضر ولا شيء فلماذا نتقاتل نحن وإياهم عليها؟.. هل هذا منطق؟ على هذا الأساس ممكن أن يكون منطق، لكن القرآن رفض هذا الأسلوب. إذا كنت من أتأول لك وأنت صاحب هذه العقيدة الباطلة؛ لأنه انطلقت من لسانك كلمات: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] وكلمات: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٦٨] فأقول: خلاص.. إذاً سأقول: خلاص لذلك المشرك بعد أن قال: الله هو الذي يدبر الأمر، الله هو الذي خلق السماوات والأرض، الله هو الذي يرزق، الله هو الذي ينزل من السماء ماء.. هكذا ورد اعترافهم بهذا نقول: خلاص يا محمد، خلاص يا نوح، خلاص يا فلان، خلاص.. انتهى الموضوع.. ماذا تريدون منهم.. نقوم نتقاتل إحنا وإياهم وهم ذولا معترفين أن الله هو الذي عمل كل شيء، فقط تعتبر مجرد خرافة أنهم نصبوا حجر يقولون: أنها إله وهم ذولا يقولون أنها ما سوت شيء.. لاحظ هل هذا منطق قبله القرآن؟ لا. بل اعتبر اعترافهم شهادة على بطلان اعتقادهم بجعل هذا إله حتى وإن كانوا لا ينسبون إليه شيئاً مما هو يختص بالله سبحانه وتعالى.

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾ قالوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة: ٧٣] وهل الله في

واقعه ثالث ثلاثة؟ لا. هل يمكن أن أقول لكن الله ليس ثالث ثلاثة وهذه مجرد كلمة أخذتها الرياح، كفروا وإن لم يكن إلا مجرد قول. وفعلاً الشرك لا حقيقة له.. هل للشرك حقيقة؟. هل لله شركاء حقيقيون؟. لو كان لله شركاء حقيقيون لكان الشرك حق، فالشرك باطل أي لا أصل له، ولا حقيقة له. طيب.. كونه لا حقيقة له ولا أصل له.. وهو مجرد خرافة، إذاً خلاص لا يضر. لا، يقتل صاحبه وإن كان هذا لا أساس له. ماذا يعني لا أساس له؟ أي ليس واقعاً، وليس هناك شريك لله حقيقة، وفي واقع الأمر.

كذلك عندما قالوا: ﴿ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ هل الله ثالث ثلاثة؟ لا. الله إله واحد ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، لكن هم كافرون، وسيدخلون جهنم، وسيخلدون في جهنم، ويجب قتالهم. أن آتي وأقول: يا أخي هذه كلمة تأخذها الرياح وكلنا نعرف أن الله سبحانه وتعالى إنما هو إله واحد فإذا قالوا أن الله ثالث ثلاثة ستكون مريم والمسيح آلهة سيصبحون آلهة حقيقيين لمجرد هذا القول؟ لا. إذاً لا تضر المسألة!!!!.. هل هذا المنطق قبله الله؟. لا. هم كافرون، هم كافرون.

إذاً فجاءت كلمة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ١٠١] في مقام الثناء على الله سبحانه وتعالى، وهو يعلم أننا نفهم، وأننا بفطرنا لا يمكن أن يتبادر إلى أذهاننا أن هناك ما نعمله من معاصي هو أيضاً داخل تحت كلمة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ﴾، الناس عرب والناس يفهمون في تخاطبهم ماذا تعني العبارات المطلقة أنها مقيدة بالقرائن الحالية، بالقرائن المقالية، بما يحيط بالكلام من ملابسات، وقرائن، بل لا يتبادر إلى الذهن شيء من هذا»[1].

وهناك نقطة من الجدير بالذكر أن نوضحها هنا وهي علاقة سنن الله وقضاءه وقدره بأفعال العباد، فمثلا عندما يشرب بعض الفساق الخمر ويكثرون منه ويترتب على ذلك تليف أكبادهم، نستطيع القول إن سنن الله وتقديراته دخلت في الموضوع ولكن من أي زاوية؟ من زاوية أن الله جعل في سننه وتقديراته أن الكبد يتليف عندما يتعرض لجرعات مفرطة من الكحول، ولكن مَن الذي سبب لنفسه

(١) الدرس الثامن من دروس معرفة الله للشهيد القائد.

أن يدخل في هذه السنن والتقديرات؟ بالتأكيد هو العبد العاصي وبما كسبت يداه، مثال آخر عندما تهمل حارة معينة النظافة وتلقي القمائم في شوارعها، وترتب على ذلك أن تنتشر الأمراض والأوبئة ويموت بعض صغار السن، ما علاقة سنن الله وتقديراته في موت الأطفال؟ وما علاقة تفريط وإهمال المجتمع في هذه الوفيات؟ علاقة سنن الله وتقديراته من زاوية أن الله وضع في سننه أن الإهمال للنظافة يترتب عليه تزايد الأوبئة والجراثيم مما يتسبب بموت الأطفال، وعلاقة إهمال الناس وتفريطهم أنهم هم السبب في دخول سنة الله بهذا الشكل، وهكذا نستطيع أن نتحدث عن كثير من الحالات.

تفصيل مسألة العدل الإلهي من منظور قرناء القرءان عليهم السلام

" العدل الإلهي -عند المؤمنين بالله تعالى- قضية بديهية لا يرقى إليها شك، ولا يعتريها ريب، ولا تحوم حولها شبهة.

وكل الملل وكل معطيات العقل السليم والمنطق العلمي مُقرّة بذلك أتم إقرار، ومذعنة له أكمل إذعان.

ولهذا لم يكن العدل الإلهي -بمعناه البحت المجرد- معضلة من المعضلات الفكرية المعقدة التي تحتاج إلى تجريد بحث خاص يُعنى بتسجيل براهينها وإيراد أدلتها ومناقشة ما قيل ويقال بشأنها من شبهات وشكوك، بل ربما يعتبر البحث فيها تافها إلى حد بعيد؛ لأنه من قبيل الحديث عن توضيح الواضحات والاستدلال على المسلَّمات.

ولكن المسائل الفكرية البديهية قد تحوطها ملابسات هامشية معينة، وتضاف إليها تفريعات جانبية معقدة، وتلقى عليها ظلال قاتمة من التفاسير والشروح والتأويلات، فتمسخ الفطرة تدريجيا، ويتكدر صفاء الحق في النفوس، ويصبح استكشاف الواقع -في هذه الحال- محتاجا إلى بعض من البحث والمناقشة والأخذ والرد، لتظهر الحقيقة جلية ناصعة، لا يحجبها ضباب الحواشي والتفريعات، ولا تطمس معالمَها تلك الأكداسُ الهائلة من المجادلات العقيمة المطولة.

المجبرة القدرية

الإيمان بالقضاء والقدر عقيدة من العقائد التي أسسها الإسلام على الإيمان بالله عز وجل، وبناها على المعرفة الصحيحة لذاته العليا، وأسمائه الحسنى.

ولا ريب أن الإسلام قد أوجب لله الكمال، والجلال والجمال، ودواعي الحمد والتمجيد.

ثم فصلت هذه الكمالات الواجبة لرب الوجود ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾ [الأعلى: ٢ - ٣]، فكان في عداد ما ينبغي الإيمان به والاطمئنان إليه: أن لله وحده العلمَ الواسعَ، والإرادةَ الشاملةَ، والقدرةَ الكاملةَ، وأنه -سبحانه- فعّالٌ لما يريد، عالم بما يفعل.

وعلى هذه الصفات قامت عقيدة القضاء والقدر؛ فكان الإيمان بها -لا ريب- جزءا متمما للإيمان بالله، وعنصرا من حقيقته الواضحة المشرقة.

نعم إن الله وسع كل شيء علما، وأحاط بكل شيء خُبرا، سواءٌ في هيمنته دبيبُ النمل في جحورها، أم ثباتُ الأفلاك في مداراتها.

وشمول علمه يستغرق الأمكنةَ على تعدادها والأزمنةَ على تطاولها. فما تغيب عنه بقعة في المشرق أو في المغرب، وما يغيب عنه يوم في الأزل أو الأبد.

وأحداث الحياة -وما أكثر ما يلوح في آفاق الحياة من خير وشر، ويأس ورجاء، وحزن وفرح- ذلك كله استوعبه العلم الإلهي عدًّا وإحصاءً ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦١﴾ [يونس: ٦١].

وفي صفحات هذا الـ ﴿كتاب﴾ خُطت سطور القضاء والقدر، وعُرفت مصاير الأمور، ووضحت نهاياتها، من شقاوة وسعادة، ولكن أنى لنا علم بذلك؟

إنما الغيبُ كتابٌ صانه ... عن عيونِ الخلق ربُّ العالمين

ليس يبدو منه للناس سوى ... صفحةِ الحاضرِ حينا بعدَ حين

ويتعلق القضاء والقدر بوقائع الحياة وأحداثها وأعمال الناس وتصرفاتهم على نحوين واضحين متميزين! لكل نحو منهما حكمه الخاص وآثاره التي تترتب عليه.

وبين كلا القسمين فواصل قائمة، تجاهلُها يوقع في الدين الغموض والاضطراب، ولذلك سنوضح حدودَ كلِّ قسمٍ ومعالمَه.

نحن مجبورون في هذا

هناك أمور تحدث وتتم بمحض القدرة العليا، وعلى وفق المشيئة الإلهية وحدها، وهي تنفذ في الناس طوعا أو كرها، سواء شعر بها الناس أم لم يشعروا.

فالعقول ومقدار ما يودع فيها من ذكاء، والأجسام وما تكون عليه من طول أو قصر، وجمال أو قبح، والشخصيات وما تطبع عليه من امتداد وانكماش، والزمان الذي تولد فيه والمكان الذي تحيى به، والبيئة التي تنشأ في ظلها، والوالدان اللذان تنحدر منهما، وما تتركه الوراثة في دمك من غرائز وميول، والحياة والموت، والسعة والضيق، ذلك ومثله لا يد للإنسان فيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٥ - ٦].

وغني عن البيان، أن شيئا من هذا ليس محل مؤاخذة ولا موضع حساب، وإنما لفتنا النظر إليه لتعرف أن الجنسية التي تنتمي إليها، واللغة التي تنطق بها، بل نوع التكوين الذي يوجد الإنسان عليه، ذكرا أو أنثى ليس محل مؤاخذة.

والإيمان بهذا الضرب من القدر واجب، والأدلة عليه متظاهرة، وعلى المؤمن أن يوقن -من أعماق قلبه- أن هذه أمور مفروغ منها، مفرقة على ذويها من قديم، جفت الأقلام بها فلا راد لها.

وهي حتى ليست من أعمالنا لتنسب إلينا، بل هي أفعال الله سبحانه وتقديره وقضاؤه المحتوم في العباد.

هذه أمور عَلِمَها الحقُّ وأرادها ونفذها استقلالا، ولسنا منها في قليل ولا كثير،

وقد أحسن سلفنا الصالح الإيمان بها فكان أثرها في مسلكهم رائعا.

ومواضع الرجوع إلى القضاء والتسليم لله فيما أراد، كثيرة متنوعة، وهي تعطي المسلم صلابة وقوة واندفاعا، وتملؤه عزيمة وتحملا وجلادة.

هنا إرادتنا حرة:

أما القسم الثاني من متعلقات القضاء والقدر، فهو ما يتصل بأعمال على عكس الأولى، ونحن نشعر حين أدائها بيقظة عقولنا، وحركة ميولنا، ورقابة ضمائرنا.

فما مدى صلتنا بها؟ وما معنى نسبة القدر إليها؟

الخطب سهل جدا، وسنجيب على هذا التساؤل بما يذر شبه المشوشين هباءً إن شاء الله.

إننا نحس باستقلال إرادتنا فيما نباشر من أعمال، وكان يكفي هذا الإحساس دليلا على حريتهما لولا أن هناك من يزعم أن الإحساس يكذب أحيانا.

ولكننا نطمئن إلى صدق هذا الإحساس ونكذّب ما يغض من قيمته بعد أن نرجع إلى القرآن الكريم لنستفتيه في ذلك.

ونحن نجد القرآن يؤكد هذا الإحساس البديهي وينوه بحرية الإرادة الإنسانية ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

ولا يخليها من المسؤولية الواضحة على مايصدر منها: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨﴾ [يونس: ١٠٨].

بل إن طبيعة الدين لا تتحقق البتة مع استبعاد الإرادة وتقييدها..

وإيقاع الجزاء كذلك لا يتوجه ويقر إلا في هذا الجو الطلق الفسيح.

وليس هذا موضع سرد الآيات الشاهدة لذلك، فالقرآن كله شواهد بينات ودلائل واضحات.

فما موقف العلم الإلهي من هذا النوع من الأعمال؟ هو الإحاطة التامة والشمول الكامل ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢﴾ [طه: ٥٢].

ولكن كيف يتفق القول بحرية الإرادة والقول بأن أعمالنا لن تخرج عن دائرة العلم الإلهي المحيط الشامل؟

والجواب سهل: قف أمام مرآة مجلوة صافية وأنت عابس الوجه مقطب الجبين فماذا ترى؟ سترى صورتك كما هي عابسة مقطبة.

أي ذنب للمرآة في ذلك؟ إن مهمتها أن تصف وأن تكشف وهي قد صدقت فيما أثبتت لك، ولو كنت ضاحك الوجه لأثبت لك على صفحتها خيالا ضاحكا لا شك فيه.

كذلك صفحات العلم الإلهي ومرائيه لا تتصل بالأعمال اتصال تصريف وتحريك، ولكنه اتصال انكشاف ووضوح.

غاية ما يمتاز به العلم، أنه لا يكشف الحاضر فقط، ولكنه يكشف كذلك الماضي والمستقبل.

فيرى الأشياء على ما كانت عليه، وعلى ما ستكون عليه، كما يراها وهي كائنة، سواء بسواء.

بقي بعد ذلك تفسير ما قررناه من شمول الإرادة العليا، ومن هيمنة القدرة العليا على الخلائق كافة، فما معنى ذلك وكيف يتفق مع حرية الإرادة الإنسانية؟

معنى يضل من يشاء ويهدي من يشاء:

الخطب في ذلك سهل كذلك، ولن نذهب في بيانه إلى أبعد من كتاب الله لمن شاء أن يفهم ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر: ١٧].

ونحن نجد إطلاق المشيئة في آية، تقيده آية أخرى يذكر فيها الإختيار الإنساني صريحا.

أي أن إضلال الله لشخص، معناه: أن هذا الشخص آثر الغيَّ على الرشاد فأقره الله على مراده، وتمم له ما يبغي لنفسه..

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥﴾ [الصف: ٥].

وانظر إلى قيمة التنويه بالاتجاه البشري المعتاد، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ﴾ [النساء: ١١٥].

فهل بقي غموض في إطلاق المشيئة؟ لا.

إن معنى قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٧، النحل: ٩٣، فاطر: ٨] لا يعدو قوله ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٦ - ٢٧].

وكذلك الحال في ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. انظر إلى قيمة الإرادة الإنسانية في قول الحق وهو يتكلم عن إرادته: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ٢٧ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٧ - ٢٨].

فهو يهدي إليه من أناب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ [المنافقون: ٦].

اجعل أيها القارئ هذا المصباح بين يديك، وسرْ في نوره، فلن تجد في دين الله قلقا أو اضطرابا. وإنما القلق والاضطراب في عقول الحمقى وقلوب الغافلين.

وهنا قد يسأل البعض عن حدود الإرادة الدنيا والعليا في الأعمال، ومع أن هذا السؤال لا مبرر له، فنحن نتبرع بالإجابة عنه حتى يظهر السرُّ في نسبة الهداية والإضلال؛ تارة لله، وتارة للإنسان.

هل تعرف ما يفعله الفلّاح في حقله؟ إنه يلقي البذر، ويتعهده بالسقي وعلى الله الإنبات.

تستطيع أن تسمي الفلاح زارعا -وأنت صادق- لقيامه بالسبب، وتستطيع أن تسمي الحق سبحانه زارعا لقيامه بالعمل. ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ٦٣ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا﴾ [الواقعة: ٦٣ - ٦٥].

فما للإنسان في سعيه مثل ما للفلاح في زرعه.

فازرع عمرك -إن شئت- خيرا، فإن يد القدرة سوف تنميه لك وردا يانعا، أو ازرعه- إن شئت - شرا فإن يد القدرة تنميه شوكا.

إن الصورة التي يرسمها الجبريون للعالم لا ترمز إلا إلى الفوضى المطلقة والخلط الشائن.

ولما كان البشر -في نظرهم- يقومون بأدوار لا خيرة لهم فيها، فهم لا يفرقون بين بّر وفاجر.

وإنك لتسمع في كرم بعض الناس ممن يدينون بهذا المذهب الباطل، تسويةً بين آدم وإبليس، وبين موسى وفرعون، إذ الكل -في نظرهم- مدفوع إلى عملِ ما قُدِّر عليه أزلا.

وليست الحياة إلا رواية يقوم أفرادها بما فُرض عليهم من مواقف، وينطقون بما لُقنوا من كلمات.

هـذي الحيـاة روايـة لممثـل الليـل سـتر والنهـار الملعـب

وإنك لو نقبت لرأيت هذه الصورة مرتسمة في أذهان الكثيرين منهم، بعضهم يعلنها مصارحا، وبعضهم يطويها مستحيا وإن كان يدين بها.

وأحد أسباب انهيار الدول الإسلامية راجع إلى فشوّ هذه الضلالة بين الناس، فشوًّا جعل المنكر ينتشر بلا نكير، وجعل الواجبات تهمل بلا نصيح.

فمن أساسيات الإصلاح تصحيح الفهم في عقيدة القضاء والقدر، حتى تعود كما كانت، الدافع الأعظم على التضحية والفداء، والوازع الأول على ترك الشر وفعل الخير، قياما بواجب الإنسان نحو نفسه، وتنفيذا لأوامر الله جل شأنه.

أما الآيات والأحاديث التي توهم بظاهرها أن الإرادة الإنسانية غير حرة، فليست كما يظن الواهمون، وفهمُ ذلك لا يحتاج إلى معرفة عميقة باللغة وأساليبها إذ هي مما يفهمه العامة بل ويستعملونه في خطابهم وحديثهم العادي جدا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

وأمّا ذلك الفهم العجيب المغلوط فقد نضحت به العقول المعوجة، ولم توح به نصوص الدين، إذ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [البقرة: ٦].

فليس إنذارهم وعدمه سواء لأن نفوسهم صيغت بحيث لا تقبل الحق من تلقاء ذاتها!! فهي أوعية للكفر برغم أنوفها. كلا!! وإنما القصد صرف همة الرسول عن قوم طالما دعاهم وبذل جهوده لإنقاذهم من غوايتهم فأصروا على تنكب الصراط المستقيم بمحض اختيارهم.[1]

(١) مقدمة الشهيد عبدالكريم جدبان لمجموع الامام القاسم الرسي عليه السلام ص ١٠٥ -١١٢ بتصرّف.

مناظرة

يقال بأنه حصلت مناظرة بين منزه لله من أتباع أهل البيت وبين جبري قدري : وكان الجبري يتحدث دائما في المجالس والمساجد عن أن المعاصي بقضاء الله وقدره وأن الإنسان لا حول له ولا قوة ولا دخل بهذه الأعمال، وكان يردد العبارة التي يرددها الجبريون دائما أمام كل جريمة ترتكب «قدر الله وماشاء فعل» فيحملون القدر الإلهي المسؤولية ويبرؤون الإنسان من تحمل تبعات عمله.

المنزه لله : يا أخي اتق الله، لا يجوز أن تنسب إلى الله الفواحش والجرائم فالله أمرنا باجتنابها.

الجبري القدري: ولكن الله هو المقدر للامور، ولا يقدر أحد على مغالبة الله فالأمور تجري بتقديره وقضائه.

المنزه لله : لا مشكلة في أنه لا قدرة لأحد على مغالبة الله، ولكن الله أعطى الإنسان القدرة على أن يقوم بأعماله، والقدرة على أن يعمل العمل الصالح أو الطالح «كل نفس بما كسبت رهينة»، والإنسان هو المسؤول عن أفعاله فهو القاتل وهو المجرم وهو الباغي ولا يصح أن تنسب إلى الله.

الجبري القدري : قدر الله وماشاء فعل.

المنزه لله غضب من حماقة وصلف هذا الجبري ولطمه في وجهه فوقف الجبري مندهشا من هذا التصرف وقال : لماذا اعتديت علي؟

فأجابه المنزه لله : قدر الله وماشاء فعل، فبهت الجبري.

النبوة والأنبياء

الأنبياء شخصيات عظيمة، وأهم مصدر لمعرفتهم هو القرآن الكريم، ومن يتأمل في القرآن يدرك كم هم عظماء وحكماء ورحماء، ولكن من يتعرف على الأنبياء من خلال الكتب الخاصة بالمذاهب المنحرفة سيجد كم هي الهوّة والفارق الكبير بين الكمال البشري وبين أخلاق الأنبياء في هذه الكتب، ولا شك أن الأنبياء لهم مكانة سامية في قلوب المسلمين عامة سواء كانوا سنة أو شيعة، وهي تمثل مرتبة الكمال البشري، فهم محط الوحي ومنبع الحكمة، وكما كان الأنبياء هم قادة العالم وهم المبلغون عن رب العالمين، فإن للشيطان أنصارًا ومبلغين يسعون للحيلولة دون وصول هداية الأنبياء إلى الناس، فلم يقتصروا على التشكيك في عقائد ورسالات الأنبياء فحسب، بل أرادوا التشكيك في أخلاقيات وسلوكيات الأنبياء.

فكما وقعت الوهابية والغلاة من الاثني عشرية في خطأ القبول بالروايات الإسرائيلية في مجال الاعتقاد بالله، فإنهم كرروا نفس الخطأ بحق أنبياء الله، فشحنت كتبهم بكثير من الروايات التي تقدح في أخلاق وحكمة الأنبياء، بينما تجد في جانب مشروع أهل البيت عليهم السلام الرؤية والعقيدة الصحيحة عن الأنبياء، وسنذكر بعضا من ذلك آخر هذا الباب بإذن الله.

عقيدة الوهابية في الأنبياء

الأنبياء في روايات أهل السنة والجماعة يصلون في بعض الحالات إلى مرتبة العوام من الناحية الخلقية؛ فالنبي قد ربما تقرصه نملة فلا يتمالك أعصابه ويؤدي به غضبه إلى أن يحرق قرية النمل بأكملها!!

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] عن أبي هريرة أنه قال: «قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه أنْ قرصتْك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله».

(١) البخاري في كتاب الجهاد والسير باب، بلا عنوان، ومسلم في كتاب السلام باب النهي عن قتل النمل.

وحسب ما ورد في مضمون حديث آخر أخرجه الترمذي[1] وصححه القسطلاني[2] وابن حجر[3]، يظهر أن ذلك النبي الذي أحرق آلافا من النمل بسبب قرصة نملة واحدة هو نبي الله موسى عليه السلام!!! ولا أدري من أي كيس خرجت هذه الرواية؟ غير أننا نجزم أنها روايات إسرائيلية وُضعت للنَّيل من قداسة الأنبياء عليهم السلام.

ولكنْ عندما نتأمل في القرآن ونشاهد كيف يتعامل الأنبياء مع النمل ستدرك قيمة وأهمية أن تعرف الأنبياء من خلال القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾[النمل: ١٩] فحتى النملة تعرف عدالة سليمان وجنوده، وأنه لا يمكن لهم أن يعمدوا إلى قتلها وهم يشعرون.

وتماشيا مع الروايات الإسرائيلية التي تصور للناس بأن الأنبياء لديهم هوس وانحراف جنسي -وحاشاهم- لم تخلُ الكتب السنية بما يوحي بهذه الفرية العظيمة وهذا الاتهام الخطير، فلربما يصل تفكير بعض الأنبياء من منظور روايات أهل السنة والجماعة إلى أن يطوف على مائة أو تسعة وتسعين من نسائه في ليلة واحدة لينجبن له رجالا يجاهدون في سبيل الله! ولكن لسوء الحظ لم يقل هذا النبي إن شاء الله بعد تذكير الملك له فلا ينجب إلا من امرأة واحدة جاءت بشق رجل!! وهذا هو مضمون الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن عبدالرحمن بن هرمز قال: سمعت أبا هريرة عن رسول الله (ﷺ) قال: قال سليمان بن داود: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كل منهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له الملك -صاحبه-: قل إن شاء الله فلم يقل: إن شاء الله فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل..»[4].

(١) سنن الترمذي كما أشار إليه القسطلاني.
(٢) إرشاد الساري ٦: ١١٤.
(٣) فتح الباري لابن حجر ٧: ١٦٧.
(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد باب من طلب الولد للجهاد.

في كتاب أضواء على الصحيحين علق المؤلف على الرواية نذكر تعليقه هنا بتصرف[١]:

«والملاحظ على هذه الرواية عدة تساؤلات:

- اضطراب نص الحديث لأن عدة النساء في رواية أنهن مائة امرأة[٢]، وأخرى أنهن تسع وتسعون[٣]، وثالثة أنهن تسعون[٤]، وأخرى أنهن سبعون[٥]، وفي بعضها ستون[٦]، وكل هذه الأعداد مروية في صحيح البخاري ومسلم، وهذا الاضطراب العددي دليل على التناقض ومن ثَمَّ على زيف هذه الرواية.
- إن الفترة الزمنية للطواف على مائة امرأة لليلة واحدة لقليلة جدا.
- إن طاقة البشر لا تقوى على مثل هذه الطريقة التي تشبه الخوارق والمعجزات، بينما هذه القصة لا تمت إلى المعجزة ولا إلى الكرامة بصلة.
- إنه لا يجوز على النبي سليمان (عليه السلام) وهو من عباد الله المقربين أن يترك التعليق بـ«إن شاء الله" حتى لو سلمنا بأنه نسي، خصوصا بعد تذكير الملك؛ لأن شأن الأنبياء هو التوكل والاعتماد المطلق على الله..." انتهى.

رسول من رسل الله يفقأ عين ملك الموت

إن شأن الأنبياء هو التسليم المطلق لله رب العالمين، والاستجابة لأوامر الله حتى لو كانت على حساب التضحية بأغلى ما يملك الإنسان، ولكن الحاصل في بعض روايات أهل السنة أن أحد الأنبياء يستقبل رسول ربه بلكمة تفقأ عينه! ولا أدري أي صورة تريد هذه الرواية أن تصور لنا أنبياء الله الذين هم قدوة وأسوة الأمم والشعوب؟! فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: "أُرسل

(١) ص ٢١٨-٢١٩.
(٢) البخاري كتاب الجهاد باب من طلب الولد للجهاد.
(٣) البخاري باب من طلب الولد للجهاد.
(٤) البخاري: كتاب الأيمان والنذور: باب كيف يمين النبي وباب الإستثناء.
(٥) صحيح مسلم كتاب الأيمان باب الإستثناء.
(٦) البخاري كتاب التوحيد باب في المشيءة والإرادة، أو باب بلا عنوان، كتاب كفارات الأيمان باب الإستثناء.

ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عينه وقال: ارجع فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سَنة. قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن..." إلى آخر الحديث[1] أخرج هذا الحديث مسلم والبخاري، إلا أن في رواية مسلم: "فلما جاء صكه ففقأ عينه".

نقل مؤلف الأضواء -بتصرف-[2] «روى الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) القصة في باب لطمة موسى، ثم قال: هذا الحديث في أساطير الأولين ويضرب مثلا بين الناس، وقد اشتهر بعد ذلك بين العوام بأن عزرائيل أعور وفيه قيل:

يـا ملـك المـوت لقيـت مكرها لطمـة موسـى تركتـك أعـورا

واختتم الثعالبي مقولته قائلا: وأنا بريئ من عهدة هذه الحكاية[3]

وحقٌّ ما قاله الثعالبي من أن هذه الرواية أسطورة، وإلا كيف يليق بنبي من أولي العزم أن يفعل هذا؟

ثم كلنا يعلم أن الملائكة مخلوقات عليا لا طاقة للبشر بنزالهم، وكذلك أين تذهب هذه الرواية بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: ٣٤] ؟

فكيف يَرُدُّ نبي من أنبياء الله أمر الله بالموت؟ بل كيف يرفض نبي الله من أنبياء الله لقاء ربه وهم الذين أَفنَوا أعمارهم للقاء الله سبحانه وتعالى ورضاه؟ ثم أيّ فضيلة هذه التي نُسبت لموسى عليه السلام بعد أن اعترض أمر الله ولطم رسوله حتى يوردَها مسلم في صحيحه في باب فضائل موسى؟!

(١) البخاري: كتاب الجنائز باب: من أحب الدفن في الأرض المقدسة، وكتاب بدء الخلق باب وفاة موسى، وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل موسى.

(٢) أضواء على الصحيحين ص٢٢٠.

(٣) ثمار القلوب ص٥٣ رقم ٦٣.

سباق موسى والحجر

أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى من جلده شيئا استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أُدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا له، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل فرأوه عريانا، أحسن مما خلقه الله وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ بثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثا وأربعا وخمسا وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ٦٩﴾ [الأحزاب: ٦٩] صحيح البخاري كتاب الغسل باب من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة وكتاب بدء الخلق باب حديث الخضر مع موسى، صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل موسى وكتاب الحيض باب جواز الاغتسال عرياناًفي الخلوة. (المصادر في الحاشية مع ذكر الصفحات)

يقول مؤلف الأضواء معلقا على هذه الرواية[1]: «قبل أن نقوم بالبحث والتحقيق حول هذا الحديث، ندعو القراء الكرام إلى أن يُلقوا نظرة فيما قاله اثنان من شارحي الصحيحين بهذا الصدد.

قال بدر الدين العيني في شرحه على صحيح البخاري وفيه -أي في هذا الحديث-:

١- جواز المشي عريانا للضرورة، وكذا النظر إلى العورة عند الضرورة.

٢- وفيه معجزة ظاهرة لموسى ولا سيما تأثير ضربه بالعصا على الحجر مع علمه بأنه ما سار بثوبه إلا بأمر من الله تعالى[2].

(١) أضواء على الصحيحين ص ٢٢٣.
(٢) عمدة القاري ١٥: ٣٠٢.

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم: إن فيه معجزتين ظاهرتين لموسى؛ إحداهما مشي الحجر بثوبه إلى ملأ من بني إسرائيل، والثانية حصول الندب في الحجر[1].

أقول إن في هذا الحديث -وهو عندهم صحيح معتبر- انتقادات واستفسارات:

١- هل أن تشهير كليم الله موسى عليه السلام بإبداء سوأته على مرأى من قومه يبقي موسى على مقامه ويحفظ شخصيته التي كان عليها قبل الواقعة أم لا؟ ولا سيما إذا رآه القوم بتلك الحالة المضحكة، وهو يعدو خلف الحجر لا يسمع ولا يدرك شيئا ويناديه: ثوبي حجر ثوبي حجر.

٢- لو سلمنا صحة الحديث فلا بد أن نقول: بأن حركة الحجر من مكانه كانت إجبارية وبأمر من الله، ففي هذه الحالة فما يعني غضب موسى عليه السلام وأي أثر لعقوبة الحجر وعتابه؟

٣- إن فرار الحجر بثياب موسى عليه السلام لا يبيح لموسى أن يبدي عورته ويهتك نفسه بل كان في إمكانه عقلا وشرعا أن يستتر في مكان ما ويستر عورته عن أعين الناس.

وما ادعاه العيني والنووي من كون عمل موسى عليه السلام هذا معجزة، فعلى فرض صحة دعواهما لا بد أن يعلما أن المعجزة لا تأتي إلا إذا كان المقام مقام التحدي والتعجيز، وما نُسب إلى موسى عليه السلام بهذا الشأن لم يكن في مقام التحدي والتعجيز.

وأما براءته من الأُدرة وغيره فليست من الأمور التي يباح في سبيلها هتكه وتشهيره، ولا هي من المهمات التي تصدر بسببها الآيات والمعجزات، ولو فرض ابتلاؤه بهذا المرض فأي بأس عليه؟ ألم يصب النبي شعيب عليه السلام في بصره، وأيوب عليه السلام في جسمه، وأنبياء الله قد مرضوا وماتوا بذلك فهل هتكوا أنفسهم؟ هذا على فرض ابتلائه بالأُدرة، فإن هذا الداء كان مستورا على أعين الناس ولم يكونوا يعلمون بذلك» إ.هـ.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥: ١٢٧.

نبينا محمد (ﷺ) وبعض روايات أهل السنة

أما نصيب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الروايات فوافرٌ جدا في كتب أهل السنة والجماعة، غير أننا سنقتصر على شيء مما ورد في الصحيحين لمكانتهما في قلوبهم وسنذكر بعض الأمثلة لذلك:

الأكذوبة الأولى: ما ذبح على النصب، وسب من لايستحق.

أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن سالم أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لقي زيد بن عمر بن نفيل بأسفل بلدح، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله (ﷺ) الوحي، فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها، ثم قال: إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه.[1]

والأنكى من ذلك ما رواه أحمد بن حنبل عن نوفل بن هشام بن سعيد بن زيد عن أبيه عن جده فإنه قال: ومر بالنبي -يعني زيد بن عمر بن نفيل- ومعه أبوسفيان بن الحرث، يأكلان من سفرة لهما، فدعواه إلى الغداء فقال: يا ابن أخي إني لا آكل مما ذبح على النصب، قال: فما رؤي النبي صلى الله عليه وآله وسلم من يومه هذا يأكل مما ذبح على النصب حتى بُعث.[2]

وتبيِّن هذه الرواية أن زيد بن عمر بن نفيل كان أعلم وأتقى من رسول الله! فهو يرفض أكل ما ذبح على الأصنام، بينما هادي الأمم والبشر الذي ما عبد غير ربه يأكل من هذه الأشياء!! ألم يصل إلى درجات الإيمان الرفيعة بالله سبحانه وتعالى كما وصل إليها زيد بن عمر بن نفيل؟!! حتى يصبح زيد مرشدا له.

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني اتخذت عندك عهدا لم تخلفْنيه، فأيما عبد آذيته أو سببته أو جلدته، فاجعلها كفارة وقربة تقربها إليك.[3]

(١) البخاري كتاب الذبائح والصيد باب ما ذبح على النصب والأزلام.
(٢) صحيح مسند أحمد بن حنبل ١: ١٨٩.
(٣) البخاري كتاب الدعوات، باب: قول النبي من آذيته.

وفي حديث آخر قال: اللهم إنما أنا بشر فأيما رجل من المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا[1]

مؤدَّى هذين الحديثين يُظهر أن رسول الله يسب ويلعن من لا يستحق اللعن، وأنه تطرأ عليه نزوات وغرائز الشر فيدعو ويسب تبعا لذلك، حاشاه وهو الموصوف في الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤]، ثم يروي مسلم في صحيحه أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه نهى أن يكون المسلم لعانا وفحاشا ونهاهم حتى عن لعن الدواب والحيوانات[2]! فكيف يستجيز لنفسه أن يسب عباد الله المؤمنين دونما ذنب أو سبب.

الأكذوبة الثانية: البول قائما.

روى البخاري ومسلم عن حذيفة قال: أتى النبي (ﷺ) سُباطةَ قوم خلف الحائط فبال قائما[3].

ورويا أيضا عن أبي وائل قال: كان أبو موسى الأشعري يشدد في البول ويقول: إن بني إسرائيل كان إذا أصاب أحدهم قرضه. فقال حذيفة: لوددت أن صاحبكم لا يشدد هذا التشديد، فلقد رأيتني أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نتماشى فأتى سُباطةً خلف حائط فقام كما يقوم أحدكم فبال فانتدبت منه فأشار إلي فجئت فقمت عقبه حتى فرغ.[4]

وهذه الروايات تقلل من قداسة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف يجهل رسول الله أبسط الآداب التي جاء مبعوثا بها؟!!

يقول مؤلف الأضواء: والجدير بالذكر أن هذه المسألة قد طرحت بعد وفاة الرسول (ﷺ)، وكانت عائشة تفند وتستنكر هذه الأحاديث وتقول من حدثكم

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة باب: من لعنه الرسول أو سبه أو دعا عليه وليس لذلك أهلا.
(٢) مسلم كتاب البر والصلة: باب النهي عن لعن الدواب.
(٣) مفاد ما ورد في صحيح البخاري كتاب الوضوء باب البول عند صاحبه والتستر بالحائط وباب البول قائما وقاعدا وباب البول عند بساطة قوم وفي صحيح مسلم كتاب الطهارة باب المسح على الخفين.
(٤) نفس المصدر السابق.

أن النبي كان يبول قائما فلا تصدقوه ما كان يبول إلا قاعدا[1]، وقال الترمذي بعد تخريجه لهذا الحديث: حديث عائشة أحسن شيء في الباب وأصح.

الأكذوبة[2] الثالثة: رسول الله (ﷺ) يُسحر

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسۡحُورًا ۝٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ۝٩﴾ [الفرقان: ٨ - ٩]، هذه الآية تبين نوعًا من أنواع السخرية التي كان يواجَه بها رسول الله باتهامه بأنه مسحور، ودفاعَ الباري عنه سبحانه وتعالى، ولكن هذه الآية لم تشفع لنبينا محمد من تهمة الإنسحار؛ فها هي الروايات الموجودة في كتب أهل السنة تؤكد ما جاء على لسان الجاهليين من أن الرسول سُحر، وخلاصة القصة هي أن الساحر اليهودي لبيد بن الأعصم من بني زريق سَحر النبي (ﷺ) حتى كان النبي (ﷺ) يتخيل أنه يعمل عملا ما، بينما هو لا يعمله، وتارة يتصور أنه قد أتى إحدى زوجاته وهو لم يأتها[3]!

الأكذوبة الرابعة: النبي يقتل نساء وأطفال المشركين.

يقول الله سبحانه وتعالى مشنعا على المشركين قتل أطفالهم: «وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت» وقال تعالى «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا» هذه الآيات تبين عظمة رحمة الإسلام بالطفولة حتى فيما يتعلق بأبناء المشركين، بينما بعض الروايات الموجودة في كتب أهل السنة والجماعة تظهر الإسلام متوحشا، وأن داعش والقاعدة امتداده الطبيعي، والمعلوم أن الفلم المسيء الذي نشره الأمريكان عن أطهر الخلق أخذ معظمه من كتب أهل السنة والجماعة ومن رواياتهم الخبيثة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هذه الروايات الرواية الموجودة في البخاري ومسلم: "سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الذراري من المشركين يبيتون فيصيبون

(١) سنن الترمذي كتاب الطهارة باب ما جاء في النهي عن البول قائما.
(٢) سنن الترمذي كتاب الطهارة ذيل حديث (١٢).
(٣) البخاري كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده وكذلك انظر كتاب الطب باب هل يستخرج السحر.

من نسائهم وذراريهم، فقال : هم منهم «[1].

وهذه رواية أخرى في صحيح مسلم أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لو أن خيلا أغارت من الليل فأصابت من أبناء المشركين؟ قال: هم من آبائهم «[2].

الأكذوبة الخامسة أن النبي يأمر بقتل الأسرى

وجاءت روايات كما في مسلم وأحمد بن حنبل تفيد أن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) استشار أصحابه في الأسرى؟ فأشار عليه عمر بقتلهم، وفي مقدمتهم العباس عم النبي! وأشار عبدالله بن رواحة بإحراقهم! وأشار عليه أبو بكر بتسريحهم وأخذِ الفداء منهم؛ فعمل النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) بمشورة أبي بكر؛ فنزلت الآية عتابًا له (صلوات الله عليه وعلى آله) على قبوله الفداء وعدم قتلهم وتصديقا لعمر.

ومن الواضح جدا أن هذه الرواية غير صحيحة من عدة نواحي، منها أن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) قد قبل فداء عثمان بن عبدالله بن المغيرة والحكم بن كيسان اللذين أُسرا في سرية عبدالله بن جحش، وذلك قبل بدر.

أما بالنسبة للآية وهي قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]، فهي جواب على رغبة بعض المسلمين في قافلة غير ذات الشوكة طمعا بما فيها من غنائم وأسرى للفداء، بدلا من الانصدام بذات الشوكة، ومايترتب على ذلك من تفويت لكسر هيبة قريش بقتل مجرميها في المعركة، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧﴾ [الأنفال: ٧] فالإثخان هناك المقصود به أن الأولوية في الصراع مع المجرمين هو الإثخان في القتل في المعركة وليس الأسر-

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير.
(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير.

كما ذكر الإمام الهادي في مجموع رسائله [٣١١]- وبالذات أنها المعركة الأولى التي يخوضها الإسلام ضد الشرك، أما وقت الأسر فالتعامل العام مع الأسرى فإنما هو على وفق قول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنسان: ٨].

الأكذوبة السادسة: زواج النبي الأكرم من عائشة وهي طفلة

وهذه الأكذوبة مروية في كتب الحديث بشكل كبير، وبالتأكيد فإن هذه الرواية مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا يمكن أن يمارس شيئا يتناقض مع ما ذكره الله في القرآن الكريم، لأن الله يشترط في الزواج الوصول لسن البلوغ الذي يعبر عن حالة النضج الجنسي، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾ [النساء: ٦].

روايات مسيئة للأنبياء في كتب الاثني عشرية

رغم الغلو الذي يضفيه غلاة الاثني عشرية على الانبياء والائمة إلى درجة تصل إلى تنزيههم عن السهو والنسيان، بل إن ائمتهم يعلمون الغيب ويُسيِّرون الكون وغيرها من الأفكار المغالية وهذا ما ستقرأه في فصل لاحق إن شاء الله، ولكن رغم ذلك فإن هناك روايات اثنا عشرية تنتقص الانبياء لا تقل جرأة عن جرأة الروايات السنية إن لم تفُقْها، والحق أن المتأخرين منهم يرفضونها، بل حتى أغلب المتقدمين، ويصفون هذه الروايات بالموضوعة، لكن ذكرنا لهذه الروايات حتى يعلموا خطورتها عليهم، وبُعدها عن منهج أهل البيت ومقدار الحشو في كتبهم.

ففي بعض الروايات يتملك الحسد نبياً من الأنبياء فيكون ذلك سبباً لخروجه من الجنة

روي في عيون أخبار الرضا ١٧٠ وبحار الأنوار ٣٦٢/١٦ عن الرضا قال: قال الله لآدم: هؤلاء من ذريتك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وهم خيرٌ منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والأرض، فإياك

أن تنظر إليهم بعين الحسد فأُخرجك عن جواري، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نُهيَ عنها، وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمة بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة.

معلوم أن السبب الرئيسي لخروج آدم سلام الله عليه من الجنة هو الأكل من الشجرة التي نهي عنها، فقد ذُكر ذلك في مواضع كثيرة من القرآن كفيلة بتكذيب هذه الرواية، ولم يأت في واحدة منها إشارة ولو من بعيد إلى هذه القصة والرواية الغربية رغم كثرة مواضعها وتنوع أساليب إخبارها، وحاشا لله أن يتملك الحسد نبياً من الأنبياء عليهم السلام.

وقد يتملك الكبر والعجب الأنبياء في روايات الاثني عشرية! من ذلك ما رواه الكافي ٣١١/٢ عن أبي عبد الله قال إن يوسف عليه السلام لما قدم عليه الشيخ يعقوب دخله عِز المُلك فلم ينزل إليه، فهبط جبريل، فقال: يا يوسف ابسط راحتك، فخرج منها نورٌ ساطع فصار في جو السماء، فقال يوسف: يا جبريل ما هذا النور الذي خرج من راحتي، قال جبريل: نزعت النبوة من عقبك عقوبةً لمّا لم تنزل إلى الشيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبي.

- عن أبي جعفر عليه السلام: ودخل حزقيلَ النبيَّ العجبُ، فقال في نفسه: ما فُضِّل سليمان النبي علي وقد أعطيت مثل هذا؟ قال: فخرجت على كبده قرحة فآذته.[1]

- عن علي بن الحسين قال: يا أيتها الحوت، فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله... فقال من أنت؟ قال: أنا حوت يونس يا سيدي، قال: أنبئنا بالخبر، قال: يا سيدي إن الله لم يبعث نبياً إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الانبياء سَلِم وتخلص، ومن توقف عنها وتمنع في حملها لقي ما لقي آدم من المعصية وما لقي نوح من الغرق وما لقي إبراهيم من النار وما لقي يوسف من الجب وما لقي أيوب من البلاء وما لقي داوود من الخطيئة، إلى أن بعث الله يونس فأوحى إليه أن يا يونس تولّ أمير المؤمنين

(١) بحار الانوار ٦٣-١٨٥.

علياً والأئمة الراشدين من صلبه، قال: كيف أتولى من لم أره ولم أعرفه؟و ذهب مغتاظاً فأوحى الله إليّ: أن التقمي يونس ولا توهني له عظماً، فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلاث ينادي (لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين) قد قبلت ولاية أمير المؤمنين والأئمة الراشدين![1]

– ليس هذا فحسب بل إن موسى سلام الله عليه لا يصل إلى مرتبة أمّة محمد! عن الرضا عن آبائه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إن موسى سأل ربه فقال: يا رب اجعلنى من أمة محمد، فأوحى الله إليه يا موسى إنك لا تصل إلى ذلك.[2]

– ولما كان أنبياء الله لا يصلون إلى مرتبة أمة محمد حسب الرواية السابقة، فلم يعد من الصعب أن نتهمهم بكل قبيح حاشاهم، فمِن أجل نزوة شهوانية يقدم داوود عليه السلام أوريا للموت طمعاً في الزواج من زوجته التي افتتن بها داوود حاشاه من هذا الكذب!

عن الصادق عليه السلام قال: وقد كان داوود عليه السلام قد بعث أوريا في بعثٍ، فصعد داوود الحائط ليأخذ الطير وإذا امرأة أوريا تغتسل، فلما رأت ظل داوود نشرت شعرها وغطت به بدنها، فنظر إليها داوود وافتتن بها، فكتب داوود إلى قائد جيشه: ضع التابوت بينك وبين عدوك، وقدّم أوريا بن حنان بين يدي التابوت، فقدَّمَه وقُتِل ثم تزوج داوود زوجة أوريا وأنجبت له سليمان عليه السلام.[3] هذه الرواية موجودة أيضا في بعض كتب أهل السنة وتفاسيرهم للأسف الشديد.

وإليك مجموعة من الروايات التي تنتقص نبينا محمد صلوات الله عليه وآله وبعض الأنبياء:

١– النبي يسحر: عن أمير المؤمنين قال: سحر لبيد ابن الأعصم اليهودي وأم عبد الله اليهودية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فعقدوا له في إحدى عشرة عقدة... فأقام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يأكل ولا

(١) بحار الانوار ٦١/٥٢.
(٢) عيون اخبار الرضا ١١٣.
(٣) بحار الانوار ١٤/٢٠-٢٣.

يشرب ولا يسمع ولا يبصر ولا يأتي النساء.[١]

٣- سأل المأمون الرضا عليه السلام عن قول الله ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال الرضا: إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قصد دار زيد بن حارثة في أمرٍ أراده، فرأى امرأته تغتسل فقال لها: سبحان الله الذي خلقكِ[٢].

٤- إن بعض أنبياء بنى إسرائيل شكا إلى الله قسوة القلب وقلة الدمع[٣].

٥- عن أبي جعفر الباقر قال: لما صعد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى السماء... ثم قال محمد: أين أبي إبراهيم؟ فقالوا له: هو مع أطفال الشيعة، فدخل الجنة فإذا هو تحت الشجرة لها ضروع كضروع البقر، فإذا انفلت الضرع من فم الصبي قام إبراهيم فرد عليه، قال: فسلَّمَ عليه وسألَه عن علي، فقال: خلفته في أمتي، قال: نِعْمَ الخليفةُ خلفت، أمَا إن الله فرض على الملائكة طاعته، وهؤلاء أطفال شيعته سألت الله عز وجل ان يجعلنى القائم عليهم ففعل[٤].

عقيدة قرناء القرآن في الأنبياء عليهم السلام

قال الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام:

"اعلم أن الأنبياء صلوات الله عليهم لم يعص أحد منهم متعمدا يعلم أن لله معصية فيتعمدها، وذلك لا يجوز على الأنبياء لأنهم أصفياؤه ورسله اختارهم على علم سبق منه فيهم أنه إذا بعثهم إلى خلقه سيبلغون الرسالة، ويؤدون الأمانة، ولا يعصونه في شيء من الأشياء فعلى ذلك اصطفاهم واختارهم. قال في قصة آدم عليه السلام: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ١١٥﴾ [طه: ١١٥]، وقال في قصة نوح عندما دعا

(١) الكافي ٨/٤٦.
(٢) عيون اخبار الرضا ١١٣.
(٣) بحار الانوار ٣٦/٢٥٨.
(٤) بحار الانوار ١٨/٣٠٣.

ربه: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود: ٤٥] فقال له ربه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: ٤٦] يقول: ليس من أهل طاعتك ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ [هود: ٤٦] فقال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧﴾ [هود: ٤٧]، فتاب عليه السلام من ذلك...، وقال موسى عندما قَتل القبطيَّ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص: ١٦] و ﴿هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ﴾ [القصص: ١٥] وقال: ﴿فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾ [الشعراء: ٢٠]، يقول: من الجاهلين لعاقبة أمري... وكذلك سليمان، ويونس وأيوب وجميع الأنبياء صلوات الله عليهم، ما كانت خطاياهم وعصيانهم إلا على وجه الزلل والنسيان فاعلم ذلك ولا تنسب إليهم ما لا يليق بهم، لأنهم بررة أتقياء أصفياء صلوات الله عليهم»[1].

هذه هي رؤية أهل البيت عليهم السلام لأنبياء الله عليهم السلام، وهم كما رأيت مَنحوا الأنبياء مرتبة الكمال البشري، ولم يغالوا بإضفاء بعض صفات الألوهية كما فعل بعض الغلاة، فأنبياء الله مهما بلغوا من الكمال فما زالوا في إطار البشرية والمحدودية، والكمال المطلق لله وحده.

ولعل هناك نظرة مغايرة تماما لنظرة غلاة أهل السنة، وهي نظرة غلاة الشيعة وغلاة المتصوفة، فهم قد جعلوا لأئمتهم وأوليائهم بعض صفات الألوهية من علم الغيب وعدم النسيان وما إلى ذلك من الصفات الإلهية تأثرا بفكرة وحدة الوجود المستوردة من الهند واليونان.

والخلاصة أن منهج أهل البيت عليهم السلام أثبت أنه المنهج السامي في تفسير حدود النبوة، وسيأتيك لاحقا لمحة تفسيرية لبعض الآيات التي تذكر خطايا الأنبياء وكيف تعامل معها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

(١) إ.هـ مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام ص ٨٢.

قصة يوسف عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] قال الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام رداً على سؤال ابراهيم بن المحسن العلوي عن هذه الآية: "كان همّها هي همّ شهوة ومراودة، وكان همّه هو بها همّ طباع النفس والتركيب، ألا ترى أنك إذا رأيت شيئا حسنا أعجبك وحسن في عينك وإن لم تَهُمّ به لتظلمه أوتأخذه غصبا من أهله، وكذلك إذا رأيت طعاما طيبا أو لباسا حسنا أعجبك وتمنيت أن يكون لك مثله وأنت لا تريد بإعجابك به أخذَه ولا أكلَه إلا على أحل ما يكون وأطيبه، ولم ترد بقولك إنك تأكله أو تلبسه أو تنكحه إلا حلالا.

قلت: بلى.

قال: فذلك كان همّ يوسف صلى الله عليه في زوجة الملك.

قلت: قد سمعنا بعض الرواة يذكر أن منع يوسف عليه السلام من إتيانها أنه رأى يعقوب صلى الله عليه كأنه يزجره عنها ويخوفه.

قال: قد قيل فيه شبيه من ذلك، وليس القول فيه كذلك، وحاشا الله أن ينسب ذلك إلى نبي الله.

قلت: فقد كان يروي لنا ذلك الملأ، ونتحدث به في المساجد.

قال: قد ذكر ذلك -جل الله وتعالى عن كل ما يقول فيه الملحدون وينسب إليه الضالون- وليس قولهم هذا في أنبياء الله وروايتهم الكاذبة عليهم بأعظم من كذبهم وجرأتهم على الله سبحانه وتعالى مما يقول الظالمون علوا كبيرا، ألا ترى كيف شبهوه بالأشياء من خلقه، وجعلوه جسما ذا أعضاء وأجزاء مختلفة، فتعالى عن ذلك من ليس كمثله شيء، ولقد ناظرت رجلا ممن ينتحل التشبيه فألزمته أن يقول إن الله مخلوق أو ينفي عنه التشبيه، فاختار أن يجعله مخلوقا وكره أن ينفي عنه التشبيه، فهذا أعظم الأمور وأقبح الأقاويل كلها.

قلت: فالبرهان الذي رآه يوسف صلى الله عليه ما هو؟

قال: هو ما جعل الله فيه من علمه وخصه به من المعرفة والخوف في علانيته

وسره، وإنما ذلك ابتداء منها ومراودة له على نفسه كان من قولها: يا يوسف إن لم تأتني أتيت أنا إليك، فقال: معاذ الله من ذلك[1]....

حديث الشهيد القائد عن عظمة الأنبياء

«الإيمان بالرسل كشخصيات مهمة، أشخاص مهمون، اصطفاهم الله، أكملهم الله، لم يكونوا أناساً عاديين، أنت حينئذ ستحس وأنت تؤمن بأولئك العظماء -على امتداد التاريخ- تحس بافتخار، بعز، برفعة نفس، أن قدواتك على امتداد التاريخ، أن من أنت تسير على نهجهم، وعلى طريقهم هم أناس عظماء، اصطفاهم الله وأكملهم واختارهم لأن يكونوا هم المبلغين لدينه، لهديه إلى عباده.

الإيمان بالرسل نحن في حاجة ماسة إليه على هذا النحو، فالقرآن الكريم عرض لنا عددا كبيراً من الأنبياء والرسل وشرح لنا كثيراً من أحوالهم وأورد كثيراً من نصوص دعواتهم، وأبان كثيراً من أساليب دعوتهم، وكشف لنا كثيراً عن خصائص نفسياتهم، فيما تحمله من جدٍ، من اهتمام، من إخلاص، من نصح، من حرص على البشر لهدايتهم إلى صراط الله المستقيم.

في مسيرة الرسل (صلوات الله عليهم) الكثير من الدروس، الكثير من العبر، لكنها كلها لن يكون لها قيمة - وهذه هي المشكلة - أن من رضي لنفسه بأن يظل جامدا فكل شيء لن يكون له قيمة لديه. متى انطلقت، متى شعرت بتحمل المسئولية أمام الله سبحانه وتعالى، أن تكون من أنصار دينه، أن تكون من العاملين في سبيله، حينها ستعرف قيمة كل شيء وأهمية كل شيء، كم من الأنبياء في القرآن الكريم عرفنا كثيراً من أخبارهم، عرفنا كثيراً عن تلك الأمم التي بُعثوا إليها. ولكن نمشي على كل تلك القصص المهمة دون اعتبار، دون استلهام ما نحن بحاجة إليه من واقع تلك الشخصيات المهمة، دون تعرّف على السنن الإلهية، دون تعرف على الأساليب المهمة التي يجب أن يتوخاها، وأن يعمل بها العاملون في سبيل الله.

هكذا ستجد في سيرة الأنبياء، في أخبار الأنبياء، في قصصهم ما هو عبرة لأولي الألباب، ما هو دروس عظيمة ومهمة.

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام ص ٤٥٠.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أخبرنا القرآن الكريم بأنه كان بحاجة إلى أن يقص عليه أنباء الرسل السابقين قبله، فقص عليه من أنباء الرسل، وقال بأن الغاية من ذلك هو: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠]، لأن فؤاد النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فؤاد رجل، قلب رجل مهتم، يعمل، يتحرك، وأمام كل الأحداث، أمام كل المتمردين، أمام المعاندين، أمام كل الظروف والمواقف الصعبة، سيكون لأخبار الأنبياء السابقين أثره الكبير في تثبيت فؤاده ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾ [هود: ١٢٠] ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١]. رسل الله وتلك الأمم التي بعثوا إليها عدد كبير، وأمم كثيرة، وأجيال متعاقبة، وأزمنة مختلفة، ونفسيات متعددة، وأحوال متباينة.

من حسن حظنا نحن المسلمين الذين نحن آخر الأمم أن كان بين أيدينا رصيد عظيم، رصيد مهم مليء بالعبر والدروس، مليء بالمواقف المتماثلة، والمواقف المتباينة، كلها دروس مهمة، تراث مهم.. فمن العجيب، ومن الغريب أن تضل أمة بين يديها هذا التراث العظيم، هذا الرصيد المهم الذي عرضه القرآن الكريم بين يديها. تجد في أنبياء الله - على الرغم من كمالهم، هم في أنفسهم، باعتبار الظروف، وباعتبار نوعيات الأمم التي بعثوا إليها - تجد وحدة الأنبياء، روحية الأنبياء الواحدة على اختلاف الزمان والفارق الكبير بين كل نبي ونبي، تشعر وكأنك أمام مجموعة من التلاميذ عاشوا في زمن واحد، وتلقوا تعليمهم على يد أستاذ واحد، هذا نفسه هو شاهد حي على أن بإمكان منهج الله سبحانه وتعالى، وهديه أن يبني أمة متوحدة.

من الذي يقرأ أخبار أولئك الأنبياء ثم لا يلمس أنه أمام روحية واحدة، ونَفس واحدة؟ تقرأ عن نوح، عن إدريس، عن إبراهيم، وهكذا، وهكذا إلى أن تصل إلى نبينا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) إذا بك ترى نفسك أمام مجموعة واحدة، كلها على قلب رجل واحد، نظرتها إلى الحياة واحدة، اهتمامها بعباد الله واحد، تفانيها في ميدان العمل من أجل الله واحد، علاقتها بالله سبحانه وتعالى، منطلقها واحد؛ لنقول لأنفسنا نحن في هذه الأمة التي تفرقت وتمزقت بعد أن حذرها الله في كتابه الكريم، ونهاها عن التفرق والاختلاف، وأن لا تقع فيما وقعت فيه الأمة السابقة، أو

جملة من الأمم السابقة قبلها ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥]).

نقول لأنفسنا: ما الذي فرقنا؟ هل هو دين الله؟ هل هو هدي الله؟ إن هدي الله استطاع أن يوحد ويخلق روحية واحدة لمجاميع من أنبيائه ورسله وأوليائه على اختلاف عصورهم، على اختلاف فئاتهم، على اختلاف مجتمعاتهم.

لنقول لأولئك الذين يشرّعون الاختلاف، ويؤصلون للفرقة: ليست هذه هي روحية الأنبياء، هذه ليست هي الروحية التي يمكن أن يخلقها هدي الله في نفوس الأمة، ليعرفوا هم جسامة الخطأ الذي ارتكبوه، وما زالوا يرتكبونه، أن ينطلقوا إلى أولئك الذين سيكونون هم الفئة التي تنطلق لإصلاح المجتمع، الفئة التي تحمل دين الله، ليقولوا لكل واحد منهم أن له صلاحية أن ينطلق معتمداً على نفسه فيدين بما أداه إليه نظره واجتهاده، مع علمهم ومع علمنا جميعا بالتباين الذي يحصل في وجهات النظر وفي النتائج التي تحدث بناء على اختلاف وتعدد وجهات النظر. هل هذا دين الله؟ ليس هذا دين الله.

نرجع إلى هدي الله في كتابه الكريم الذي أبان لنا أمة واحدة، وليس فقط الأنبياء بل عرض علينا شخصيات أخرى من أوليائه، ومجاميع أخرى من أوليائه ليبين لنا نفسياتهم كيف هي وهم في ميدان الاهتداء بهدي الله والالتزام بدينه، والعمل في سبيله، تراهم كذلك نموذجا واحدا، تراهم كذلك نفسيات واحدة، ونظرة واحدة، ووعي واحد.

هذا مما يمكن أن نستفيده من خلال التعرف على أنبياء الله ورسله في القرآن الكريم. تجد في نفس الوقت الأمم التي بعث إليها الأنبياء والرسل كيف كانت أساليبهم واحدة، كيف كانت بواعث تمردهم وعنادهم ودعاياتهم ضد الأنبياء واحدة، ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١٨] هكذا قال الله عنهم، إنما أحياناً – وهو الشيء الطبيعي – مع تعاقب الأمم أن تكثر الدروس، وتتعدد المواقف التي تتجلى من خلالها الدروس والعبر في هذا الاتجاه، أو في هذا الاتجاه، فإذا نحن نرى أنفسنا أن بين أيدينا تراثا مهما، رصيدا مهماً لكننا نحن ونحن كطلاب علم، نرجع إلى الأنبياء،

أو نرجع إلى نظرتنا إلى الأنبياء فنجد أنها نظرة غير واقعية ونظرة غير حقيقية بسبب الأخطاء الثقافية التي تلقيناها فقدمت لنا الأنبياء مجموعة من المساكين الذين لا يعرفون كيف يتحركون، والذين لا يكادون يعرفون كيف يتكلمون،، [أجواد أطياب مساكين الله]، فلم يكن هناك ما يمكن أن يجعلنا نستلهم من حياتهم، ومن أساليبهم، ومن حركتهم، ومن أعمالهم ومن مواقفهم الدروس المهمة.. فإذا بنا نعطل تلك الآيات الكثيرة، على الرغم من قول الله لنا في كتابه الكريم أن في قصص الأنبياء تثبيتا لفؤاد نبيه.

رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي نؤمن بأنه سيد الرسل، كيف نظرتنا إليه؟ ومن أين يمكن أن نتعرف على شخصيته بالشكل الذي تملأ نفوسنا حبا له، وشعورا بعظمته، وكمال نفسيته، وكمال شخصيته، وقدرته الهائلة، وذكائه الكبير؟.

متى ما جئنا إلى السّير التي تحمل عنوان سيرة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم نأتي فيتحدثون عن مولده ونبذة بسيطة من الإرهاصات التي حصلت عند مولده، ثم يبدأ المؤلف، غزوة بدر، بعدها، غزوة أحد، بعدها، غزوات، غزوات. يتحدث عن الغزوة كم عدد المسلمين، كم كان عدد الكافرين، ما الذي حدث أخيرا، متى كانت ومتى انتهت، ثم ينتقل إلى غزوة أخرى، فنخرج من كتب السيرة ولدينا معرفة بتواريخ أحداث، غزوة بدر، غزوة أحد، غزوة حنين، غزوة كذا إلى آخره، ولكن أين هي شخصية محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) التي تعرفنا عليها من بين ذلك الركام من كتب السيرة؟!. بل نقرأ في كتب الكلام الأساليب التي توجهنا إلى كيف نعمل ونحن نستدل، ونحن نحتج، ونحن نناقش، ونحن نبحث، ونحن نجادل الآخرين، وحتى ونحن ندعو الآخرين، وإذا بنا نرى أنفسنا بعيدين عن شخصيات الأنبياء، وعن أساليبهم بما فيهم سيدنا محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)[1].

❖ ❖ ❖

(١) ملزمة الهوية الإيمانية للشهيد القائد.

أهل البيت عليهم السلام

سنة الله في الهداية:

الارتباط بأهل بيت الأنبياء عليهم السلام سنة إلهية منذ آدم عليه السلام، ولكن قبل أن نتكلم عن آل محمد من المهم أن نتعرف على سنة الله في الهداية، فلِلَّه سبحانه وتعالى سنن وقوانين كونية لتنظيم الكون، كقانون الجاذبية وغيرها من السنن والقوانين الفيزيائية والطبيعية، وقد استفاد البشر كثيرا من هذه السنن والقوانين، فقد شاهدوا الطير وتأملوا في القوانين والسنن التي تتحكم به وصنعوا الطائرات، وشاهدوا قرون الاستشعار الموجودة في الحشرات والحيوانات وقدرتها على استشعار الكائنات حرارياً من مسافة بعيدة فصنعوا من خلال هذه المشاهدة الرادارات، وهكذا في بقية التأملات والمشاهدات، استطاع البشرُ -من خلال الاستفادة من هذه السنن الطبيعية والفيزيائية- القيامَ بثورة صناعية وتقنية والصعود للفضاء، ولكنهم فيما يتعلق بالسنن الإلهية المرتبطة بهداية وإرشاد البشر حين تعاملوا معها برفض وجحود هبطوا وانحطوا في مجال القيم والأخلاق إلى تحت مستوى الحيوانات، والملاحِظ لآيات القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى عندما يذكر الكون يتحدث عن تدبيره للكون ثم ينتقل للحديث عن البشر فيتحدث عن تدبيره لشؤون البشر، ولكن تدبير الكون وبقية المخلوقات يختلف عن تدبير البشر، فالحيوانات مثلا لا تحتاج إلى كتب وأنبياء وورثة كتاب، بينما الإنسان يحتاج لتدبير الله بهذا الشكل (كُتُب وقيادات)، ولرحمة الله سبحانه وتعالى فهو يجعل في المبادئ الأساسية للدين ما يشهد له من واقع البشر، فحاجة البشر لمنهج وقائد مسألة فطرية، وسنة الله في الهداية غير بعيدة عن فطرة البشر وعن نظام الحياة للمجتمعات البشرية من أوسع نطاق مجتمعي إلى أضيقه، فليس هناك دولة إلا ولها قائد ودستور، وليس هناك محافظة إلا ولها محافظ وقانون، وليس هناك قبيلة إلا ولها شيخ وأعراف تنظّم حياة القبيلة، فلا بد من منهج وقائد كقضية فطرية وواقع لايمكن تجاوزه، وهذه حجة كبيرة على البشر أنهم بحاجة إلى منهج وقائد، وسنة الله في الهداية لا تخرج عن هذه السنة الفطرية، وتؤكد أنه لابد

من منهج وقائد، ولكن الله هو من يهيئ القادة الهداة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وهو من يهيئ المنهج ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢] ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الإسراء: ٢]، فلا بد من منهج يهيئه الله وعَلَم يهيئه الله، وقد أوضح الله سنته هذه في كتابه الكريم من خلال التأمل في هذه الآيات قال تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [السجدة: ٢٣]، فموسى هو القائد والكتاب هو المنهج، وبعد موت النبي لا بد من امتداد بشري بشكل قادة أعلام هداة يواصلون الدرب فلا انقطاع لهذه السنة الإلهية، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

من خلال هذه السنة الإلهية يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى يهيئ للأمة أعلام هداية في كل مرحلة حتى بعد الأنبياء، ومن الخطأ الاعتقاد أن بانقطاع الوحي ووفاة الأنبياء تنقطع صلة الخالق بالمخلوق، لقد أكد الله في القرآن أنه سبحانه وتعالى لا يغيب عن قضايا الناس حتى البسيطة ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧] ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، والقرآن يؤكد قرب الله من عباده وأنه يرعاهم ولايتركهم هملا بدون راع، ولذلك سطّر الله شهادته وتفهيمه لعَلم من أعلام دينه في قضية عادية ليؤكد على قربه من عباده ورعايته لهم، قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، في قضية غنم نفشت في مزرعة شخص وهي قضية فرعية كما يسميها العلماء، لكنْ لم يترك الله المسألة لاجتهاد المجتهدين، وفهّم وارثَ الكتاب سليمانَ رغم أن النبي في تلك المرحلة هو داوود، وكان سليمان في تلك المرحلة وارث كتاب، فالله يوحي إلى أنبيائه ويُفَهِّم أعلام دينه، فإذا كان الله لم يَغِبْ عنه قضية فرعية كهذه فهل

ستغيب عنه قضايا صراع بين الأمة وبين اليهود والنصارى، وهل سيتركنا دون أن يهيئ للأمة علَمًا من أعلام دينه من آل رسول الله كما هي سنته في الأمم السابقة يكون محطة للتفهيم الإلهي والهداية بأمر الله ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، إذا كان الله سبحانه وتعالى لم يغفل عن قضايا كمالية بالنسبة للإنسان، فجعل الفواكه بالشكل والطعم الذي يلبي حاجة ورغبة في نفسية الانسان بل وهيأ له أدنى من ذلك، هل يمكن أن يغيب عن الله تهيئة القيادة التي يفهمها لهداية الأمة والبشرية وبالذات أن الأمة في صراع مع العدو ومع عدو خطير وذكي كاليهود والنصارى وغيرهم من فئات الكفر الذين من شدة خطورتهم كادوا أن يخدعوا رسول الله صلى الله عليه وآله لولا فضل الله عليه ورحمته، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾﴾ [الإسراء: ٧٣] حاشا لله أن يتركنا بلا راع وقيادة يفهمها كيف تواجه وكيف تربي الأمة وتزكيها.

والتأمل في هذه الآية أيضا يبين سنة الله في الهداية:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠٠ - ١٠١]، هذه الآية تؤكد هذه السنّة: المنهج والعَلَم، وأنتم تتلى عليكم آياته (المنهج)، وفيكم رسوله (العَلَم)، وهذا الاستفهام الاستنكاري "وكيف تكفرون" يؤكد بأنه حصلت حالة كفر[1] والكتاب موجود والرسول موجود بين أظهركم، فإذا حصلت حالة كفر والرسول موجود بينهم وهم في مواجهة يهود عاديين، فكيف ستصنع هذه الأمة وهي في مواجهة دول متطورة ويهود متطورين والرسول ليس موجودا؟ هل يمكن أن يتركنا الله بغير عَلَم من أعلام دينه يقوم مقام رسول الله ويجسد قيمه وسيرته ونحن في مواجهة يهود على أرقى مستوى من

(١) حالة الكفر التي حصلت من مجتمع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أمثلتها في القرآن كثيرة منها هذه الآية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٣].

الدهاء والخبرة؟ هذا لا يجوز على الله وليس من عدل الله الرحيم والحكيم.

معايير اختيار القائد الأعلى

بما أن سنة الله في الهداية لا بد فيها من منهج وقائد، وهذه كآلية لا تختلف عن بقية الأنظمة البشرية التي تؤمن أيضا بضرورة وجود القائد والمنهج، بل هي فطرة بشرية كما ذكرنا، إذًا ما هو الفارق بيننا وبينهم ما دامت الآلية واحدة؟ بالطبع الفارق هو في معايير اختيار القائد الأعلى وكذلك في مضامين المنهج، فمعايير اختيار القائد الأعلى تختلف بين نظام الولاية القرآني عن النظام الديموقراطي والملكي ونظام الخلافة السني، فما هي المعايير في اختيار القائد الأعلى في هذه الأنظمة؟ ولْنقارنْها بمعايير نظام الولاية القرآني، وسيتضح جليا لنا أي هذه الأنظمة يستحق أن يوصم بالمتخلف والكهنوتي والإجرامي والمنحرف.

ولْنبدأْ بالنظام الديموقراطي والذي لا يشترط في معاييره غير التالي :

١- أن يكون يمني الجنسية ومن أبوين يمنيين (أو مصري أو فرنسي بحسب البلد).

٢- أن لا يكون قد صدر بحقه حكم قضائي مخل بالشرف.

٣- أن لا يقل عمره عن أربعين سنة.

وطبعا هذه المعايير لا تحمي مقام القائد الأعلى من أن يصل إليه الفاجر أو السكير أو الجبان أو الذليل أو العاهر أو الكافر أو الديوث أو الرقاصة أو الشاذ أخلاقيا ما دامت انطبقت عليه المعايير وفاز في الانتخابات الرئاسية، بمعنى أن النظام الديموقراطي لا يشترط فيمن يلي أمر الأمة أن يكون على أساس مبدأ الكمال الأخلاقي والإيماني والإنساني، ونتيجة هذا النظام صعد إلى الحكم الكثيرُ من العرابيد والمجرمين والانتهازيين، وهناك ثغرات أخرى على النظام الديموقراطي فيما يتعلق بعدد الأصوات في الصناديق الانتخابية والذي بالإمكان أن يسيطر عليه من يمتلك الماكنات الإعلامية الضخمة، أو من يمتلك الإمكانات المالية الكافية لشراء الأصوات وغيرها من الثغرات الخطيرة، وفي الوقت الذي مازالت فيه

الشعوب العربية مخدرة بالديموقراطية الغربية، نجد أن الكثير من الشعوب الحرة والمفكرين داخل الغرب وخارجه بدؤوا ينظرون للديموقراطية الغربية كأكبر أكذوبة في هذا القرن، فالدول الكبرى كأمريكا وبريطانيا تحكمها أسر معينة تسيطر على الشركات الرأسمالية، واستطاعت هذه الأسر الحاكمة إقناع الشعوب الغربية أنها تحكم نفسها بنفسها، وقد تحدث الصحفي الأمريكي الشهير ريك وايل في القنوات الأمريكية بوضوح وكذلك السناتور الأمريكي بول فندلي في مقابلته مع قناة الجزيرة عن أن الحاكم الفعلي لأمريكا هي الصهيونية واليهود....انتهى، وبالطبع لا يمكنك انتقاد اليهود في أمريكا، بينما يمكنك انتقاد الله بل وسبه والعياذ بالله، وهذا دليل كاف على أن الصهيونية هي المسيطرة والمتحكمة بالبلد.

ننتقل الآن إلى النظام الملكي والذي لا يشترط فيمن يلي أمر الأمة إلا التالي:

١- أن يكون أحد أبناء الملك أو أحد أقاربه.

٢- أن يكون قد وصل إلى سن معين.

٣- وغيرها من المعايير التي تختلف من بلد لآخر.

ونتيجة لهذا النظام صعد الكثير من الزعماء أمثال بن سلمان ووالده وبن زايد ووالده وغيرهم ممن لا يمتكلون أدنى معايير أخلاقية أو إيمانية أو حتى إنسانية، ولكن حاله كحال النظام الديموقراطي له إيجابيات قليلة وسلبياته أكثر، إلا أن من إيجابياته أنه أكثر استقرارا من الأنظمة الديموقراطية؛ لأن شخص القائد الأعلى من نطاق أسري محدد والبقية مسلّمون لهذا التحديد، فالسعودية مثلا وقطر أكثر استقرارا من لبنان بلد الديموقراطيات العربي كما يسمونه، ولا تمرّ على لبنان سنة إلا وهي مليئة بالأزمات السياسية، هذا على مستوى العالم العربي، أما على مستوى العالم فالملكيات أيضا أكثر استقرارا، فبريطانيا والسويد واسبانيا وهولندا واليابان ملكيات، وكذلك أمريكا كما ذكرنا لكم تحكمها أسرة واحدة غَلّفتْ ملكيتَها الرأسمالية بالديموقراطية، والصين لا توجد فيها تعدديات سياسية بل حزب واحد وقائد واحد وديموقراطية محدودة جدا جدا ضمن إطار الحزب الواحد والقائد الواحد، وروسيا لا توجد فيها تعدديات بل قائد واحد على رأس البلد -وهو بوتين حاليا- وديموقراطية

محدودة جدا ضمن إطار الحزب والقائد الواحد، وحدَهم العرب من كانوا أكثر انخداعا بالديموقراطية على الطريقة الغربية، ومن دجنوا شعوبهم لثقافة الشرق والغرب وابتعدوا عن القرآن الكريم كتاب ربهم والذي فيه نجاتهم وعزهم.

ننتقل الآن إلى نظام الخلافة السني والذي هو أسوأ الأنظمة وهذه معاييره الذي يشترطها للقائد الأعلى:

من الطبيعي أن يحكمك الفاجر القاتل المجرم بل لو ارتكب كل المحرمات وحتى لو قتل ثلثي الشعب كما قال أحد علماء السعودية، وحتى لو زنى على الهواء مباشرة والناس يشاهدونه من على الشاشات كما ذكر العلامة السعودي عبدالعزيز الريس كبير ما يعرف بالتيار المدخلي السلفي في السعودية، أهم شرط هو أن لا يعلن الكفر البواح، بمعنى أن يعلن خروجه عن ملة الإسلام!!، وهذه أحد الروايات التي توضح عقيدة أهل السنة في الموضوع :

روى مسلم عن حذيفة أنه قال: (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنسي) قلت: (كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟)قال: (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)[1].

وروى مسلم أيضا بوجوب طاعة أولي الأمر «إلا أن تروا كفرا بواحا)[2].

نأتي الآن إلى معايير اختيار القائد الأعلى في نظام الولاية القرآني:

وقبل ذكر المعايير يجب أن نعرف أن القائد الأعلى في نظام الولاية القرآني هو شخص النبي أو شخص وارث الكتاب، فما هي المعايير في اختيارهم؟

معايير اختيارهم تعتمد على مبدأ الكمال الإيماني والأخلاقي والإنساني فإن جئت إلى تربيتهم منذ الصغر فهم خضعوا لأرقى تربية، وإلى رعاية إلهية عجيبة، ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾﴾ (سورة طه، الآية ١٤) ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة طه، من الآية

(١) مسلم كتاب الإمارة/باب الأمر بلزوم الجماعة.
(٢) مسلم /باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية.

٩٣) ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ (سورة الضحى، الآيات ٦، ٧، ٨)، وإن جئت إلى علمهم فهم كما قال الله عن أحد ورثة الكتاب ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ (سورة البقرة، من الآية ٢٤٧)، وإن جئت إلى رأفتهم ورحمتهم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ (سورة التوبة، الآية ١٢٨)، وإن جئت إلى كرمهم فهم كما قال الله: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦﴾ (سورة الذاريات، الآية ٢٦)، وإن جئت إلى يقينهم وصبرهم والتزامهم بأوامر الله فهم كما قال الله عنهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ (سورة السجدة ٢٤)، وهكذا لو تأملت في مزاياهم الاجتماعية والنفسية والأخلاقية ستجدهم على أرقى مستوى في الكمال البشري، فهم بعيدون عن ما يشينهم اجتماعيا، فأنسابهم خير أنساب، وأسرهم من أفضل الأسر، وهم بعيدون عن النقص الأخلاقي فهم في قمة الأخلاق والقيم، وهذا الاختيار الإلهي وفق مبدأ الكمال الأخلاقي والإيماني والإنساني يسميه الله في القرآن : بالاصطفاء.

الاصطفاء تكريم للبشرية

غُربة المثقفين العرب عن مفاهيم ومصطلحات القرآن وهزيمتهم أمام ثقافة الغرب جعلهم يتقبلون التفسير والتشويه الغربي لمصطلحات ومفاهيم القرآن، ومن بينها الاصطفاء الإلهي والذي قرنه الغرب ودوائره الاستعمارية بالعنصرية في عقول المغفلين، وهذا قلب للحقيقة، وتشويه وباطل كبير.

فالاصطفاء الإلهي تكريم للبشرية، وهو اختيار وفق مبدأ الكمال الاخلاقي والانساني والإيماني، وهو اختيار مقترن بمسؤولية وليس اختيارا اعتباطيا، والمسؤولية الأساسية -التي يتحرك لأجلها من اصطفاه الله- هي خدمة البشرية، وتعبيد الناس لله رب العالمين.

والله رب العالمين عندما يقول ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ

وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٣٣ ومن الآية ٤٣)، هو يؤكد هذه الحقيقة التي ذكرناها.

وقال الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ (سورة البقرة، من الآية ٢٤٧) أي اصطفاه عليكم من أجلكم ولمصلحتكم وليس ضدكم.

«إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم» (سورة البقرة، من الآية ٢٤٧) المميزات التي لديه ليست مميزات مردودها شخصي، بل كلها ستنعكس وتوظَّف لصالحكم في خدمتكم.

الله رب العالمين عندما اصطفى النبي محمدا صلى الله عليه وعلى وآله وسلم بهذه المميزات وهذا الكمال البشري والأخلاقي في حكمته وفي علمه ورحمته، هل في هذا الاصطفاء وهذه المعايير إهانة للبشرية أم تكريم للبشرية؟ بالتأكيد تكريم للبشرية، ولتوضيح المسألة أكثر نضرب هذا المثل؛ فعندما يتم اختيار رئيس للجمهورية بمواصفات سيئة هذا يعني أن من اختار هذا الرئيس لا يحترم الشعب ولا يكرمه، ولأن الله يكرمنا يصطفي لنا الأنبياء وورثة الكتاب على أرقى مستوى في مواصفات كمالهم.

حتي في الجانب النسائي هناك قدوات ونماذج يصطفيها الله سبحانه وتعالى لتقتدي بها النساء وتلتف حولها، ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (سورة آل عمران، من الآية ٤٢)، فالإنسان بطبيعته مفطور على الاقتداء والمحاكاة، فبدلا من أن تقتدي النساء بنماذج ملطخة بعار الرذيلة والخلاعة، يصطفي الله لهن نساء كالزهراء عليها السلام ومريم وغيرهن.

والاصطفاء عادة ما يكون مقترنا بالتفضيل، والتفضيل ذكره الله في آيات كثيرة في القرآن الكريم ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ (سورة الإسراء، من الآية ٥٥) ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٧٤)، (سورة البقرة، الآية ٢٢١)، «الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم» (سورة النساء، من الآية ٤٣) ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ

﴿بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ (سورة النحل، الآية ١٧)، والتفضيل ليس عنصرية كما يروج البعض، بل التفضيل مسألة فطرية وواقع بشري لا يمكن تجاوزه، فالله سبحانه وتعالى عمّ البشرَ بمواهب مشتركة، وفاضل بينهم في مواهب أخرى، فمثلا هناك فوارق فردية بين الأفراد؛ البعض لديه قدرات ذهنية، والبعض شعرية، والبعض مكتبية، والبعض هندسية، والبعض اقتصادية، والبعض بدنية وهكذا، وهذه الفوارق لا بد منها ليتكامل البشر بعضهم ببعض فليست اعتباطية، وإنما مقترنة بمسؤولية، فلا داعي لأن يحسد بعضنا بعضا، فما فضلك الله به مردوده سيكون إيجابيا ولصالحي، وما فضلني الله به أيضا سيكون مردوده إيجابيا ولصالحك، ما دمت أنا وأنت نتحرك كفريق واحد ضمن إطار أمة واحدة ونهج واحد وقيادة واحدة، وهكذا الحال في المحافظات، فهناك محافظات لأبنائها قدرات ذهنية وتثقيفية أكثر من غيرهم، وهناك محافظات لأهلها قدرات اقتصادية أكثر من غيرهم، وهناك محافظات لأبنائها شجاعة وكرم ونخوة أكثر من غيرهم، وهذا فضل من الله فلا داعي لأن نعيش حالة الحسد تجاههم، ولكن فلْنوظفْ هذا الفضل فيما يخدم المجموع.

حتى على مستوى الشعوب، تجد مثلا كل شعب من شعوب العالم يتميز عن غيره بمميزات، هذه المميزات هي ما نعنيه بالفضل والتفضيل الذي أراد الله أن يقترن بمسؤولية جماعية، فلو أن الإسلام انتصر واستقامت الأمور بعد رسول الله كما أراد الله، لكان الإسلام العظيم قادرا على توظيف كل هذا المميزات الموجودة لدى الشعوب في اتجاه تكاملي لا تصادمي.

وعندما نتحدث عن تفضيل أهل بيت الأنبياء فهو في نفس السياق السابق ضمن إطار مسؤولية، فأهل البيت عليهم السلام هم أقدر الناس على قيادة البشرية على أساس كتاب الله، وهم أقدر الناس على هداية البشرية؛ لأن الله فضلهم بوراثة الكتاب وغيرها من المؤهلات اللازمة لتحمل هذه المسؤولية، كما حمّل سابقا بني إسرائيل ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ (سورة البقرة، الآية ١٣٢).

دوائر الاصطفاء

البعض من مرتزقة تحالف العدوان يعتبر أن الاصطفاء الإلهي لأهل البيت عليهم السلام واختيار أعلام للأمة من دائرتهم يعتبر عنصرية، وتارة يتحدثون عن الموضوع تحت عنوان الحصر في البطنين والسلالية، وإليكم الجواب:

- أن المرتزقة يتحركون كأدوات تحت راية آل سعود وآل نهيان وهم أنظمة سلالية فلماذا يفتخرون بأن يكونوا أدوات لهذه السلالات العميلة، ويتحاشون الانضواء تحت راية أعلام الهدى من أهل بيت رسول الله؟ إن الدافع لهم لهذه الخطوة هو العمى والضلال والحسد وليس كراهية السلالية كما يريدون إيهام البسطاء به.
- الحصر العرقي والجغرافي متعارف عليه في كل النظم، ويمارس عمليا في معظم الدول، والفارق بيننا وبينهم أن حصرهم عرقي جغرافي بحت لا قيمة فيه لمبدأ الكمال، بينما الحصر في منهج أهل البيت يعتمد أساسا على مبدأ الكمال الأخلاقي والإيماني والإنساني.
- فالأحزاب الوطنية تشترط الحصر العرقي والجغرافي، فمثلا من سيلي رئاسة الجمهوية في اليمن (أن يكون يمني الجنسية ومن أبوين يمنيين وأن يكون يمني الأصل غير متجنس و أن لا يكون متزوجا بأجنبية) وهكذا تجد الموضوع، فلو أن هناك مصريا جديرا وإداريا ومؤمنا في اليمن ولو عاش فيها فترة طويلة لا يحق له بحسب القانون أن يترشح للرئاسة، أليس هذا حصرا عرقيا وجغرافيا؟
- والأحزاب القومية تشترط في رئيس الجمهورية أن يكون من نفس العرقية التي تنتمي لها الأحزاب، فالقوميون العرب يشترطون العروبة والأتراك يشترطون التتريك والفرس يشترطون العرق الفارسي كذلك وهكذا، أليس هذا حصرا عرقيا؟.
- المرتزقة من أبناء حزب الإفساد لا يحق لهم الحديث حول الحصر في البطنين؛ لأن جميع المذاهب السنية تحصر الخلافة في البطن القرشي

باستثناء الحنفية، كما أن النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول بأن إجماع الصحابة على أن الأئمة من قريش، كما أن أبا بكر وعمر في صحيح البخاري قالوا بأن الأئمة من قريش عندما تحاججوا هم والأنصار، وقد تكلم الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية عن أن إجماع أهل السنة على أن الأئمة من قريش، فلماذا عندما تحصر المذاهب السنية والصحابة الخلافة عرقيا -وحتى بدون مواصفات كمال- لا يسمون حصرهم هذا سلالية وعنصرية، بينما عندما يتحدث أعلام الهدى عن الاصطفاء ضمن دائرة أهل البيت عليهم السلام وبمواصفات تعتمد على مبدأ الكمال يعتبرون ذلك عنصرية؟ هذا هو التناقض والعصبية المقيتة.

- المشروع القرآني لا يشترط في من يلي رئاسة الجمهورية أو رئاسة الوزراء أن يكون من نسل آل البيت، فموضوع ولاية أمر الأمة ليس كرئاسة الجمهورية، فعلم الهداية مهمته هي: ولاية أمر المسلمين جميعا وليس مجرد رقعة جغرافية محددة، ومن المعيب أن نؤمن بالحصر العرقي لرئيس الجمهورية ونرفض اختيار الله واصطفائه لعلم الهداية وولي أمر المسلمين من دائرة أهل البيت، هل أننا نحن من نملك السموات والأرض أم الله سبحانه ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ (سورة آل عمران، من الآية ٢٦).

- وفي الأخير لا يهمنا ضلال المضلين وفلسفة المتفلسفين مادام اختيارُ الله من دوائر اصطفاء معينة سنةً إلهية منذ أبينا آدم، فالقرآن أولى بأن يُتبع، وهنا سنتحدث عن دوائر الاصطفاء عبر التاريخ:

منذ آدم عليه السلام والاصطفاء هو سنة الله في اختيار الأنبياء وورثة الكتاب من ذرية الأنبياء، فبعد نبي الله آدم مرت قرون طويلة وتم اختيار نبي الله نوح وبعد نبي الله نوح لم يتخذ الله نبيا ولا وارث كتاب إلا من دائرة نوح وذريته رغم أنه كان هناك ذرية أخرى من غير نسله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا

قَلِيلٌ﴿٤٠﴾﴾ (سورة هود، من الآية ٤٠)، هذه الآية تثبت أن من نجى من البشر هم من ذرية نوح ومن غير ذريته من قومه، هذا على قول من يؤمن بأن الطوفان غمر الكرة الأرضية بكلها، أما على قول من يؤمن بأنها لم تغمر سوى قوم نوح فهناك ذرية أخرى من غير قومه، ورغم أن الموجودين من ذريات وأقوام متعددة، لكن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴿٧٧﴾﴾ (سورة الصافات، الآية ٧٧) أي ذرية نوح، وبالطبع المقصود هنا بالبقاء: بقاء الحق في ذريته فالأنبياء وورثة الكتاب منهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴿٢٦﴾﴾ (سورة الحديد، الآية ٢٦) فلن ترجع البشرية للحق الذي يريد الله إلا بعَلَم هداية من ذرية نوح عليه السلام، مرت بعدها قرون كثيرة كان الحق موجودًا في ذريه نوح عليه السلام، إلى أن جاءت مرحلة جديدة وهي مرحلة نبي الله إبراهيم عليه السلام والأنبياء كما قال الله عنهم ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ (سورة آل عمران، من الآية ٤٣)، فنبي الله إبراهيم هو من ذرية نوح عليه السلام، ومع ذلك اختار الله إبراهيم من دائرة نوح واختار ذريته كدائرة يختار منها الأنبياء وورثة الكتاب، قال الله في القرآن الكريم ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ﴾ (سورة آل عمران، من الآية ٤٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ (سورة الحديد، من الآية ٢٦) وقال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴿١٣٢﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣١)، وقال تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴿٥٤﴾﴾ (سورة النساء، الآية ٤٥).

وكذلك إبراهيم عليه السلام استمر بقاء الحق في ذريته كما حصل مع نوح عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ (سورة الزخرف، الآيات ٢٦، ٢٧، ٢٨) لاحظوا كيف قال في حق نبي الله نوح ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴿٧٧﴾ (سورة الصافات،

الآية ٧٧)، وهنا قال ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴿٢٨﴾﴾ (سورة الزخرف، الآية ٨٢)، قال الإمام زيد عليه السلام في كتابه الصفوة: "فلم يرجع أحد من الأمة إلى الحق بعد إبراهيم إلا بذرية إبراهيم».

بعد أن اصطفى الله إبراهيم وآل إبراهيم، اختار من هذه الدائرة الواسعة بني إسرائيل الذين هم ذرية نبي الله يعقوب حفيد نبي الله إبراهيم، ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٤٧﴾﴾، ثم اختار من دائرة بني إسرائيل دوائر متعددة، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾، وكانت آخر دوائر بني إسرائيل: هي دائرة آل عمران، والتي منها يحيى وزكريا ومريم وابنها عيسى، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴿٨٣﴾﴾،، ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ﴾، وقد اعتبر الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام من ذرية إبراهيم ونوح عليهما السلام من جهة أمه مريم رغم أنه من غير أب ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴿٨٥﴾﴾، وهذا هو الحال بالنسبة للحسن والحسين عليهما السلام فهما من ذرية رسول الله محمد من جهة ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام.

بعد أن فسق معظم بني إسرائيل سلب الله منهم الفضل ونقله إلى بني إسماعيل، وأصبح اختيار دوائر الإصطفاء من بني إسماعيل وليس من بني إسرائيل، وهذه الذرية المباركة سبق وأن أسكنها إبراهيم عليه السلام في مكة المكرمة، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴿٣٧﴾﴾[إبراهيم: ٣٧]، وهذه الذرية هي ذرية إبراهيم من ابنه إسماعيل عليه السلام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ

أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[البقرة: ١٢٧ - ١٢٩]، وقبل أن يختار الله محمدا خاتم أنبياء الله اصطفى من ذرية إسماعيل ورثة كتاب ودوائر اصطفاء، ففي الرواية المتوارثة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي تناقلتها كل المذاهب الإسلامية حتى الوهابيون الذين لديهم عُقدة تجاه أهل البيت ومنهجهم ها هو أحد أهم أسلافهم وهو بن تيمية يقول :«.. ومثله أيضا في المسألة ما رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث الأوزاعي عن شداد بن أبي عمار عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» [1]

وهكذا جاءت مرحلة أعظم الأنبياء وأعظم البشر وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فاختتم الله به النبوة ولم يختتم الاصطفاء، فالاصطفاء مازال مستمرا باختيار ورثة الكتاب من آل محمد واختيار دائرة اصطفاء جديدة وهي دائرة آل محمد بالتأكيد.

وهنا نسأل سؤالا وجيها بعد أن عرفنا سنة الله في اختيار الأنبياء وأعلام الهدى: هل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدع من الرسل لا تنطبق عليه سنة الاصطفاء له ولآله التي انطبقت على الأنبياء السابقين من أولي العزم، أم أن الاصطفاء ما زال قائما إلى يوم القيامة؟ بالتأكيد أنه ما زال قائما إلى يوم القيامة، لاحظوا كيف قال الله في سورة فاطر في سياق الحديث عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي بعد النبي محمد﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ

(١) كتاب اقتضاء الصراط المستقيم

﴿سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ [فاطر٣٢] ولاحظوا لم يقل ثم اصطفينا فيحدث اصطفاءً جديداً، بل قال: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾، ومَنْ هم الذين اصطفاهم الله؟ ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣﴾، ومعلوم أن النبي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليا عليه السلام من ذرية إبراهيم، وأنهم الامتداد لدوائر الاصطفاء الإلهي، وعليٌّ بإجماع الأمة هو من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، لاحظوا كيف تسلسلت دوائر الاصطفاء إلى أن وصلت إلى محمد وآل محمد.

ولترسيخ هذه الحقيقة أمر الله سبحانه وتعالى كل المسلمين في صلاتهم في التشهد الأخير أن يصلوا على محمد وآل محمد، وأن يقرنوها بالصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم، لأن مهمة آل محمد في هذه الأمة هي نفس مهمة آل إبراهيم في تلك الأمة ﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤﴾ [النساء: ٥٤].

وأكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الحقيقة بأن ردد كثيرا على أسماع الأمة حديث الثقلين (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

(كتاب الله وسنتي) أم (كتاب الله وعترتي)

يا أهـل بيت رسـول الله حبـكم ... فرض مـن الله في القرآن أنزلـه
يكفيكم من عظيـم الشـأن أنكم ... مـن لم يصـل عليكـم لا صلاة له

أهل البيت عليهم السلام يذوقون مرارة الظلم والاستبداد العباسي ومن قبله الأموي، وتاريخهم الحافل بالثورات جعلهم عرضة لاستبداد الطغاة عبر التاريخ، ولا غرابة في ذلك؛ فهم أهل بيت حمَّلهم الله سبحانه وتعالى أمانة هذه الأمة وحمَّل الأمة محبتهم واتباعهم، وهذه كانت من المواضيع المهمة التي أثيرت في المجتمع الإسلامي، وفي مجتمعنا اليمني عندما كنت في بداية البحث عن الحقيقة كنت أدخل وأجلس إلى علماء من أتباع أهل البيت فأسمع كلاما عن فضائل أهل البيت

واتباعهم ووجوب محبتهم، كنت أحسبه في بداية الأمر غلوا وتطرفا وعنصرية حسب تعبير كثير من الوهابيين وكذلك حسب تعبير السلطة الظالمة بقيادة آل الأحمر المحسوبين جغرافيا على الزيدية رغم أنهم من أوائل من حاربها وأدخل الوهابية، ولكن الذي لفت انتباهي بشكل كبير هو حديث الثقلين «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» الذي تفاجأت به ولم أصدق وجوده في بداية الأمر؛ لأن الذي نعرفه ونسمعه منذ الطفولة وعلى المنابر وفي المناهج الدراسية هو حديث «كتاب الله وسنتي» وكم كانت المفاجأة عندما علمت ورأيت بنفسي حديث «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» موجودا في كتب أهل السنة وبطرق كثيرة أوصلها بعض العلماء إلى خمس وأربعين طريقا، وتفاجأت أكثر عندما لم أجد لحديث «كتاب الله وسنتي» وجوداً في الصحاح الستة المعتبرة عند أهل السنة! وتساءلت في نفسي مستغربا لماذا يخفي أهل السنة والجماعة هذا الحديث ولا يتكلمون به لا في خطبهم ولا في جوامعهم رغم أنه من الأحاديث المهمة التي تنير للإنسان طريق الحق؟ وكان يقول الشهيد القائد حسين الحوثي في مضمون كلامه إن الله من رحمته وحجته البالغة على عباده، جعل الأحاديث المِفْصلية المهمة محفوظة في كتب كل المسلمين.

مناظرة:

هذه هي إحدى المناظرات التي تأثرت بها حول هذا الموضوع وأحب أن أوردها كما هي، وهي مناظرة لأحد المتحولين عن منهج أهل السنة وهو الشيخ السوداني معتصم سيد أحمد مع المحدث الدمشقي عبد القادر الأرنؤوطي، ننقل المناظرة على لسان الشيخ معتصم سيد أحمد حيث يقول: بعد أن فرغ المحدث الشامي من ذكر فضائل بعض البلدان: قلت للعلامة المحدث: سماحةَ الشيخ، نحن باحثون عن الحق، وقد اختلط علينا الأمر، وجئنا كي نستفيد منك عندما عرفنا أنك عالم جليل ومحدث وحافظ.

قال: نعم.

قلت: من البديهيات التي لا يتغافل عنها إلا أعمى أن المسلمين قد تقسموا إلى

طوائف ومذاهب متعددة وكل فرقة تدعي أنها على الحق وغيرها على الباطل، فكيف يتسنى لي وأنا مكلف بشرع الله أن أعرف الحق من بين هذه الخطوط المتناقضة؟ هل أراد الله لنا أن نكون متفرقين، أم أراد أن نكون على ملة واحدة ندين الله بتشريع واحد؟ وإذا كان نعم، ما هي الضمانة التي تركها الله ورسوله لنا لكي تحصن الأمة من الضلالة؟

مع العلم أن أول ما وقع الخلاف بين المسلمين كان بعد وفاة الرسول (ﷺ) مباشرة فليس جائزًا في حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك أمته من غير هدى يسترشدون به.

قال الشيخ: إن الضمانة التي تركها رسول الله لتمنع الأمة من الاختلاف قوله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي».

قلت له: هذا الحديث لا أصل له في الصحاح الستة فكيف تقول به وأنت رجل محدث؟

... هنا شبت ناره وأخذ يصرخ قائلا: ماذا تقصد هل تريد أن تضعف الحديث؟

فقلت: مهلا، إن سؤالي واحد ومحدد، هل يوجد هذا الحديث في الصحاح الستة؟

قال: الصحاح ليست ستة، وكتب الحديث كثيرة، وإن هذا الحديث يوجد في كتاب الموطأ للإمام مالك.

قلت «متوجها إلى الحضور»: حسنا قد اعترف الشيخ أن هذا الحديث لا وجود له في الصحاح الستة ويوجد في موطأ مالك، فقاطعني بلهجة شديدة قائلا: شو، الموطأ مو كتاب حديث؟

قلت: الموطأ كتاب حديث، ولكن حديث «كتاب الله وسنتي» مرفوع في الموطأ من غير سند، مع العلم أن كل أحاديث الموطأ مسندة.

هنا صرخ الشيخ بعدما سقطت حجته وأخذ يضربني بيده ويقول: أنت تريد أن تضعف الحديث وأنت مَن حتى تضعفه؟! حتى خرج عن حد المعقول وأخذ الجميع يندهش من حركته وتصرفه هذا.

قلت: يا شيخ هنا مقام مناقشة ودليل، وهذا الأسلوب الغريب لا يُجدي، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وبعد هذا هدأ قليلا من ثورته.

قلت: أسألك يا شيخ، هل رواية مالك لحديث «كتاب الله وسنتي» في الموطأ، ضعيفة أم صحيحة؟

قال بتحسر شديد: ضعيفة.

قلت: فلماذا إذًا قلت إن الحديث في الموطأ وأنت تعلم أنه ضعيف؟

قال: رافعا صوته: إن للحديث طرقا أخرى.

قلت للحضور: قد تنازل الشيخ عن رواية الموطأ، وقال: إن للحديث طرقا أخرى، فلنسمع منه هذه الطرق... هنا أحس الشيخ بالهزيمة والخجل؛ لأن ليس للحديث طرق صحيحة، وتهرب من الإجابة... ولكني أصررت وقلت: أسمعنا ياشيخ الطرق الأخرى للحديث!

قال بلهجة منكسرة: لا أحفظها، وسوف أكتبها لك.

قلت: سبحان الله! أنت تحفظ كل هذه الأحاديث في فضل البلدان والمناطق، ولا تحفظ طريق أهم الأحاديث والذي يعصم الأمة من الضلالة كما قلت... فظل ساكتاً، وعندما أحس الحضور بخجله قال لي أحدهم: ما ذا تريد من الشيخ وقد وعدك أن يكتبها لك.

قلت: أنا أقرب لك الطريق، إن هذا الحديث يوجد أيضا في سيرة ابن هشام من غير سند.

قال: إن سيرة ابن هشام كتاب سيرة وليس كتاب حديث.

قلت: إذا أنت تضعف هذه الرواية.

قال: نعم.

قلت: كفيتني مؤونة النقاش فيها.

وواصلت كلامي قائلا: ويوجد أيضا في كتاب الإلماع للقاضي عياض، وفي كتاب الفقيه المتفقه للخطيب البغدادي... هل تأخذ بهذه الروايات؟

قال: لا.

قلت: إذا حديث «كتاب الله وسنتي» ضعيف بشهادة الشيخ، ولم يبق أمامنا إلا ضمانة واحدة تمنع الأمة من الاختلاف، وهي حديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد روته كتب الحديث السنية والصحاح الستة ما عدا البخاري، وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، فإن العليم الخبير، نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» كما ورد في رواية أحمد بن حنبل، ولا مناص لمؤمن يريد الإسلام الذي أمر الله به ورسوله غير هذا الطريق وهو طريق أهل البيت المطهرين في القرآن الكريم من الرجس والمعاصي، وذكرت مجموعة من فضائل أهل البيت عليهم السلام والشيخ ساكت لم يتفوه بكلمة طوال هذه المدة. (نقلاً عن كتاب الحقيقة الضائعة)

مصادر حديث كتاب الله وعترتي:

يقول الشهيد القائد في معنى كلامه إن هذا الحديث من الأحاديث المهمة، وإن الله من رحمته بعباده جعل الأحاديث المهمة والمفصلية محفوظة في كتب كل المسلمين حجة عليهم .....انتهى، وبالطبع لسنا بحاجة لإثبات عقائدنا أن تكون أدلتها موجودة في كتب خصومنا، يكفينا أن القرآن وورثته الحقيقيين قد أكدوا أهمية اتباع أعلام أهل البيت، وذكرُنا لمصادر الحديث من كتب أهل السنة من باب وشهد شاهد من أهلها، وإليك الحديث وحجمة في كتب القوم: "هذا الحديث صحيح لا غبار عليه وحسبك أنه ورد في صحيح مسلم، وقد حفلت به كتب السنن والسير والتاريخ وغيرها".

وأصدر مجمع التقريب بين المذاهب في مصر رسالة أثبت فيها تواتر هذا الحديث في جميع طبقاته.

إضافة لهذا صححه الكثير من علماء أهل السنة منهم: الطبري، محمد بن إسحاق، الأزهري، ابن منظور، الذهبي في تلخيص المستدرك، الحاكم في المستدرك، الهيثمي في مجمع الزوائد، ابن كثير في تاريخه، السيوطي في الجامع الصغير، والمناوي، وصححه من المعاصرين: محدث أهل السنة السلفي الشيخ الألباني، والمحدث الأشعري الشافعي الحسن بن علي السقاف كما سيأتي ذكره.

وقد رَوى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسةٌ وثلاثون صحابيا، ورواه عن الصحابة تسعة عشر من التابعين...» [١]

وقد رأيت أنه من المناسب أن أذكر متن الحديث في بعض المصادر السنية لمزيد من التوضيح.

فهو كما في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: «... قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما خطيبا بماء يدعى خما، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ، ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» [٢]

وفي مسند أحمد بن حنبل «إني تارك فيكم خليفتين، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» [٣]

وفي صحيح الترمذي والمستدرك على الصحيحين ـ وصححه ـ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» [٤]

---

(١) وركبت السفينة ص٣٩٤.

(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الإمام علي (ع).

(٣) مسند أحمد ٥/ ١٨٢، وفضائل الصحابة ٢/ ٦٠٣، وصححه الألباني في السنة لابن أبي عاصم ٣٣٧.

(٤) صحيح الترمذي ج٥ كتاب المناقب ٦٦٣/ ٣٧٨٨، والمستدرك ٣، ١٤٨، واحتج بحديث الترمذي ابن تيمية في حجية إجماع أهل البيت راجع مجموعه الفتاوى ٢٨/ ٢٦٩.

دلالة الحديث:

حديث الثقلين صريح في وجوب التمسك بكتاب الله وآل البيت عليهم السلام معا، فالأمن من الضلال يكون بالتمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى جنبا إلى جانب أهل البيت عليهم السلام؛ بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما إن تمسكتم به»، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين» يقول النووي في شرحه على مسلم: «قوله صلى الله عليه وآله وسلم «وأنا تارك فيكم ثقلين. فذكر كتاب الله وأهل بيته، قال العلماء: سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما، وقيل لثقل العمل بهما» [1]

من هم أهل البيت في روايات أهل السنة

١) أهل البيت في آية التطهير:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أخرج مسلم في صحيحه قالت عائشة «خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداةً وعليه مرطٌ مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾)[2] وفي سنن الترمذي من حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال: إنكِ على خير»[3]، وبعد نزول هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول: الصلاةَ يا أهل البيت إنما يريد الله ليذهب

(١) مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل باب فضائل علي بن أبي طالب (ع).
(٢) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أهل البيت..
(٣) سنن الترمذي – ٥/ ٦٦٣

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا[1].

من خلال الروايات السابقة يظهر بجلاء أن أهل البيت عليهم السلام هم علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) وذريتهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة مناسبات يردد هذه الآية بجوار باب فاطمة إذا خرج للصلاة حتى يرسخ في نفوس أصحابه معرفة أهل بيته، وحديث الكساء من الروايات المشهورة وورد في مصادر عديدة لم نذكرها تجنباً للتطويل ولكن بإمكاننا أن نُحيلك أخي القارئ إلى كتاب الإعتصام للإمام القاسم بن محمد (ع) فقد استوفى جميع مصادر الحديث، ومن يقلْ إن هذه الآية نزلت في نساء النبي بدلالة السياق ما قبل الآية وما بعدها، ومن يقلْ كذلك إن ذكر الأهل في القرآن دائما يقصد بها الزوجات، وإنهن المطلوب اتباعهن فهو مخطئ للأسباب الآتية:

١. أن الله ذكر النساء بنون النسوة "لستن.. كنتن"، وعندما وصل لآية التطهير قال: «عنكم» ولم يقل عنكن.

٢. أن الله كان يجمع البيوت عندما كان المقصود بها هو بيت السكن الزوجي «بيوتكن»، بينما عندما أراد بيت النسب النبوي أتى به مفردا قال: «البيت».

٣. السبب في ذكر الآية في سياق ذكر نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نساء النبي أصبحن كالحاشية للبيت النبوي ومن المهم أن تكون الساحة المحيطة بالبيت النبوي ساحة بعيدة عن الدنس والمعاصي.

٤. يجب أن نفرق بين أهل بيت السكن وأهل بيت النسب، فنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هن من أهل بيت السكن لا النسب، لأنه إذا طلقها فلن تصبح من أهل بيته.

٥. ليس صحيحا أن القرآن لا يذكر الأهل إلا والمقصود الزوجات بدليل الكثير من الآيات «واجعل لي وزيرا من أهلي،، هارون أخي» فالأخ من الأهل، وقال

(١) مستدرك الحاكم وصححه -١٥٨/٣ - مجمع الزوائد -٩/ ١٦٨ - تفسير الطبري وتفسير ابن كثير - ٣/ ٤٨٣،٤٨٤

تعالى : «فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين» وهنا بين أن البنين والبنات (الذرية) من الأهل،، وغيرها من الآيات.

٦. كما أن الاتّباع في القرآن هو للانبياء وورثة الكتاب، ووراثة الكتاب بعد الأنبياء وهداية البشرية ليست في القرآن متعلقة بزوجات الأنبياء من أهل بيت سكناهم، بل متعلقة بذريتهم، ودائرة القرابة القريبة من أهل بيت أنسابهم، قال تعالى بعد ذكر ثمانية عشر نبيا ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام: ٨٦ - ٨٩].

﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة: ١٢٤].

٧. إن سؤال إبراهيم أن يجعل من ذريته أئمة للناس لأنه يعلم أن سنة الله أن يهيئ من ذرية الأنبياء أعلاما للأمة يسيرون بها على منهج الكتاب المقدس ولا ينال هذا العهدُ من كان ظالما.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ﴾ [النساء: ٥٤].

٢) أهل البيت في آية المباهلة:

قال تعالى ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل

﴿لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦١﴾ [آل عمران: ٦١] أجمع المفسرون على نزول هذه الآية في أصحاب الكساء عند مباهلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنصارى نجران، وعندما رأى أسقف نجران أهل الكساء قال: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يُزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصرانيٌ إلى يوم القيامة، فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا، قال الرازي: واعلم أن هذه الرواية كمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث[1].

ولا شك أن المباهلة تتطلب خلاصة وصفوة القوم، وهو ما فعله صلى الله عليه وآله وسلم باستدعائه صفوة الصفوة سلام الله عليهم، وهذا يدل دلالة واضحة على مكانتهم ومنزلتهم عند الله سبحانه وتعالى.

٣) أهل البيت في آية المودة:

قال تعالى ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣] عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولداهما[2].

ولا يخفاك مدى عظمة هذه المنزلة عندما يجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجر رسالته مودة قرباه، ولاشك أن ذلك لا يعبر عن نزعة عاطفية من رسول الله وإنما فضل من الله يُؤتيه من يشاء من عباده، وفي الواقع ليس هناك مودة بدون اتباع واقتداء قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

والحق أن هذا الكتاب لا يتسع لحصر فضائل أهل البيت (ع)، ويكفيهم فخراً وفضلاً أن الصلاة على النبي مقرونة بالصلاة عليهم في كل صلاة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من محبيهم وأتباعهم، وأن يرزقنا الشهادة تحت رايتهم.

---

(١) تفسير الرازي ٣/ ٢٤٧، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن ابي طالب صحيح الترمذي ٥/ ٦٣٨، مسند احمد ١/ ١٨٥ و غيرهم.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٢، تفسير الطبري ٢٥/ ١٦، فتح القدير ٤/ ٥٣٧ و غيرها من التفاسير

(الانتماء إلى الرسول من قبل الأم)[1]

كل المذاهب الإسلامية تؤمن بأن الحسن والحسين ونسلهما من ذرية رسول الله من جهة ابنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها وهذه النسبة تصح بدلالة آيات القرآن والأحاديث النبوية ودلالة العلم الذي يؤكد أن الجينات الوراثية تنتقل من الأب لابنته ثم لأبنائها، وكل المذاهب الإسلامية تؤمن بأن الصلاة على محمد وآل محمد تشريع من الله وأن الحسن والحسين وذريتهما ضمن آل محمد الذين يدعو لهم الناس بهذا الدعاء، ولا عبرة بالنواصب الغير معترف بهم إسلاميا، والذين يقدمون شبهات هي في الواقع تعبر عن عقدة الشعور بالنقص، وفي هذا الزمان تتحرك بريطانيا وأمريكا عبر أدواتها في المنطقة لصرف الناس عن أهل بيت رسول الله ووجدت ضالتها في مجموعة من المعقدين والحاقدين، وقد وضحنا في ثنايا الكتاب بما فيه الكفاية حول سنة الله في الهداية وعلاقتها بقرابة رسول الله وكيف أن الاصطفاء مستمر من القرابة حتى بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهنا سنقتبس مجموعة من المقاطع من كتاب السلسلة الذهبية وهي مجموعة كتب جمعت لرباني آل محمد السيد بدر الدين الحوثي وهي بعنوان «الانتماء إلى الرسول من جهة الأم»

«قال زيد بن علي عليه السلام في كتاب الصفوة (ص ٦٥): وقال الله عز وجل وهو يذكر نعمته على إبراهيم﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٥] قال عليه السلام: فنسب الله عز وجل عيسى إلى إبراهيم في الكتاب.

وقال الهادي عليه السلام في الأحكام[2] وفيهما يعني الحسن والحسين ما يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما» فهما ابناه وولده بفرض الله وحكمه، وفي ذلك ما يقول الله تبارك وتعالى في إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ

(١) السلسلة الذهبية الجزء الأول ص ١٦٤ لرباني آل محمد السيد بدر الدين الحوثي.
(٢) ط١/دار التراث الإسلامي -صعدة.

﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنعام: ٨٤] فذكر أن عيسى من ذرية إبراهيم كما أن موسى وهارون من ذريته وإنما جعله ولده وذريته بولادة مريم، وكان سواء عنده في معنى الولادة والقرابة ولادة الابن وولادة البنت إذ قد أجرى موسى وعيسى مجرى واحدا من إبراهيم صلى الله عليه. انتهى.

وفي الدر المنثور للسيوطي (ج٣ص ٢٨) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي حرب (أي الأسود) قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ تجده في كتاب الله وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده. قال: ألست تقرأ سورة الأنعام ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ حتى بلغ: ﴿وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الأنعام: ٨٥] قال: بلى. قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت.

وأخرج أبو الشيخ والحاكم والبيهقي عن عبد الملك بن عمير قال: دخل يحيى بن يعمر على الحجاج فذكر الحسين فقال الحجاج: لم يكن من ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يحيى كذبت؟ فقال: لتأتيني على ما قلت ببينة، فتلا: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله: ﴿وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾ [الأنعام: ٨٥] فأخبر تعالى أن عيسى من ذرية إبراهيم بأمه قال: صدقت.

وقال ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام (ص١٧٧) في بحث ذكر من هم آل النبي الذي أوله في (ص١٣٨): ولا خلاف بين أهل اللغة أن الذرية يقال على الأولاد الصغار والكبار ﴿۞وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ثم قال: إذا ثبت هذا فالذرية الأولاد وأولادهم، وهل يدخل فيه أولاد البنات؟ فيه قولان للعلماء هما: روايتان عن أحمد إحداهما يدخلون وهو مذهب الشافعي. والثاني: لا يدخلون وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، واحتج من قال بدخولهم بأن المسلمين مجمعون على دخول أولاد فاطمة رضي الله عنها في ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم المطلوب لهم من الله الصلاة؛ لأن أحدا من بناته غيرها لم يعقب

إلى قوله...فقد قال الله تعالى في حق إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ - ٨٥]، ومعلوم أن عيسى لم ينتسب إلى إبراهيم إلا من جهة أمه مريم، إلى أن ذكر جواب المخالفين في أولاد غير فاطمة بما معناه: الفرق بين فاطمة وغيرها بأن دخول أولاد فاطمة رضي الله عنها في ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لشرف هذا الأصل العظيم والوالد الكريم الذي لا يدانيه أحد من العالمين سرى ونفذ إلى أولاد البنات لقوته وجلالته وعظم قدره، ونحن نرى من لا نسبة له إلى هذا الجناب العظيم من العظماء والملوك وغيرهم تسري حرمة إيلادهم وأبوتهم إلى أولاد بناتهم، فتلحظهم العيون بلحظ أبنائهم، ويكادون يضربون عن ذكر آبائهم صفحا فما الظن بهذا الإيلاد العظيم قدره، الجليل خطره. انتهى.

قلت: العمدة الدليل، وفيما ذكرناه في هذه الفصول كفاية لمن أنصف، وبالله التوفيق.

خاتمـــة

في بعض أسئلة قد يعترض بها بعض المخالفين من أهل هذا الزمان، وجوابنا على ذلك:

السؤال الأول: كيف يصح أن الحسنين وذريتهما ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

الجواب وبالله التوفيق: هذه الآية لبيان أن زيد بن حارثة ليس ابنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم كانوا يقولون له زيد بن محمد.

أخرج البخاري في صحيحه [ج٥ ص٢٢] من النسخة المفردة عن الشروح، وذلك في التفسير في تفسير سورة الأحزاب بسنده عن ابن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

قوله: مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعتقه وهم يسمون العتيق مولى للمعتق تعبيرًا عن الصلة بين المعتق والعتيق والعلاقة الأكيدة الحاصلة بسبب نعمة الإعتاق، وقول ابن عمر هذا الذي أخرجه البخاري؛ أخرجه الترمذي في سننه [ج٥ص٦٧٦] وقال هذا حديث صحيح. انتهى.

وقال محمد بن جرير الطبري في تفسيره ج ٢٢ص١٢ القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: ٤٠] يقول تعالى ذكره: ما كان يا أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذي لم يلده محمد، فيحرم عليه نكاح زوجته، أي زوجة زيد ونحوه بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة. وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء.

قال ابن جرير الطبري: وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل، ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ قال: نزلت في زيد أنه لم يكن بابنه، ولعمري ولقد ولد له ذكور أنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر ﴿لَكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ أي آخرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾.

.....قلت: إذا تأملت سياق الآيات المذكورات وهو في سورة الأحزاب ظهر لك أن قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ نزلت في زيد بن حارثة ليتبين بذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما تزوج زينب، وكانت قبل ذلك زوجة لزيد بن حارثة، فلما قضى زيد منها وطرًا – أي قضى حاجته منها ورغب عنها- زوج الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتلك التي كانت مع زيد، فلم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حليلة ابنه كما كانت الجاهلية تعتقد، فقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ردا لاعتقاد الجاهلية في زيد ليعلموا أن تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كانت حليلته سابقا لا بأس به؛ لأنها ليست حليلة ابن له.

وسياق الآيات يدل على ذلك فتأملها من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] إلى قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية..لتعرف أن الكلام مسوق لتأكيد أن التزويج المذكور والزواج حق وصواب وحكمة، ليكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قدوة للمسلمين في استحلال الزوجة التي كانت مع الدعي إذا كان الدعي قد قضى منها وطرًا وطلقها رغبة عنها، فكانت هذه طريقة من طرقات محو ظلمات الجاهلية بنور الإسلام، الفارق بين الحق والباطل، وحكمة لإزالة ما في صدورهم من استنكار الزواج بمن كانت مع الدعي، أو النفار عن ذلك الزواج أو محبة اجتنابه تنزها بسبب ما في قلوبهم من آثار عقيدة الجاهلية التي كانت لا يذهب أثرها إلا بفعل القدوة المعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وحكم الله العلي الأكرم

الذي هو أعلم وأحكم وله الحكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المائدة: ١].....
انتهى من السلسلة الذهبية.

ولمن كان متعصبا وأبى إلا أن يحرف الآية عن معناها وسياقها وادعى أنها عامة في كل الرجال حتى في منهم من ذريته فبالإمكان الجواب عليه بهذا الجواب الذي اقتطعناه من كلام رباني آل محمد السيد بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه :

«والجواب فيهما عليهما السلام أنهما كانا صغيرين عند نزول الآية وفي وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصيرا رجلين إلا بعد موته بزمن طويل، فالآية لا تعم الحسنين، لأنها لا تعم الصبيان، لأن الله تعالى قال: (من رجالكم) ولم يقل: من صبيانكم، ولو كان المراد عموم كل ذكر ولو صغيرا لقال: ما كان محمد أبا أحد من الذكور، ولم يقل: من رجالكم فلما قال من رجالكم لم تكن عامة إلا لرجالهم دون الحسنين عليهما السلام.

فإن قال المخالفون: إن الحسن والحسين عليهما السلام وإن لم يكونا من الرجال في وقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد صارا من الرجال بعده، فيجب أن تعمهما الآية.

قلنا جوابا عليهم: إن الآية لا تدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس أبا لمن سيكون رجلا على العموم إذا لم يكن رجلا عند نزولها، لأن الله تعالى قال: (ما كان محمد) وكلمة (ما كان) لنفي الماضي دون المستقبل كقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢] فهذا لنفي الماضي فقط، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد علم الكتاب والإيمان بعد ذلك، وهذا واضح معروف في لغة العرب، أن (ما كان) لنفي الماضي، فأما المستقبل فنفيه (لن يكون) ونحو ذلك مما يدل على المستقبل فلو أراد الله نفي المستقبل لقال: (لن يكون محمد) أو نحو ذلك، فثبت بذلك أن الآية الكريمة لم تنف أبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسنين؛ لأنها خاصة بالرجال الذين كانوا رجالًا عند نزولها، ولأن النفي في قوله: (ما كان) خاص بالماضي دون المستقبل، وبالله التوفيق.

تنبيه: (خاص بأهل النحو)

قد يشكل على بعض النفي بـ (ما كان) وليس الغرض به الماضي وحده، فنقول لدفع الإشكال: اعلم أن الأصل في (ما كان) هو أنها لنفي الماضي؛ لأن (كان) في الحقيقة للماضي و (ما) لا ينفى بها المستقبل في الأصل، وإنما يكون فهم النفي للمستقبل لسبب عارض وهو قسمان: لفظي، وحالي، فاللفظي أن يكون خبر كان يدل على الاستقبال، والحالي أن تقوم قرينة حالية على إرادة نفي المستقبل بواسطة نفي الماضي. وللقسم اللفظي أمثلة:

المثال الأول: أن يكون خبر كان فيه فعل مضارع مقترن بلام الجحود نحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] فقوله: (ليعذبهم) فيه اللام التي تسمى (لام الجحود) ويعذب فعل مضارع، فهذا يفيد استمرار النفي في قوله: (وما كان الله ليعذبهم) في الماضي والحال والاستقبال، وصح هذا بسبب أن الفعل المضارع يستعمل للمستقبل في بعض الأحوال، ونظير هذا (لم) فهي لنفي الوقوع في الماضي، فإذا قلت: لم أكن أجالس زيدًا. فهو نفي لوقوع المجالسة لزيد في الماضي، فإذا جئت بعدها بلام الجحود فهم المستقبل نحو: لم أكن لأجالس زيدا.

المثال الثاني: أن يكون خبر كان اسم فاعل في معنى المستقبل نحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] فما داموا يستغفرون في المستقبل فهم في أمان من العذاب، واسم الفاعل يكون فيه معنى الاستقبال نحو: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

المثال الثالث: أن يكون اسم كان فعلًا مضارعًا مقرونًا بأن المصدرية نحو: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢]، ونحو: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وهذا بسبب الفعل المضارع، لأنه يستعمل للاستقبال في بعض الأحوال.

فهذه الثلاثة الأمثلة لا يقاس عليها إلا ما كان مثلها في سبب فهم الاستقبال الذي ذكرناه من الفعل المضارع مع لام الجحود والفعل المضارع مع أن المصدرية

واسم الفاعل الذي يكون بمنزلة الفعل المضارع مع لام الجحود.

والتحقيق أن (ما كان) لنفي الكون في الماضي، وإنما فهم الاستقبال من الفعل الذي بعدها المقرون باللام أو بأن المصدرية، ومن اسم الفاعل الذي بمعنى الاستقبال، فأما (ما كان) فهي باقية على أصلها.

وأما السبب الحالي الذي لأجله يفهم النفي للمستقبل وهو يسمى قرينة حالية فهو أن ينفى الماضي لأجل يقاس عليه المستقبل.

وتدل القرينة الحالية على أن ذلك هو المقصود كما لو قيل لك: لا تخن أمانتك. فأجبت ما كنت خائنا فيما مضى من عمري. فقلت هذا لتدل على أنك لن تخون في المستقبل، ولا يخفى أن هذا القسم بقيت فيه (ما كان) على أصلها في نفي الماضي، وإنما يستفاد نفي المستقبل بالقرينة الحالية الدالة على إرادة قياس المستقبل على الماضي.

فإذا لم توجد القرينة اللفظية والحالية فالأصل نفي الماضي لا غير ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، ونحو: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [القصص: ٨٦]، ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ [هود: ٤٩]، وهذا واضح عند أهل العربية، وإنما أطلنا في التفصيل لأجل المبتدئ ليفهم ويسلم التضليل.... انتهى من السلسلة الذهبية.

وبالإضافة إلى ما ذكره رباني آل محمد ذكرنا في ثنايا الكتاب الكثير من الأدلة على استمرارية الاصطفاء إلى يوم القيامة من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله في قوله تعالى بعد أن ذكر النبي محمدا ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، وأيضا من خلال قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] آية المباهلة والتي أجمع فيها المسلمون أن المقصود بهم هم الحسن والحسين فسماهم أبناء للرسول، وأيضا من خلال قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] فهي سنة دائمة أن يكون للأنبياء أزواجا وذرية، وكذلك من خلال قوله تعالى لمن شنأ وعاب رسول الله

بأنه ابتر لا عقب له فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر: ١ - ٣] فوصف الله نبيه بأنه ليس أبترا بل أعطاه الكوثر والتي أول مصاديقها الذرية الكثيرة التي تأتي من ابنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها، ولعل الحكمة من جعل ذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من نسل فاطمة عليها السلام تكريما لفاطمة وتكريما للمرأة التي كانت ممتهنة في زمن الجاهليين، ومن الأدلة كذلك إيمان كل المذاهب الإسلامية بأن المهدي المنتظر الموعود من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وآله من نسل ابنته فاطمة عليها السلام.

أهل البيت عند أهل السنة والجماعة

ليس غريباً أن تتولع القلوب بحب أهل البيت (ع)، ولكن الغريب أن تتولع بحبهم وحب أعدائهم وقاتليهم، والحق أن قضية أهل البيت في منهج أهل السنة قضية تدعو إلى الاستغراب والحيرة، وقليلة حسبما أعتقد هي تلك المذاهب التي يجتمع فيها حب القاتل والمقتول والظالم والمظلوم في آنٍ واحد، ولكن هذه التناقضات جميعاً جُمعت في منهج أهل السنة؛ فهم يحبون علياً ويبجلون المتآمرين في السقيفة ومعاوية، ويحبون الحسين والبعض منهم لا يتنازلون عن يزيد، وقد قرأتُ قصةً أضحكتني وأعجبتني كثيراً تصف هذه الحال المضحكة والمبكية في آنٍ واحد، وهي أن أحد أصحاب أو محبي الإمام علي دخل ذات مرةٍ إلى مقبرة فوجد رجلاً يبكي بجوار قبر سيدنا حجر ابن عدي رضي الله عنه فقال له: لماذا تبكي يا رجل؟ قال: أبكي على سيدنا حجر رضي الله عنه، قال: ولماذا تبكي على سيدنا حجر ابن عدي؟ قال الرجل: قتله سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه..!! فقال له: ولماذا قتله معاوية؟ قال: لأنه قاتل مع سيدنا علي رضي الله عنه، فبكى المحب فبادره الرجل بقوله: وأنت لماذا تبكي؟ قال المحب: وأنا أبكي عليك أنت رضي الله عنك.

كما تلاحظ فقد بلغ الإسفاف والسخف بعوام الناس إلى أن يجللوا الباغي

الظالم برضاء الله كما المظلوم العادل سواءً بسواء، على الرغم من تلك المخازي التي قام بها معاوية والتي تدلل بجلاء على مدى الانحراف الذي وصل إليه الرجل، ونحن نؤمن يقينا أن فتنة معاوية لم تكن وليدة وقتها ولكنها ثمرة لغلطة تاريخية سابقة أودت بالأمة إلى هوة سحيقة من الاستعباد والذل على أيدي أمثال معاوية ويزيد والحجاج وغيرهم إلى زمننا هذا، وهو ثمرة لقرار الخليفة عمر الذي ولاه على الشام وقال عنه: ذلك كسرى العرب، وبدلاً من أن نمتلك الشجاعة الكافية لنقد تراثنا التاريخي وإخضاعه للفحص والتأمل، لم نجد ممن يسمون أنفسهم أهل السنة إلاّ الالتفاف على كل المصائب والمخازي التي حصلت واختزالها بكلمة واحدة، وهي أنهم مخطئون مجتهدون، وبما أنهم مجتهدون فإن جزاء من شرب الخمور منهم وسفك الدماء وسب أولياء الله هو جزاء المجتهد المخطئ صاحب الأجر الواحد!

قال ابن حزم في فصله ما موجزه: إن معاوية ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً[1]، واعتذر ابن تيمية ايضاً لمعاوية فيما فعل بأنه مجتهد وقال: إنه كعلي ابن ابي طالب في ذلك[2]، ولما كان لشخصية الشيخ ابن تيمية مكانة عظيمة في قلوب أتباعه من الوهابية آثرنا أن نسلط الضوء عليها قليلاً كمثال للتناقض.

كلام ابن تيمية عن إجتباء آل الرسل

يقول بالحرف الواحد (إن فكرة تقديم آل الرسول هي من أثر الجاهلية في تقديم أهل بيت الرؤساء)[3]

(لنرى العقيدة في ذلك بين قول الله ورسوله، وقول ابن تيمية:

قال تعالى بعد أن ذكر ثمانية عشر نبياً بأسمائهم في أربع آيات من سورة الأنعام: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٦ - ٨٧] واجتبيناهم اي اخترناهم وأخلصناهم. لماذا

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل - ١٦١/٤
(٢) منهاج السنة ٢٦١/٣-٢٩٨
(٣) منهاج السنة ٣/ ٢٦٩

خص الله آل الرسل بهذا الاجتباء؟ لماذا هذه العناية الخاصة بآل الانبياء آبائهم وإخوانهم وذرياتهم دون سائر البشر؟

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣] لماذا خص أهل البيت بهذه العناية وبهذا التطهير دون سواهم من الصحابة والقرابة؟

والنبي يفرد أربعة فقط ممن حوله من المسلمين علياً وفاطمة والحسن والحسين ويدير عليهم كساءً ثم يقول: "اللهم هؤلاء أهل بيتي"، هؤلاء النفر لا غير "أذهِبْ عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً"، فلماذا هذا التقديم الذي خص به آل الرسول دون سواهم؟

.....هل قول إبراهيم الخليل حين قال له الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] فقال إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [البقرة: ١٢٤] فقوله هذا في تقديم ذريته هو من عقائد اليهود الذي لم يخلقوا بعد أم من أثر الجاهلية؟! وقول الله تعالى في إبراهيم عليه السلام ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] أمِنْ عقائد اليهود مشيئة الله تعالى واختياره ذرية إبراهيم أم من أثر الجاهلية؟! وقال تعالى في إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٢ - ٧٣].

فلماذا وهب له اثنين من الأنبياء وجعل فيهم الإمامة بعده؟ ولماذا لم يجعلها في أحد أصحابه المؤمنين به؟ أهذا حكم الله ومشيئته واصطفاؤه أم هو من عقائد اليهود وأثر الجاهلية؟! [وليكن معلوماً بأن مفهوم الإمامة مفهوم أوسع وأكبر من مفهوم القيادة السياسية أو السلطة التنفيذية، باعتبار أن الإمامة مرجعية دينية، واعتبار أن الائمة مشعل هداية لتربية وتزكية ورعاية وتوجيه وقيادة الأمة، ولذلك قرنوا بكتاب الله تعالى في كون التمسك بهما منقذًا من الضلالة][1]

(١) ما بين المعكوفتين من تصرفنا [ ]

وقول الله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ﴾ [آل عمران: ٣٣ - ٣٤] اصطفاءٌ من الله تعالى لآل الرسل وذرياتهم، أيقال فيه إنه من عقائد اليهود أو من أثر الجاهلية؟!

محمد خير الخلق وسيد الأنبياء أجمعين أظهر عنايته بأهل بيته أشد العناية جهاراً على الملأ؛ "فاطمة بضعة مني" "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة" "هذان ابناي وريحانتاي من الدنيا" "حسين منى وأنا من حسين"... "اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً"... وغير هذا كثير، ثم يتوجه إلى أمته في أكبر تجمع لهم معه صلى الله عليه وآله وسلم عند عودته من حجة الوداع فيقول: (إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور، وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) يكرر هذا التذكير مرة بعد أخرى؛ لأنه يعلم ما سيحدث بعده من صدود عن أهل بيته، وجحودٍ بحقهم المذكور ومقامهم الذي لا يسمو إليه أحد من غيرهم، فهم ثاني الثقلين مع القرآن الكريم "وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، فهذا كله هل هو من قول الشيعة ليقال إنه من عقائد اليهود وأثر الجاهلية؟ أم أن هذا التأويل بعقائد اليهود وأثر الجاهلية له حقيقة؟! إن حقيقته الكاملة هي التي وصفها الله تعالى في كتابه الحكيم إذ قال وقوله الحق: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ٥٤﴾ [النساء: ٥٤] وعند هذه الاية قال الإمامان الباقر والصادق: (نحن والله المحسودون).

هل كل هذا الاجتباء الإلهي لآل الأنبياء هو من أثر الجاهلية؟! وكل هذا الذي في القرآن هو من أثر الجاهلية؟! وهذه الصلاة على آل محمد وآل إبراهيم التي ترددها في صلاتك هي من أثر الجاهلية!؟... الخ

قاتل الله العصبية الجاهلية، والعناد والضلال.

- ابن تيمية الوجه الآخر

آل أمية آل أبي سفيان وآل مروان حين توارثوا الحكم لا يخرج من بيتهم حتى انقرضت دولتهم هل رأى فيها شبهاً باليهود، أو نسب سيرتهم إلى آثار الجاهلية؟ كلا أبدًا فهم عنده الخلفاء على المسلمين وأمراء المؤمنين، الطاعةُ لهم واجبة ومن طعن عليهم فقد أدخل الفتنة والفساد في أمور المسلمين والله يأمر بالصلاح لا بالفساد! هكذا وجّه كلامه ضد الحسين سبط النبي وسيد شباب أهل الجنة حين طعن الحسين في إمارة يزيد بن معاوية [1]... انتهى[2].

والغريب أن ابن تيمية عاد وتناقض مع طرحه الأول، وذكر اصطفاء الله لأهل البيت في مكان آخر، يقول رباني آل محمد السيد بدر الدين الحوثي: "قال ابن تيمية في كتابه المسمى: (اقتضاء الصراط المستقيم) في [ص١٥٠]: «والدليل على فضل جنس العرب، ثم جنس قريش، ثم جنس بني هاشم ما رواه الترمذي، من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم، فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الأرض، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم، ثم خيَّر القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم خيَّر البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا، وخيرهم بيتا». قال الترمذي: هذا حديث حسن. وعبد الله بن الحارث هو ابن نوفل الكبى بالكسر والقصر، والكبة: الكناسة والتراب الذي يكنس من البيت.

وفي الحديث: (الكبوة) وهي مثل: الكبة، والمعنى: أن النخلة طيبة في نفسها، وإن كان أصلها ليس بذاك. فأخبر صلى الله عليه وآله وسلم: أنه خير الناس نفسا ونسبا.

وروى الترمذي أيضا من حديث الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث، عن المطلب بن أبي وداعة قال: جاء العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه سمع شيئا، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر

(١) منهاج السنة ٢٤١.

(٢) نقلًا عن كتاب ابن تيمية حياته وعقائده ص ٢٩١-٢٩٦.

فقال: «من أنا؟» فقالوا: أنت رسول الله صلى الله عليك وسلم. قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب» ثم قال: «إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيرهم بيتا، وخيرهم نفسا». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

قال ابن تيمية: وقد روى أحمد هذا الحديث في المسند من حديث الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن المطلب بن أبي وداعة قال: قال العباس رضي الله عنه: بلغه صلى الله عليه وآله وسلم بعض ما يقول الناس قال: فصعد المنبر فقال: «من أنا؟» قالوا: أنت رسول الله فقال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب» ثم قال: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني في خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا، فأنا خيركم بيتا، وخيركم نفسا». أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما انقسم الخلق فريقين إلا كان هو في خير الفريقين.

إلى أن قال ابن تيمية: ومثله أيضا في المسألة ما رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث الأوزاعي عن شداد بن أبي عمار عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» هكذا رواه الوليد وأبو المغيرة عن الأوزاعي.

ورواه أحمد والترمذي من حديث محمد بن مصعب عن الأوزاعي ولفظه: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة» الحديث.

قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

وهذا يقتضي أن إسماعيل وذريته صفوة ولد إبراهيم، فيقتضي أنهم أفضل من ولد إسحاق، ومعلوم أن ولد إسحاق الذين هم بنو إسرائيل أفضل العجم؛ لما فيهم من النبوة والكتاب، فمتى ثبت الفضل على هؤلاء، فعلى غيرهم بطريق الأولى». انتهى المراد نقله من كلام ابن تيمية.

وفي المبحث زيادة في كتابه المسمى: (اقتضاء الصراط المستقيم) فمن أراد الزيادة فليراجعه »[1].

ولله درالسيد العلامة مجد الدين المؤيدي حينما عجب لكثرة تناقض هذا الشيخ انظر كتاب مجمع الفوائد

المجتهد عبد الرحمن ابن ملجم قاتل الامام علي

قال ابن حزم في المحلى ١٠/ ٤٨٢ وابن التركماني في الجوهر النقي بذيل سنن البيهقي ٨/ ٥٨-٥٩ واللفظ للأول (لا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل علياً إلا متأولا مجتهداً مقدراً أنه على صواب وفي ذلك يقول عمران بن حطان شاعر الصفرية:

يـا ضربة مـن تقي مـا أراد بهـا ... إلا ليبلـغ من ذي العـرش رضوانا

إنـي لأذكـره يومـا فأحسبـه ... أوفـى البرية عنـد الله رضوانـا

فهذا الحطاني المبتهج بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام أثنى عليه المحدثون من أهل السنة، وأخرج له النسائي وأبو داوود وأحمد، وله في صحيح البخاري حديثان حديث رقم ٥٣٨٧ وحديث رقم ٩٤٩٦ ترقيم العالمية، فيا له من حب عجيب حينما يثنى على ابن حطان الذي وصف قاتل الامام بالتقوى والله يقول «ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم... ".

[وهذا حريز ابن عثمان المتوفي ١٦٣ هجرية كان يسب علياً ويشتمه ولا يخرج من المسجد بعد الصلاة حتى يلعنه سبعين مرة ذكر ذلك البغدادي في تاريخ بغداد ٨/ ٢٦٧ والمزي في تهذيب الكمال ٥/ ٥٧٦ وابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/ ٢٠٩، ومع ذلك قال ابن عدي: حريز من الأثبات في الشاميين، ووثقه القطان وابن معين، وقال الذهبي في الميزان: كان متقناً ثبتاً، وحكي عن معاذ ابن معاذ أنه قال: لا أعلم أني رأيت شامياً أفضل منه!! وعن ابي داوود سألت احمد عنه فقال ثقةٌ ثقةٌ ثقة][2]

(١) السلسلة الذهبية.

(٢) الصحابة عند الزيدية رؤية متوازنة ٩.

واعتمد روايته أصحاب الصحاح الست عدا مسلم، أما البخاري -الذي لم يروِ عمّن كذب على حصانه كما يقول أهل السنة- ها هو يروى عمن كان يسب أمير المؤمنين سبعين مرة بعد الصلاة، وعمّن مدح قاتل أمير المؤمنين.

وهذان الرجلان مثالٌ فقط لمدى محبة هؤلاء القوم لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فهناك الكثير من أمثال عبد الله بن شقيق العقيلي ونعيم بن أبي هندل الاشجعي ولمازة بن زبار الذين كانوا مشهورين بالنصب وبغض وسب أمير المؤمنين، ولكن أهل الصحاح لم يتورعوا عن الرواية عنهم رغم أنهم يروون عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق"[1].

[والغريب الملفت للنظر في هذه المسألة أن بعض المحدثين تغاضوا عمن كان يسب علياًولم يمتنعوا على الأقل عن الرواية عنه، أما إذا تعلق الأمر بأبي بكر أو عمر أو عثمان فلا يتركون الرواية عمن ينال منهم فحسب، بل يحكمون عليه بالكفر والردة، ويجعلون حده القتل والتنكيل، فقد ذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب ١٣٢/٦ أن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزي سُئل عن رجل يسب أبا بكر فقال: يقتل فقيل سب عمر؟ قال: يقتل، وذكر ابن بطة في شرح الإبانة ١٦٢ عن عبد الرحمن الأوزاعي أنه قال: من شتم أبا بكر الصديق فقد ارتد عن دينه وأباح دمه، فلماذا يرتد الراوي عندما يشتم أبا بكر أو عمر، وعندما يشتم علياً تعتمد روايته ويكون ثقةً ثقةً ثقة؟! وأي تعصب أسوأ من هذا؟ واللوم في هذا يقع على المحدثين أكثر من غيرهم؛ لأنهم أصحاب نظرية العدالة المطلقة للصحابة][2]

نعود مرة أخرى إلى ابن تيمية لنقتطف من أقواله نزرًا يسيرًا نستبين به مدى حبه لأهل البيت عليهم السلام وغليك بعض الأقوال:

قال ابن تيمية: ومن قال إن حرب علي كحرب الرسول فإن الحديث "حربك حربي وسلمك سلمي" كذب ،ولو كان حربه كحرب الرسول والله تعالى قد تكفل

(١) الصحابة عند الزيدية رؤية متوازنة ٩.

(٢) صحيح مسلم كتاب مناقب الصحابة باب حب علي والانصار من الايمان.

بنصر رسوله كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وكما في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣] لوجب أن يُغلب محارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن الأمر كذلك، بل الخوارج لما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتالهم وكانوا من جنس المحاربين لله ورسوله انتصر عليهم فلو كانت محاربته محاربة للرسول لكان المنتصرَ في آخر الأمر هو، ولم يكن الأمر كذلك بل كان آخر الأمر يطلب مسالمة معاوية![1]

بهذه الطريقة كيف سيفسر ابن تيمية هزيمة أتباع كثير من الأنبياء أمام الباطل، بل ووصل الأمر في كثير من الحالات إلى استشهاد الكثير من الأنبياء قتلا، هل يعني ذلك أنهم ليسوا على حق؟!، لاحظ كيف تغافل ابن تيمية عمدا عن السبب الرئيسي لمآل الأمور إلى معاوية، وهو تخاذل أتباع الإمام علي وتراكمات سقيفة بني ساعدة، وتخاذل الأتباع هو السبب الرئيسي لاستشهاد الأنبياء والأولياء، ولكن تلك كما ترى رؤية ابن تيمية التحليلية لمآل الأمور إلى معاوية في آخر المطاف، و تلك النظرة التي يريد من خلالها أن يخدع السطحيين تُعبِّر عن حقد دفين وكتمان للحقيقة.

ويجدر بنا أن نذكر كلام الأستاذ سيد قطب الذي حلل جزءًا رئيسيا من الأسباب بطريقة سليمة يقول: "مضى عثمان إلى رحمة ربه، وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل، بفضل ما مكّن لها في الارض وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكّن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام، من إقامة الملك الوراثي والاستئثار بالمغانم والأموال والمنافع، مما أحدث خلخلة في الروح الإسلامي العام، وليس بالقليل ما يشيع في نفس الرعية -إن حقاً وإن باطلاً- أن الخليفة يؤثر أهله ويمنحهم مئات الألوف، ويعزل أصحاب رسول الله ليولي أعداء رسول الله، ويبعد مثل ابي ذر لأنه انكر كنز الأموال وأنكر الترف الذي يخب فيه الأغنياء، ودعا إلى مثل ما كان يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الإنفاق والبر والتعفف.. فإن النتيجة الطبيعية لشيوع مثل هذه الأفكار -إن حقاً وإن باطلاً- أن تثور نفوسٌ وأن تنحل

(١) منهاج السنة ٢/ ٢٣٣-٢٣٤

نفوسٌ، تثور نفوسُ الذين أُشربت نفوسهم روح الدين إنكاراً وتأثماً، وتنحل نفوسُ الذين لبسوا الإسلام رداءً ولم تخالط بشاشته قلوبهم والذين تجرفهم مطامع الدنيا ويرون الانحدار مع التيار، وهذا كله قد كان في أواخر عهد عثمان.

فلما أن جاء علي كرم الله وجهه لم يكن من اليسير أن يرد الأمر إلى نصابه في هوادة، وقد علم المستنفعون على عهد عثمان -وبخاصة بني أمية- أن علياً لن يسكت عليهم فانحازوا بطبيعتهم وبمصالحهم إلى معاوية.

جاء عليّ ليرد التصور الإسلامي للحكم إلى نفوس الحكام ونفوس الناس، جاء ليأكل الشعير تطحنه امرأته بيديها، ... ما يصنع علي بنفسه ما صنع وهو يجهل هذا كله، إنما كان يعلم أن الحاكم مظنة وقدوة، مظنة التبحبح بالمال العام إذ كان تحت سلطانه وقدوة الولاة والرعية في التحرج والتعفف... وسار علي كرم الله وجهه في طريقه يرد للحكم صورته كما صاغها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم... (وجد درعه عند رجل نصراني فأقبل به إلى شريح قاضيه، يخاصمه مخاصمة رجل من عامة رعاياه، وقال: إنها درعي ولم أبع ولم أهب، فسأل شريح النصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ قال النصراني: ما الدرع إلا درعي، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى علي يسأله يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح ما لي بينة! فقضى بالدرع للنصراني، أخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه... إلا أن النصراني لم يخطُ خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء... أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الدرعُ -واللهِ- درعُك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق إلى صفين، فخرجَتْ من بعيرك الأورق، فقال علي: أما إذ أسلمت فهي لك).

ولقد كان منهاجه الذي شرعه هو ما قاله في خطبته عقب البيعة له: (أيها الناس إنما أنا رجل منكم، لي ما لكم وعليَّ ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكم ومنفذ فيكم ما أُمرت به، ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تُزُوِّجَ به النساء ومُلِك الإماء وفُرِّقَ في البلدان لرددته، فإن في العدل سعة ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق...

ولقد كان من الطبيعي ألّا يرضى المستنفعون عن علي، وأن لا يقنع بشرعة المساواة من اعتادوا التفضيل ومن مردوا الاستئثار، فانحاز هؤلاء في النهاية إلى المعسكر الآخر: معسكر أمية حيث يجدون فيه تحقيقاً لأطماعهم على حساب العدل والحق الذَينِ يصرّ عليهما علي رضي الله عنه هذا الإصرار!

والذين يرون في معاوية دهاءً وبراعة لا يرونهما في علي ويعزون إليهما غلبة معاوية في النهاية، إنما يخطئون تقدير الظروف، كما يخطئون فهم علي وواجبه، لقد كان واجب علي الأول والأخير أن يرد للتقاليد الإسلامية قوتها، وأن يرد إلى الدين روحه، وأن يجلو الغاشية التي غشت هذا الروح على أيدي بني امية في كبرة عثمان. ولو جارى وسائل بني أمية في المعركة لبطلت مهمته الحقيقية ولما كان لظفرِه بالخلافة خالصة من قيمةٍ في حياة هذا الدين، إن علياً إما أن يكون علياً أو فلْتذهب الخلافة عنه بل فلتذهب حياته معها، وهذا هو الفهم الصحيح الذي لم يغب عنه كرم الله وجهه، وهو يقول فيما رُوي عنه إن صحت الرواية: (والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس).

لقد اتسعت رقعة الإسلام فيما بعد، ولكن روحه انحسرت بلا جدال، ولولا قوة كامنة في طبيعة هذا الدين، وفيض عارم في طاقته الروحية لكانت أيام أمية كفيلة بتغيير مجراه الأصيل، ولكن روحه ظلت تقاوم وتغالب وما تزال فيها الطاقة الكامنة للغلب والانتصار... انتهى[1].

غلاة الاثني عشرية.. وأهل البيت عليهم السلام

سُئِل المرجع الاثنى عشري حسن الحائري: (إذا كان الإمام علي عليه السلام أفضل من النبي موسى عليه السلام فما معنى قوله عليه السلام (أنا عصا موسى)؟ وهل يكون الإمام أمير المؤمنين الآية الكبرى معجزة لموسى؟ هذا والإمام يقول: (أي آية أكبر مني؟) أرجو التفضل بالجواب مفصلاً ظاهراً وباطناً ولكم جزيل الشكر.

(١) (العدالة الاجتماعية في الاسلام) ص ١٦١-١٦٤.

جواب الحائري:

لهذه الكلمة المباركة تفسيران أو معنيان:

المعنى الأول: يعنى أنه عليه السلام بمنزلة عصا موسى لرسول الله، يعنى أنه أكبر آية وأعظم معجزة لإثبات نبوة أخيه وابن عمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في علمه ومعاجزه وكراماته.

المعنى الثاني: أنه المؤثر في عصا موسى عليه السلام، ولولا تأثير ولايته العظمى لما تحولت ثعبان إلى، وهو الذي نصر الأنبياء جميعاً في إظهار معاجزهم وكراماتهم وتأثير حججهم والغلبة على منكري رسالتهم، كما هو صريح روايتهم عليهم السلام بسلطنته الكبرى وولايته الكلية العامة، وهو الاية الكبرى والنبأ العظيم... انتهى[1]

كما ترى أخي القارئ مدى الغلو والمبالغة عند غلاة الاثنى عشرية، لكي تعلم أن نظرة قرناء القرآن بعيدة كل البعد عن نظرة الغلاة التي اختلطت بعقائد الهندوس واليونان في تقديسهم ورفعهم لمقام العبودية إلى مراتب الألوهية بطريقة غير مباشرة، فكما رأينا سابقا كيف أن الروايات السلفية حطت من مرتبة الألوهية إلى مرتبة المخلوقين عبر روايات التشبيه والتجسيم، فإن روايات غلاة الاثنى عشرية -بالعكس- رفعت من قدر البشر المخلوقين، وأضْفَتْ عليهم صبغة الألوهية من مراتب لا تجوز إلا للكمال المطلق الذي هو الله سبحانه وتعالى، وهذه العقيدة التي تأثر بها غلاة الشيعة وغلاة الصوفية على السواء هي عقيدة تسربت من الغنوصية اليونانية، في الفترة التي كان فيها منهج أهل البيت عليهم السلام يعاني من الاضطهاد والملاحقة من قبل خلفاء بني العباس، وقد أجاد محمد تقي المدرسي وهو من علماء الاثنى عشرية المتأخرين في الرد عليهم في كتابه (العرفان الإسلامي)، وما يهمنا هنا هو توضيح تلك الروايات الشاذة والتي تأثر بها كثير من عوام الشيعة البسطاء، فانعكست على واقعهم المعاش على شكل خرافات وخزعبلات أُسروا بها، وإليك أمثلة لبعض هذا الروايات التي تبين مدى الانحراف

(١) الدين بين السائل والمجيب الجزء الثاني ص ٧٢.

الذي وصل إليه غلاة الاثنى عشرية في معرفة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

(١) تفضيل الائمة الاثني عشر على الانبياء عليهم السلام:

يقول السيد أمير محمد الكاظمي في كتابه الشيعة في عقائدهم وأحكامهم[١].

ويقول آية الله عبد الحسين دستغيب في كتابه اليقين ص ٤٦ دار التعارف بيروت لبنان: "وأئمتنا الاثنا عشر عليهم السلام أفضل من جميع الأنبياء باستثناء خاتم الانبياء صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولعل أحد اسباب ذلك هو أن اليقين لديهم أكثر".

(٢) عصمة الأئمة الاثني عشر

يقول الزنجاني في كتابه (عقائد الاثني عشر) ٢/١٧٥ الأعلمي، نقلاً عن رئيس المحدثين الصدوق ما نصه: "اعتقادنا في الأنبياء والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر".

(٣) أشباح الأئمة خارج نطاق الزمان والمكان

سُئِل آية الله العظمى جواد التبريزي في تعليقاته وفتاويه المطبوعة مع صراط النجاة للخوئي ٣/٤٣٨ - ٤٣٩ مكتبة الفقيه الكويت: هل يجوز الاعتقاد بأن الصديقة الطاهرة السيدة الزهراء عليها السلام تحضر بنفسها في مجالس النساء في آنٍ واحد في مجالس متعددة بنفسها ولحمها ودمها؟

أجاب التبريزي: الحضور بصورتها النورية في أمكنة متعددة في زمان واحد لا مانع منه، فإن صورتها النورية خارجة عن الزمان والمكان، وليست جسمًا عنصريًا ليحتاج إلى الزمان والمكان، والله العالم.

(١) ص ٧٣ الطبعة الثانية (الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أفضل من الأنبياء.

وسُئِل: ما رأيكم فيمن يعتقد بأن النبي وأهل بيته عليهم السلام كانوا موجودين بأرواحهم وأجسادهم المادية قبل وجود العالم، وأنهم كانوا مخلوقين قبل خلق آدم عليه السلام لا أن الله تعالى جعل صورهم حول العرش فما هو الجواب؟

أجاب التبريزي: كانوا عليهم السلام موجودين بأشباحهم النورية قبل خلق آدم عليه السلام، وخلقتهم المادية متأخرة عن خلقة آدم كما هو واضح، والله العالم.

(٤) الغلوّ في صفات الأئمة:

وإليك قراءة في فهارس بعض المصادر والكتب المعتبرة عند إخواننا الاثني عشرية:

بعض فهارس كتاب أصول الكافي – الجزء الأول – دار التعارف – بيروت:

- باب – أن الأئمة عليهم السلام إذا شاؤوا أن يعلموا علموا
- باب – أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم
- باب – أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء
- باب – أن القرآن يهدي للإمام
- بعض أبواب فهرس بحار الأنوار – الجزء الثالث والعشرين – كتاب الإمامة – دار إحياء التراث العربي
- باب – أن الله تعالى يرفع للإمام عموداً ينظر به إلى أعمال العباد
- باب – أنه لا يحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم، وما تحتاج إليه الأئمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيبهم من البلايا... وأنهم يعلمون ما في الضمائر، وعلم البلايا والمنايا وفصل الخطاب والمواليد
- باب – أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام
- باب – أنهم يظهرون بعد موتهم ويظهر منهم الغرائب

- باب – أنهم يقدرون على إحياء الموتي وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء عليهم السلام
- ومن كتاب بصائر الدرجات – طبعة الأعلمي
- باب – في أن الإمام يرى ما بين المشرق والمغرب بالنور
- باب – في ركوب أمير المؤمنين السحاب وترقيه في الأسباب والأفلاك
- ومن كتاب نور العين في المشي إلى زيارة قبر الحسين – طبعة دار الميزان – بيروت
- باب – أن زيارة الحسين تعدل اثنتين وعشرين عمرة
- باب – أن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام ويخاطبهم بنفسه
- باب – أن الله جل وعلا يزور الحسين عليه السلام في كل ليلة جمعة
- باب – أن زيارة الحسين تعدل ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
- باب – من زار قبر الحسين كان كمن زار الله فوق عرشه
- باب – من زار قبر الحسين كان كمن زار الله فوق كرسيه
- باب – من سره أن ينظر إلى الله فليكثر من زيارة قبر الحسين عليه السلام

– سُئل آية الله العظمى محمد الشيرازي في كتابه الفقه والعقائد ص ٣٧٠ توزيع مكتبة جنان الغدير الكويت: (يقال إن أرض كربلاء أفضل من أرض مكة، والسجدة على التربة الحسينية أفضل من السجدة على أرض الحرم! هل هذا صحيح؟ فأجاب الشيرازي: نعم.

لا ننسى أن نؤكد أن الجناح الثوري داخل الاثني عشرية كان له دور كبير في تصحيح مسار الاثني عشرية والاتجاه بأتباعه نحو الثقافة الجهادية القرآنية، وهذه خطوة كبيرة في اتجاه اجتماع الأمة على ثقافة القرآن.

❖ ❖ ❖

عدالة الصحابة

الصدمة

عشت في مجتمع خضع للوصاية السعودية طوال عقود من الزمن حتى في مناهجه الدراسية، وترسخت فيه ثقافة المحبة للصحابة الغث منهم والسمين، وكان النصيب الأوفر تحديدا لأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وترددت على مسامعنا هذه الشخصيات حتى صارت شخصيات مقدسة، فعندما تدخل إلى المدرسة تتربى فيها على محبتهم من البداية، ويتردد على مسامعك ذكرهم في بعض الأحيان أكثر من ذكر رسول الله، وإذا دخلت المسجد لا بد أن تسمع كلمات الصحابة.. السلف، وكان من الملامح التي ارتسمت في أذهاننا ومشاعرنا أن هذه الشخصيات كان بينها الانسجام الكامل مع بقية الصحابة، وخصوصا مع الإمام علي عليه السلام، وكانوا على قلب رجل واحد، وعندما مات رسول الله كانوا نموذجا للتوحد على قلب رجل واحد، فالكل توجه إلى أبي بكر وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام، وكانت علاقة الصحابة بأهل البيت علاقة قائمة على الانسجام والتآلف، كيف لا والإمام علي من أول من سارع لمبايعة أبي بكر وكان أبوبكر يُكنُّ كل الود والاحترام للإمام علي والزهراء، كيف لا تترسخ في مشاعر مجتمعنا محبتهم وهم يسمعون عن أبي بكر وعمر وعثمان وأيضا معاوية بن أبي سفيان عند البعض وهم يرضعون محبتهم منذ الصغر، وتربينا على أن ما حصل بين الصحابة من فتنة ماهي إلا مؤامرة من أحد المتآمرين، وإلا فإنهم جميعا مقدسون لا يمكن أن يتطرق إليهم الشك، فأصبحوا القدوة الذين نستحضر تاريخهم المشرق، فإذا ذكرت البطولات والعدالة تذكرنا الخليفة العادل عمر، كل ذلك تلقيناه في المدارس، وبالطبع كان معظم مدرسينا من التيار الوهابي، ونتيجة لهذه التربية كنا ننظر بتوجس وريبة لكل من يتحدث عن الصحابة وبالذات عن أبي بكر وعمر، بل وصل الأمر عند بعض أفراد مجتمعنا بالذات المنتمين للسلفيين ولحزب الإصلاح أن يحرضوا على الشيعة، وأنهم أخطر من اليهود والنصارى، وأن كل من يتعرض للصحابة ولو من باب التقييم وتبيين الحقائق التاريخية أشد خطرا من اليهود، ولذلك تشاهد قنواتهم وصحفهم وثقافتهم تحذر

من الشيعة والروافض أكثر من اليهود وأمريكا، بل هم اليوم باتوا دعاة للتطبيع مع اليهود الصهاينة ومنابر لتعظيم أمريكا، والواقع أمام هذا الشحن وهذه التعبئة وهذه الثقافة أنه كان من الصعب جدا أن يأتي اليوم الذي تهتز هذه الشخصيات في ذهني ومشاعري، وهل يُتصور ذلك؟ وهل هناك حقيقة غير ما تعلمناه وما سمعناه في مدارسنا وعلى يد مدرسينا؟ يا إلهي هل هناك حقيقة غير ذلك؟ وهل يعقل أن هالة القداسة التي أُضْفِيَتْ على تلك الشخصيات الصحابية كل ذلك كان مجرد تاريخ مزيف صاغه الحكام المنتصرون، كما يقال أن المنتصر هو من يصنع التاريخ وأن الناس على دين ملوكهم، وأن السياسة دخلت في الموضوع؟ لقد كانت القضية بالنسبة لي تمثل صدمة لولا أنني سألت الله أن يعصم قلبي وأن يهديني إلى الحق، لقد كنت أعيش -وغيري من الشباب- حالة من الاندهاش، وأستيقظ من نومي وكأنني في حلم؛ هل حقا أن النزاع حصل بعد موت رسول الله مباشرة؟ بل وحتى قبل موته وهو روحي له الفداء طريح على فراش المرض؟ وهل حقا أن الصحابة انقسموا واختلفوا بعد موت الرسول مباشرة بل ودخلوا في معارك طاحنة؟ وهل حقا أن الإمام عليا عليه السلام قال كما في صحيح مسلم [1] أن أبا بكر وعمر كاذبان غادران آثمان وليس كما تعلمنا على يد المدرسين الوهابية في المدارس أن علاقة بعضهم ببعض كانت كما يقول المثل البلدي «سمن على عسل»؟! إنها للأسف الحقيقة وإن كانت مُرّة، فماذا يسعني أن أقول وأنا أقرأ الكتب المحسوبة على من يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة وأنصار الصحابة وهي تروي المتناقضات؟ كيف لا يهتز ويتزعزع ما رسخوه في نفوسنا تجاه تلك الشخصيات ونحن نقرأ في كتبهم حقائق عن شقاق وتنازع ومخالفة وغيرها من المواقف التي قد تستغرب وتندهش عندما تقرأها؟ وإليك الحقائق التالية من خلال قراءة تحليلية لمجموعة من الأحداث في اللحظات الأخيرة من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما بعدها[2]:

(١) صحيح مسلم -حكم الفيء - الجهاد والسير.

(٢) أخذت هذه القراءة التحليلية من كتاب (يوم انحدر الجمل من السقيفة) للكاتب اللبناني نبيل فياض، وبالطبع مع بعض الإضافات والتعديلات.

الحدث الأول

- سرية أسامة بن زيد-

سرية أسامة بن زيد، هي آخر سرية في حياة النبي صلوات الله عليه واله، جاء في طبقات ابن سعد أنه لما كان يوم الإثنين لأربعِ ليالٍ بقين في صفر سنة إحدى عشرة من مهاجَر رسول الله صلوات الله عليه وآله، أمر رسول الله الناس بالتهيؤ لغزو الروم، فلما كان من الغد دعا أسامةَ بن زيد، فقال: سرْ إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولّيتك هذا الجيش، فأغر صباحًا على أهل ابنى (إحدى المناطق) وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الأخبار، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك.. وقد أثبتت المصادر التاريخية أنّ في هذا الجيش أُناساً من كبار الصحابة، منهم أبو بكر وعمر[١].

يوم الأربعاء بُدء رسول الله، فحمّ وصدّع.. والخميس، عقد لأسامة لواء بيده، ثم قال: اغز باسم الله في سبيل الله فقاتل من كفر بالله.. فخرج.. فعسكر بالجرف.. فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتُدب.. أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم.. تكلم قوم، وقالوا: (يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين)، وفي كامل ابن الأثير تكلم المنافقون في إمارته، وقالوا: (أمّر غلامًا على جلة المهاجرين والأنصار)[٢] وفي تاريخ اليعقوبي: (تكلم قوم، وقالوا: حدث السن وابن سبع عشرة سنة)[٣] غضب رسول الله، فصعد المنبر، وقال[٤]: لئن طعنتم عليه، فقبله طعنتم على أبيه وإن كانا لخليقين بالإمارة[٥]، جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه[٦].

---

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ٦٦/٤، ترجمة أسامة بن زيد، تهذيب تاريخ دمشق ٢: ٣٩٥، ٢١٨/٣.
(٢) الكامل لابن الأثير ٣١٧/٢.
(٣) تاريخ اليعقوبي ١١٣/٢.
(٤) طبقات ابن سعد ١٩٠/٢.
(٥) تاريخ اليعقوبي ١١٣/٢ دار صادر بيروت ١٩٦٠. راجع أيضًا:ص البخاري، المغازي ٣٩١٩، صحيح مسلم، فضائل الصحابة، مسند أحمد، مسند المكثرين ٤٤٧١.
(٦) الشهرستاني، الملل والنحل ٢٣/١، شرح النهج ٢١/٢.

نزل النبي فدخل بيته، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول.. وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ويمضون إلى العسكر بالجرف.. ثقل النبي.. وراح يقول: أنفذوا بعث أسامة.. الأحد اشتد برسول الله وجعه، فدخل أسامة والنبي مغمور فطأطأ رأسه فقبله.. رجع أسامة إلى معسكره.. دخل يوم الإثنين.. أصبح رسول الله معفيًا، فقال: اغد على بركة الله... ودّعه أسامة وخرج إلى معسكره فأمر الناس بالرحيل، فبينا هو يريد الركوب إذا رسول أمه (أم أيم) قد جاءه يقول: إن رسول الله يموت! فأقبل وأقبل معه عمر وأبو عبيدة فانتهوا إلى رسول الله وهو يموت، فتوفي حين زاغت الشمس يوم الإثنين، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة[1].

مناقشة النصوص:

من النصوص السابقة يمكن أن نستنتج ما يلي:

١ - عندما أحسّ النبي صلوات الله عليه وآله بدنوّ أجله، أصرّ على إنفاذ جيش أسامة بن زيد التي أشرك فيها معظم وجوه المهاجرين والأنصار ولعن من تخلف عنها، لرغبته بتسوية أمور خلافته في غياب مراكز القوى التي قد تثير خلافات بعده حول مسألة الحكم، وهذا ما حصل فعلا.

٢ - لاختياره أسامة بن زيد الشاب أميرًا على شيوخ المهاجرين والأنصار معنى هام للغاية، فهو ترويض لهم، غالبًا، كي يذعنوا لولاية من اختاره النبي بعده، أيًا كانت سنه.

٣ - إحساس مراكز القوى بما يخطط له النبي، وتثاقلهم بالتالي عن الخروج في جيش أسامة، ورغم إلحاح النبي المتواصل، وجدنا هؤلاء، عند وفاة النبي صلوات الله عليه وآله متناثرين في أرجاء المدينة.

(١) طبقات ابن سعد ٢/١٩٠.

الحدث الثاني
- رزية الخميس -

*** النص الأول:**

لما حُضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي: "هلم أكتب لكم كتابًا لا تضّلوا بعده. فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن! حسبنا كتاب الله! فاختلف أهل البيت، فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتابًا لن تضلوا بعده! ومنهم من يقول ما قاله عمر، فلما كثر اللغو والاختلاف عند النبي، قال لهم رسول الله قوموا! قال عبيد الله ابن مسعود: فكان ابن عباس يقول: (إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم)[1].

*** النص الثاني:**

لما حضرت رسول الله الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله: ائتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتابًا لا تضلون بعده. فقال عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله ثم قال: عندنا القرآن، حسبنا كتاب الله[2].

*** النص الثالث:**

اشتد برسول الله وجعه، فقال: «آتوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي التنازع»، فقالوا: هجر رسول الله[3].

---

(١) البخاري ٩/٧، ١٦١/٨، مسلم ٧٥/٥، مسند أحمد ٣٥٦/٤ ح٢٩٩٢، البخاري، العلم١١١، المغازي ٤٠٧٩، المرضى الاعتصام بالكتاب، ص مسلم، الوصيّة ٣٠٩١، مسند أحمد، مسند بني هاشم ٢٨٣٥، ٢٩٤٥.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ٥١/٦.

(٣) البخاري كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، مسلم كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس عنده شيء، مسند أحمد ٢٢٢/١، صحيح البخاري، الجهاد والسير ٢٨٢٥.

في نص ثان فقالوا: ما شأنه؟ أهجر[١]،وفي نص ثالث فقالوا: إن رسول الله يهجر[٢].

*** النص الرابع:**

لما مرض النبي، قال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتابًا لن تضّلوا من بعده أبدًا، فقال النسوة من وراء الستر: ألا تسمعون ما يقول رسول الله؟ قال عمر: إنكن صويحبات يوسف، إذا مرض رسول الله عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن عنقه! فقال رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم[٣].

*** النص الأخير:**

ولما مات رسول الله، قال قبل موته: إيتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم إشكال الأمر وأذكر لكم المستحق لها بعدي. قال عمر: دعوا الرجل فإنه ليهجر؛ وقيل: يهذو[٤].

مناقشة النصوص:

١- النصوص الخمسة السابقة تظهر بجلاء أسلوب تعامل معظم المؤرخين الإسلاميين مع الحدث التاريخي فمن المعروف أن عمر بن الخطاب واحد من أهم الشخصيات في التاريخ الإسلامي، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يتعاملون بحذر حينًا، وتمويه أحيانًا، مع بعض ما صدر عنه ففي النصوص السابقة، نجد النص الأول يقول عن لسان عمر إن النبي قد غلب عليه الوجع، والتي صارت في النص الثاني قال عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله، وفي

(١) تاريخ الطبري ٢/١٩٢-١٩٣، صحيح البخاري، الجزية والموادعة، المغازي ٤٠٧٨، صحيح مسلم، الوصية ٣٠٨٩، مسند أحمد، مسند بني هاشم ١٨٣٤. في النص الأخير نجد القول: ((قالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ قال سفيان: يعني، هذى)).

(٢) مسند ابن حنبل ١/٣٥٥، الكامل ٢/٣٠٢. صحيح مسلم، الوصيّة ٣٠٩٠، مسند أحمد، مسند بني هاشم ٣١٦٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٢٤٣-٢٤٤.

(٤) الإمام الغزالي، سر العالمين وكشف ما في الدارين، ص ٢١، مطابع النعمان ط/ ٤/، سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص، ص/ ٦٢، ط الحيدرية، انظر أيضاً كتاب الغزالي ذاته، ((سر العالمين وكشف ما في الدارين المسمى بالسر المكنون)) ط بندر بومبي، نسخة الظاهرية، باب المقالة الرابعة ص/٩.

النص الثالث ظهرت تلك الكلمة التي معناها: أن الوجع قد غلب على رسول الله وهي: هجَر رسول الله، لكنها لم تنسب إلى عمر، بل إلى شخص مجهول فقالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ لكن الغزالي في النص الخامس يوضح المسألة برمتها حين يقول، إن عمر ابن الخطاب هو الذي قال: إن النبي ليهجر ولا شك أن عمر قال «هجر رسول الله» كما أكد ذلك الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه.

٢- إن كلمة يهجر بمعنى يخلط أو يهذو تتنافى تمامًا مع أبسط المعايير الموضوعية والدينية، بل حتى الأخلاقية؛ فسياق النص، يظهر أن النبي يوم وفاته، وقبل ذلك، حين كان يجهز لسرية أسامة بن زيد، كان بكامل وعيه، ودينيًا تتعارض كلمة يهجر تمامًا أيضًا مع ما جاء في القرآن الكريم عن النبي ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [التغابن: ١٢]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٣- رفض عمر لوصية النبي، متذرعًا بأن القرآن الكريم حسبه يتنافى أيضًا مع ما يقوله القرآن الكريم بضرورة طاعة الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله.

لكن من وجهة نظر تاريخية، كثيرًا ما نصادف مثل هذه الأحداث، عند غياب مؤسسي الحركات الدينية والفكرية الكبرى في معظم الأزمنة والعصور، وقد ذكر القرآن موضوع الانقلاب على الأنبياء من داخل صفوف الأتباع كقضية بديهية حصلت مع الكثير من الأنبياء (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم).

٤- في النصوص السابقة نجد بذور الانحراف والصراع على الحكم ما بعد النبي صلوات الله عليه وآله والتحزبات والصراعات، وقد وضحت تمامًا. فالنبي من جهةٍ يصرّ على كتابة وصيته وهو الحريص على هداية الأمة، وعمر بالمقابل يصرّ على الرفض! الأمر الذي أدى إلى انقسام الناس بين مؤيد للنبي صلوات الله عليه واله ومؤيد لعمر، ففي النص الأول نقرأ: فاختلف أهل البيت فاختصموا،

فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي، ومنهم من يقول ما قاله عمر، وفي النص الثالث نقرأ: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع، وفي النص الرابع، تظهر نساء النبي بين الحلف المؤيد لكتابة الوصية، مقابل عمر الرافض لذلك.

إن موقف عمر ومؤيديه في سرية أسامة بن زيد ثم من كتابة الوصية، لابد أن يدفعنا إلى التساؤل: ماذا كان هدف عمر من البقاء في المدينة لمتابعة مجريات الأمور عند وفاة النبي رغم إلحاح النبي على إنفاذ السرية؟ ولماذا رفض كتابة الوصية؟

لم يصرّ النبي على كتابة الكتاب بالقوة لسببين؛ السبب الأول أن عمر ضرب سمعة الكتاب، وفرضُه بالقوة سيترتب عليه نشوءُ جماعةٍ تدعي بأن رسول الله خرّف آخر حياته والكتاب ليس له أي مستند شرعي لأنه كتب بعد زوال عقل النبي الأكرم!!!، السبب الثاني أن النبي الأكرم اكتفى بأن يفضح نفسية عمر للأجيال، ويوضح لهم أنه لا يهمه أمر هدايتهم.

الحدث الثالث
- سقيفة بني ساعدة -

قصة السقيفة:

اجتمع بعض وجهاء الأنصار بعد أن علموا بأن الأمر لن يؤول إلى الإمام علي ليبايعوا واحدا منهم، قال عمر بن الخطاب: "إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أن الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما[1]، فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار، فانطلقنا في سقيفة بني ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله[2]، وكان الأنصار قد اجتمعوا حتى أتيناهم فقالوا: نوّلي هذا الأمر -بعد محمدٍ- سعدَ بنَ عُبادة. وأخرجوا سعدًا إليهم وهو مريض، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الأنصار في الدين وفضيلتهم في الإسلام، وإعزازهم للنبي وأصحابه، وجهادهم لأعدائه، حتى استقامت العرب، وتوفي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدوا بهذا الأمر (الحكم) دون الناس.

فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الأمر، ثم إنهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أَبَتْ مهاجرة قريش، فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلامَ تنازعوننا هذا الأمر بعده؟ فقالت طائفة منهم (الأنصار): فإنا نقول إذًا منا أمير ومنكم أمير! فقال سعد بن عبادة: هذا أول الوهن)[3].

وكما أشير سابقًا سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن

---

(١) الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة: علي بن أبي طالب، العباس بن عبد المطلب، الفضل بن العباس، عتبة بن أبي لهب، سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، عمار بن ياسر، المقداد، البراء بن عازب، أبي بن كعب، سعد بن أبي وقاص، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، خزيمة بن ثابت، فروة بن محمد الأنصاري، خالد بن سعيد بن العاص، سعد بن عبادة، وجماعة من بني هاشم (انظر: تاريخ الطبري ٣/٢٠٨، الكامل في التاريخ ٢/٣٢٥، تاريخ اليعقوبي ٢/١٠٣، السيرة الحلبية ٣/٣٥٦، أسد الغابة ٣/٢٢٢، مروج الذهب ٢/٣٠١، شرح النهج للمعتزلي ١/١٣١-١٣٤، العقد الفريد ٤/٢٥٦).

(٢) البخاري كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا ٤/١٢٠.

(٣) انظر: تاريخ الطبري، ط أوروبا ١/١٨٣٨، ابن الأثير ٢/١٢٥، تاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١/٥.

الجراح، وانحاز معهم أسيد بن حضير[١] وعويم بن ساعدة[٢] وعاصم بن عدي[٣][٤].

يقول عمر بن الخطاب: أتيناهم فإذا رجل مزمل، فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك فلما جلسنا قليلا، تشهد خطيبهم فأثنى على الله، ثم قال: أما بعد! فنحن أنصار الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط... فأردت أن أتكلم، فقال أبو بكر: على رسلك تكلم أبو بكر-بعد أن منع عمر عن الكلام- فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرسول دون جميع العرب، وقال: فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم، ثم ذكر فضيلة الأنصار، وقال: فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء[٥]، وعن حديث أبي بكر قال عمر: والله ما ترك من كلمة في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل[٦]، فقام الحباب بن المنذر[٧] وقال: يا معشر الأنصار! املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة.

---

(١) أسيد، أحد السابقين للإسلام، وأحد النقباء ليلة العقبة. اختلف في شهوده بدرًا. آخى رسول الله (ص) بينه وبين زيد بن حارثة،)وكان ممن ثبت يوم أحد، وجرح يومئذ سبع جراحات. قال النبي (ص): نعم الرجل أسيد بن حضير. وكان أبو بكر لا يقدم أحدًا من الأنصار على أسيد بن حضير. ولما مات، حمل عمر نعشه بنفسه، وباع ماله ثلاث سنين، فوفى دينه، وقال: لا أترك بني أخي عالة (انظر: الإصابة ٨٣/١، الاستيعاب ٣١/١-٣٣).

(٢) صحابي أنصاري كان مؤاخياً لعمر بن الخطاب (الاستيعاب ١٧٠/٣).

(٣) من خلفاء الأنصار.

(٤) سيرة ابن هشام ٣٣٩/٤.

(٥) راجع الحاشية ١٩.

(٦) البخاري، المرجع السابق.

(٧) أحد زعماء الأنصار (الإصابة ٣٠٢/١).

فقام الحباب بن المنذر، وقال: يا معشر الأنصار! املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا والله جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، أما والله لو شئتم لنعيدنها جذعة.

قال عمر: إذًا يقتلك الله!

قال: بل إياك يقتل!

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار! إنكم كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغيَّر.

فقام بشير بن سعد الخزرجي، فقال: يا معشر الأنصار! إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا؛ فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك.. ألا إن محمدًا (ص) من قريش، وقومه أحق به وأولى، وايم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا. فاتقوا الله، ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم!

فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا.

فقالا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك[1].

وفي رواية لعمر، أن أبا بكر، قال ما ذكرت فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة، فلم أكره مما قال غيرهما.

فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش!

فكثر اللغط وارتفعت الأصوات، حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر!

(١) الطبري ط دار سويدان ٣/ ٢٢٠-٢٢١.

فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون، ثم بايعته الأنصار[١].

ويروى أن عبد الرحمن بن عوف قام، فقال يا معشر الأنصار! إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلي.

وقام المنذر بن الأرقم، فقال: ما ندفع فضل ما ذكرت، وإن فيهم لرجلا لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد -يعني علي بن أبي طالب- (فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلا عليًا)[٢] [٣]، قال عمر فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوفْتُ الاختلاف، فقلت: ابسط يدك لأبايعك[٤].

فلما ذهبا (عمر وأبو عبيدة) ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد، فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد، عققت عقاق، وفي رواية ابن أبي الحديد المُعتزلي: (عقك عقاق)[٥]، أنَفسْتَ على ابن عمك (سعد ابن عبادة) الامارة؟

فقال: لا والله؛ ولكني كرهت أن أنازع قومًا حقًا جعله الله لهم!

ولما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد الخزرجي وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض -وفيهم أسيد بن حضير وكان أحد النقباء-: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم فيها نصيبًا أبدًا، فقوموا.

فبايعوا أبا بكر، وفي رواية المعتزلي: لما رأت الأوس أن رئيسًا من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أسيد بن حضير -وهو رئيس الأوس- فبايع حسدًا لسعد ومنافسة له أن يلي الأمر[٦]، فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطؤون سعد بن عبادة، في

---

(١) البخاري، المصدر السابق.
(٢) في نص الطبري (ط أوروبا ١٨١٨/١) وابن الأثير (٢٣/٢): ((ان الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر)).
(٣) انظر: تاريخ اليعقوبي، ط دار صادر ١٢٣/٢، الموفقيات للزبير بن بكار، ٥٧٩.
(٤) سيرة ابن هشام ٣٣٦/٤.
(٥) شرح النهج ٢/٢.
(٦) شرح النهج ٢/٢.

رواية عمر في البخاري: نَزَونا على سعد بن عبادة[١]. فقال أناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا، لا تطؤوه!

فقال عمر: اقتلوه! قتله الله! ثم قام على رأسه، فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك! فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر، فقال: والله لو حصصت منه شعره ما رجعت وفي فيك واضحة!

فقال أبو بكر: مه لا يا عمر! الرفق هاهنا أبلغ. فأعرض عنه عمر.وقال سعد: أما والله لو أن بي قوة ما، أقوى على النهوض، لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيرًا يحجرك وأصحابك؛ أما والله إذًا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابعًا غير متبوع؛ احملوني من هذا المكان!فحملوه وأدخلوه في داره[٢].

وفي رواية البخاري: فقام عمر وقال لأبي بكر ابسط يدك أبايعك، فبايعه عمر وقسم من المهاجرين والأنصار، وتدافع الناس حتى نزَوا على سعد بن عبادة، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر بن الخطاب: (قَتَلَهُ الله)[٣].

إذا نستنتج من كل هذا أن بيعة أبي بكر لم تكن شورى كما كان الوهابيون يعلموننا بل كانت ثمرة صراع سياسي تحت سقيفة بني ساعدة، بل أنها كانت فلتة -أي لم يتصوروا أنها قد تستقيم لمثل أبي بكر- كما قال عمر بن الخطاب: (فلا يغترّنّ امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها وقد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها)[٤].

وكان عمر يومئذ محتجزًا يهرول بين يدي أبي بكر، ويقول: ألا إن الناس قد بايعوا أبا بكر[٥].

---

(١) البخاري، المرجع السابق.
(٢) تاريخ الطبري، ط سويدان، ٣/٢٢١-٢٢٢.
(٣) البخاري كتاب الحدود أو كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة/باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.
(٤) البخاري كتاب الحدود أو كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة/باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت.
(٥) شرح النهج للمعتزلي ١/١٣٣.

مواقف المعارضة
الثابت والمتحول

١- المعارضة الأنصارية:

شعر بعض الأنصار بما يدبره بعض قريش من أجل الاستيلاء على السلطة، وأن المسألة ربما لا تتم للإمام علي، وبدلًا من أن يلتفوا حول الإمام علي عليه السلام لتتم له المسألة، اجتمع بعض الأنصار في سقيفة بني ساعدة في يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واختاروا أحد زعماء الأنصار، وهو سعد بن عُبادة الخزرجي أميرًا وخليفة للمسلمين[١]، في بداية الأمر ظهرت المعارضة الأنصارية قوية متماسكة، لكنها سرعان ما انهارت تحت وطأة الصراعات الخزرجية الداخلية، والخزرجية الأوسية، وكان رأس هذه المعارضة الأمير الخزرجي سعد بن عبادة. فمن هو سعد، وما كانت مواقفه من البيعة، وما كانت مواقف جماعة الحكم منه؟

جاء في الإصابة، سعد بن عبادة: (سيد الخزرج، شهد العقبة، واختلف في شهوده بدرًا، فأثبته البخاري، وقال ابن سعد كان يتهيأ للخروج، فنهس فأقام)[٢].

قال ابن سعد: وكان يكتب بالعربية، ويحسن العلوم والرمي، فكان يقال له الكامل، وكان مشهورًا بالجود هو وأبوه وجده وولده.

كما رأينا، رفض سعد مبايعة أبي بكر فتركوه أيامًا، ثم بعث إليه أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس وبايع قومك، فقال: أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبل وأخضب سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل، وايم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أُعرض على ربي وأعلم ما حسابي[٣]، فلما أتي أبو بكر بذلك قال عمر: لا تدعه حتى يبايع.

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٣.
(٢) طبقات ٣/١٤٢.
(٣) انظر: تاريخ الطبري ٣/٤٥٦، كنز العمال ٣/١٣٤، ابن الأثير ٢/١٢٦، الإمامة والسياسة ١/١٠، السيرة الحلبية ٤/٣٩٧.

فقال له بشير بن سعد: إنه قد لج وأبى، وليس بمبايعكم حتى يقتل، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضاركم، إنما هو برجل واحد، فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصّلي بصلاتهم، ولا يجتمع معهم، ولا يحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم. فلم يزل كذلك حتى توفي أبو بكر ووَلِي عمر[1].

ولما ولي عمر الخلافة، لقيه في بعض طرق المدينة، فقال له: إيه يا سعد؟!

فقال له: إيه يا عمر؟!

فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟

قال سعد: نعم! أنا ذلك! وقد أفضى إليك هذا الأمر! كان والله صاحبك أحب إلينا منك، وقد أصبحتُ والله كارهًا لجوارك!

فقال عمر: من كره جوار جار تحول عنه!

فقال سعد: ما أنا غير مستسر بذلك، وأنا متحول إلى جوار من هو خير منك!

فلم يلبث قليلا حتى خرج إلى الشام في أول خلافة عمر[2].

وفي الشام -التي كانت وقتئذ تحت حكم عمر- وُجد سعد مقتولا، وقد اتفق كثير من كبار المؤرخين الإسلاميين على أن الجن قتلته!!!!![3].

لكن البلاذري يرفض رواية الجن السابقة، فيقول: إن سعد ابن عبادة لم يبايع أبا بكر وخرج إلى الشام، فبعث عمر رجلا، وقال: ادعه إلى البيعة واختل له، فإن أبى فاستعن بالله عليه!

فقدم الرجل الشام، فوجد سعدًا في حائط بحوارين إحدى قرى الشام، فدعاه إلى البيعة، فقال: لا أبايع قرشيًا أبدًا!

قال: فإني قاتلك!

---

(١) الرياض النضرة ١/١٦٨.

(٢) انظر: السيرة الحلبية ٣/٣٩٧، تاريخ ابن عساكر ٦/٩٠، طبقات ابن سعد ٣/ق٢/١٤٥، كنز العمال ٣/١٣٤.

(٣) انظر: العقد الفريد ٤/٢٥٩-٢٦٠، الرياض النضرة، الاستيعاب.

قال: وإن قاتلتني؟

قال: أفخارج أنت مما دخلت فيه الأمة؟!

قال: أما من البيعة فإني خارج!

فرماه بسهم، فقتله![1].

وفي تبصرة العوام: قيل أنهم أرسلوا محمد بن مسلمة الأنصاري فرماه بسهم، وإن خالدًا ابن الوليد كان في الشام يومذاك، فأعانه على ذلك[2]، قال ابن سعد[3] المعارض الأنصاري الشهير الآخر كان الحباب بن المنذر، وهو خزرجي شهد بدرًا، وإذا كان سعد بن عبادة قد دفع حياته ثمنًا لمعارضته، فإن الحباب ابن المنذر اختار أن يسالم، فاستسلم للضغوط، وبايع[4].

وهنا أيضا نص آخر يوضح دور المعارضة الأنصارية: (فقال الأنصار: لا نبايع إلا عليًّا، وقال الزبير: لا أغمد سيفاً حتى يُبايع علي، وانظم وانحاز في بيت عليٍّ وفاطمة: المقداد بن عمرو، وخالد بن سعيد، وسلمان الفارسي، وأبو ذرٍّ الغفاري، وعمَّار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبي بن كعب، وحذيفة بن اليمان، وابن التيهان، وعبادة بن الصامت[5]، كلُّهم يرفضون البيعة لابن أبي قحافة، للسبب الآنف ذكره..

إضافةً إلى ذلك فقد اعتصم جماعة من الأنصار في أحيائهم، فجاء عبدالرحمن بن عوف يعاتبهم على تخلُّفهم عن بيعة الخليفة، ويذكر لهم حقَّه بقرابته من رسول الله، وما شابه ذلك من الحجج التي يتشبَّثون بها من أجل إثبات حق أبي بكر بالخلافة، وأنَّه أولى بها من غيره، فردَّ عليه جماعة الأنصار: «إنَّ ممَّن سمَّيت من قريش، مَنْ إذا طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد: عليُّ بن أبي طالب»!

---

(١) أنساب الأشراف ١/٥٨٩.

(٢) المصدر السابق، ص٣٢.

(٣) طبقات ٣/١٠٩.

(٤) الإصابة للعسقلاني ط دار الجيل ٢/١٠-١١. راجع أيضاً: تاريخ الإسلام للذهبي ٢/٦٦، جمهرة ابن حزم ٣٥٩، أسد الغابة ١/٣٦٤.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٤، تاريخ أبي الفداء ٢/٦٣، ابن أبي الحديد ٢/٤٩، ٥٦ و٦/١١، وزاد في ١/٢٢٠ حذيفة وابن التيهان وعبادة بن الصامت، وتاريخ الطبري ٣/١٩٨، الكامل في التاريخ ٢/١٨٩، ١٩٤، تاريخ الخلفاء: ٥١ ولم يذكروا الأسماء.

هذا أحد المواقف ضد الإتجاه الذي نال خلافة رسول الله بالغلبة!

وموقف آخر يمكن أن نقتبس منه بعض الأقوال، كقول الفضل بن عبَّاس، الذي قام خطيباً وأجاد حيث قال: «يا معشر قريش: إنَّه ما حقَّت لكم الخلافة بالتمويه! ونحن أهلها دونكم وصاحبنا أولى بها منكم»[1]، ويقصد بصاحبنا عليَّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢-اعتراض أهل البيت وبعض الصحابة:

كان بنو هاشم منشغلين وحدهم تقريبًا[2] بغسل النبي وتجهيزه حين كان الصراع على أشده حول الخلافة بين بعض المهاجرين (القرشيين) وبعض الأنصار(الأوس والخزرج)[3] في سقيفة بني ساعدة ،وبعد مبايعة أبي بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزّفه إلى مسجد رسول الله (ص)، فصعد على المنبر فبايعه الناس حتى أمسى، وشغلوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء[4].

سمع العباس وعلي التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله (ص) فقال علي: ما هذا؟

قال العباس: ما رئي مثل هذا قط! أما قلت لك[5].

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم، وقال: يا معشر بني هاشم! بويع أبو بكر!

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدِثون حدثًا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد!

فقال العباس: فعلوها وربِّ الكعبة!

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٤.

(٢) الرياض النضرة ١/١٦٤، تاريخ الخميس ١/١٨٨، الموفقيات ٥٧٨.

(٣) كل من تغير وشارك في الإنقلاب من المهاجرين والأنصار ولم يتب إلى الله لا يصح تسميتهم بالمهاجرين والأنصار لأن الهجرة والنصرة أعمال إيمانية وقلبية تتغير بتغير صاحبها (فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)).

(٤) انظر: العقد الفريد ٤/٢٥٨، شرح النهج للمعتزلي ١/١٣٢، الموفقات ٥٧٧-٥٨٠.

(٥) الموفقيات ٥٨٠.

وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكّون أن عليًا هو صاحب الأمر بعد رسول الله، غضب رجال من المهاجرين من بيعة أبي بكر، منهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام[١] فدخلا بيت فاطمة ومعهما السلاح: لقد اجتمعوا على أن يبايعوا عليًا[٢]

ولمَّا كان اليوم الثاني، وبعد أن واروا جثمان النبي الطاهر، انحاز مع عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام بنو هاشم جميعاً، ومعهم طائفة من المهاجرين والأنصار، اعتقاداً منهم بحقِّ عليٍّ في الخلافة[٣].

بلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في بيت[٤] فاطمة بنت رسول الله[٥] وفيهم طلحة والزبير.

فبعث إليهم أبو بكر عمرَ بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم[٦]، أما عن علي، فقد قال أبو بكر لعمر ائتني به بأعنف العنف، فاقتحموا بيت عليٍّ عليه السلام.. وقد ثبت عن أبي بكر قوله، حين حضرته الوفاة: «وددت أنِّي لم أكشف عن بيت فاطمة، وتركته ولو أُغلق على حرب»[٧].

أتى قنفذ ـ رسول الخليفة الجديد ـ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال عليه السلام: «لَسريعَ ما كذَّبتم على رسول الله»!

فرجع فأبلغ أبا بكر قوله، فبكى أبو بكر طويلاً! فبعثه مرَّةً أُخرى بتحريض من عمر، فقال: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فقال عليه السلام بصوت مرتفع: «سبحان الله! لقد ادَّعى ما ليس له». فرجع قنفذ وأبلغه كلام عليٍّ فبكى أبو بكر طويلاً..

(١) تاريخ الخميس ٢/١٦٩، الرياض النضرة ١/٢١٨، شرح النهج للمعتزلي ١/٢١٣.
(٢) شرح النهج للمعتزلي ١/١٣٤، ابن شحنة بهامش الكامل (١١/١١٣) بلفظ: ((ومالوا مع علي بن أبي طالب)).
(٣) صحيح مسلم ـ الجهاد والسير ٣/١٣٨٠ ح٥٢، صحيح البخاري ـ باب غزوة خيبر ٥/٢٨٨ ح٤٥٦، الكامل في التاريخ ٢/٢٣١.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٦.
(٥) تاريخ الخميس١/١٨٨، الرياض النضرة ١/١٦٧، كنز العمال ٢/١٢٨، تاريخ الطبري ٢/٤٤٢-٤٤٦، عباس العقاد، عبقرية عمر ١٧٣.
(٦) تاريخ أبي الفداء ١/١٥٦، العقد الفريد ٣/٦٤.
(٧) الإمامة والسياسة ١/٢٤، تاريخ الطبري ٣/٤٣٠.

أمَّا عمر فتعجَّل الأمر، وأتى بيت عليٍّ مع جماعة وطرقه بشدَّة، فلمَّا سمعت فاطمة أصواتهم نادت: «يا أبتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطَّاب وابن أبي قحافة» ؟!

فانصرف القوم باكين لبكائها ومناجاتها أباها، إلا عمر لم يتصدَّع قلبه لبكاء ابنة رسول الله وبضعته، فبقي معه جماعة، فخرج عليهم الزبير مصلتًا بالسيف، فعثر، فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه، فأخذوه[1] وكان الزبير: يقول لا أحد أولى بهذا الأمر من علي بن أبي طالب[2]، وفي رواية أخرى؛ سأل عمر الزبير ما هذا السيف؟ قال: أعددته لأبايع عليًا! وكان المهاجرون والأنصار لا يشكُّون في عليٍّ عليه السلام[3].

حتى أخرجوا عليًّاً عليه السلام فمضوا به إلى أبي بكر، وعرضوا عليه البيعة فأجابهم بكلِّ ثبات وعزيمة: «أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي».

فقالوا: نضرب عنقك!!

فقال عليه السلام: «إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله»!

فقال عمر: أمَّا عبدالله فنعم، وأمَّا أخو رسوله فلا!

وأبو بكر ساكت! ثُمَّ قال عمر لأبي بكر: ألا تأمر فيه بأمرك ؟!

فأجابه الخليفة: لا أُكرهه على شيء مادامت فاطمة إلى جنبه!

فذهب عليٌّ عليه السلام إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يردد بصوت شجي: «يا ابن أمِّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»[4].

وهكذا وقع سريعاً تأويل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً.

قال الإمام علي: «إنَّ ممَّا عهد إليَّ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ الأُمَّة ستغدر بي بعده».

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٦.

(٢) الإمامة والسياسة ١/٥٧، العقد الفريد ٢/٢٧٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٤، شرح نهج البلاغة ٦/٢١ وغيرها.

(٤) انظر: شرح النهج ٢/٥٦، ٦/١١، الإمامة والسياسة: ١٢-١٣، تاريخ اليعقوبي-مختصراً-٢/١٢٦، الفتوح ابن أعثم ١/١٣، دار الكتب العلمية، ط١-١٤٠٦هـ.

وفي رواية أُخرى قال : «بينما كنَّا نمشي أنا ورسول الله آخذ بيدي.. فلمَّا خلا له الطريق اعتنقني ثُمَّ أجهش باكياً، قلت: يا رسول الله، ما يبكيك ؟ قال: ضغائن في صدور أقوام، لا يبدونها لك إلا من بعدي».

انطلق عمر وخالد بن الوليد إلى بيت فاطمة حتى هجموا على الدار[١].

وفي بعض الروايات كان في البيت ناس كثير منهم المقداد وجمهور من الهاشميين، فاخترط عمر السيف وضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخرجوا الزبير إلى خالد ومن معه، وكان معه جمع كثير[٢]، أرسلهم أبو بكر ردْءًا لعمر وخالد، وقيل أيضًا إن عمر جاء بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة، فقالت: يا ابن الخطاب! أجئت لتحرق دارنا؟![٣] (قال: نعم! أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة).

وفي رواية أخرى أن فاطمة تلقفت عمر على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب! أتراك محرقًا علي بابي؟! قال: نعم.

ويذكر عروة بن الزبير أن أرهِب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لتحريقهم[٤] إذا هم أبوا البيعة[٥] فيما سلف.

في واقع الأمر كان تهديد عمر للإمام عليًا بالإحراق وسيلة لإجباره على المبايعة، فقد قال عمر لعلي: والذي نفسي بيده لتَخرجن إلى البيعة أو لأُحرقن البيت عليكم[٦]، قم فبايع! فتلكأ علي واحتبس. فأخذ بيده، لكن عليًا لم يرضخ للتهديد. فعاد عمر، ليقول وقال: قم! فأبى، فحملوه ودفعوه إلى خالد كما دفعوا الزبير؛ وساقهما عمر ومن معه من الرجال سَوقًا عنيفًا، واجتمعت الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال؛ فلما رأت فاطمة ما صنع عمر صرخت وولولت، واجتمع

(١) شرح النهج للمعتزلي ٢/١٩.
(٢) شرح النهج للمعتزلي ٢/١٩.
(٣) تاريخ أبي الفداء ١/١٥٦، العقد الفريد ٣/٦٤.
(٤) من أجل تهديد عمر علياً وفاطمة بالإحراق، انظر: تاريخ الطبري ٣/٢٠٢، الإمامة والسياسة ١/١٢، العقد الفريد ٤/٢٥٩، تاريخ أبي الفداء ١/١٥٦، تاريخ ابن شحنة بهامش الكامل ٧/١٦٤، أعلام النساء ٣/١٢٠٧.
(٥) مروج الذهب ٢/١٠٠، شرح النهج ٢/٤٨١.
(٦) العقد الفريد ٤/٣٣٥، شرح النهج ٣/٤١٥.

معها نساء كثيرات من الهاشميات وغيرهن، فخرجت إلى باب حجرتها، ونادت: يا أبا بكر! ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله[1].

ومحاولة إحراق بيت فاطمة الزهراء عليها السلام معروف تاريخيا حتى أن الشعراء تحدثوا بهذا وأصبح جزء من الأدب والشعر الذي يتناقله الناس عبر العصور، فهذا شاعر مصر الكبير شاعر النيل حافظ إبراهيم يقول في قصيدته العمرية والتي غالى فيها في مدح عمر حتى ليخالك أنه يتحدث عن أحد الأنبياء ولكنه فضح الصحابي عمر من حيث لا يشعر عندما كشف محاولة عمر إحراق دارها فكان في بيته الشعري هذه الأبيات :

وقولة لعلي قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقت دارك لا أبقي عليك بها ... إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها

٣-دور العباس، ومحاولة الحكم كسر تحالف جبهة الحق:

بدا تماسك بني هاشم مع الإمام علي كأنه يشكل عقبة فعلية في وجه خلافة أبي بكر، فما كان من الخليفة إلا أن راح يستفسر عن وسيلة يكسر بها هذا التحالف. هنا، قال له المغيرة بن شعبة الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الأمر نصيبًا يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية علي بن أبي طالب وتكون لكما (أبو بكر وعمر) حجة على علي إذا مال معكم[2].

فانطلق أبو بكر وعمر والمغيرة حتى دخلوا على العباس ليلا، فقال له أبو بكر: إن الله بعث لكم محمدا نبيا، وللمؤمنين وليا، حتى اختار له ما عنده، وترك للناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصلحتهم متفقين لا مختلفين، فاختاروني عليهم واليًا؛ وما أنفكُّ يبلغني عن طاعن بقول الخلاف على عامة المسلمين يتخذكم لجأ، ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبًا يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك! على رسلكم يا بني هاشم! فان رسول الله منا ومنكم[3].

---

(١) شرح النهج ٢/١٩.

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢/١٤٢-١٥٢، الإمامة والسياسة ١/١٤.

(٣) انظر: تاريخ اليعقوبي والإمامة والسياسة

مقابل محاولة الرشوة الاسترضائية السابقة قال عمر بحزم -ضمن إطار لعبة الحمائم والصقور-: إنا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كرهًا أن يكون الطعن فيما أجمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لأنفسكم[1].

أجاب العباس: إن كنتَ برسول الله طلبت فحقَّنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين أخذت فنحن منهم. ما أبعد قولك من أن طعنوا عليك من قولك: إنهم اختاروك ومالوا إليك؛ وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلى على الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك. فأما ما قلت إنك تجعله لي، فإن كان حقًا للمؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، (أو: فإن يكن حقًا لك فلا حاجة لنا فيه)، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلى رسلكم؛ فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها[2]. فخرجوا من عنده.

٤- دور فاطمة الزهراء:

ما كاد ينتهي هجوم الحكم على بيت فاطمة بنت النبي رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ومحاولتهم إحراقه، حتى تفجرت أزمات جديدة، ساهمت في تعميق الهوة بين الزهراء والحكم. ولعب أبو بكر الدور الأبرز في خلق تلك الهوة، عن طريق خلق مصاعب أمام أهل البيت ومن وقف معهم من الصحابة لدفعهم في النهاية إلى مبايعته.

فعلى سبيل المثال، اختار أبو بكر بعد وفاة النبي، أن يُسقط سهم الرسول وسهم بني هاشم من الخمس[3]، وكان النبي يخص نفسه بسهم من الخمس، ويخص أقاربه من بني هاشم بسهم آخر منه، ولم يعهد بتغيير ذلك حتى توفي[4] اعتمادًا على

(١) انظر: تاريخ اليعقوبي والإمامة والسياسة

(٢) انظر: تاريخ اليعقوبي والإمامة والسياسة.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ٨/١٠، فتح القدير ٢/٢٩٥، تفسير الطبري ٦/١٠، الدر المنثور ٣/١٨٧، الكشاف ٢/١٥١، سنن النسائي كتاب الفيء باب ١ ج٧/١٢١، شرح النهج للمعتزلي ١٦/٢٣٠، مقدمة مرآة العقول ١/١٤٤.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/٨٢، الأحكام السلطانية لأبي يعلي ١٨١-١٨٥، الأحكام السلطانية للماوردي ١٦٨-١٧١، مقدمة مرآة العقول ١/١١٣، أحكم القرآن للجصاص ٣/٦٠، الأموال لأبي عبيد ٣٢٥، تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ج١٠، تاريخ الطبري ٣/١٩، سنن النسائي كتاب الفيء باب ١ ج٧/١٢٠-١٢٢، الكشاف للزمخشري ٢/١٥٨، تفسير القرطبي ٨/١٠، فتح القدير للشوكاني ٢/٢٩٥، تفسير الطبري ١٠/٤-٥ و٧، الدر المنثور ٣/١٨٥-١٨٦، تفسير المنار ١٠/١٥ و١٦.

الآية الكريمة ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١].

مثال آخر: هو فدك، وفدك أرض كانت ملكًا للنبي[١] صلى الله عليه وآله وسلم.

ولما مات رسول الله (ص) ادعت فاطمة عليه السلام أنه كان ينحلها فدكًا؛ فقال لها أبو بكر: أنتِ أعز الناس عليَّ فقرًا، وأحبهم إلي غنى، ولكني لا أعرف صحة قولك، فلا يجوز أن أحكم لك! فشهدت لها أم أيمن ومولى لرسول الله فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع، فلم يكن[٢]. ورغم أن ألفاظ هذه الرواية فيها محاباة لأبي بكر لكن ما يهمنا هو إثبات الحدث التاريخي.

أما المولى الذي تهيب الرازي عن ذكر اسمه، فهو علي بن أبي طالب[٣].

مثال ثالث: مطالبة فاطمة بحصتها من خيبر وإرثها مما أفاء الله على رسول الله في المدينة. فرفض أبو بكر ذلك محتجًا بحديث نبوي يقول إن الأنبياء لا يورثون، ما تركوه صدقة[٤]. لكن الزهراء احتجت عليه بآية قرآنية تقول عن لسان زكريا في حديثه عن ابنه يحيى «﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٥ - ٦]»).

موقف فاطمة عليها السلام من البيعة:

اجتمعت أمور كثيرة، أثارت سخط الزهراء، ثمَّ جاء عمر وأبو بكر إليها يلتمسان رضاها فقالت لهما: «نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي فقد أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني!؟» فقالا: نعم، سمعناه من رسول الله.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ٢/٣٥٣، شرح النهج ١٦/٢١٠، تاريخ الطبري ٢/٢٠، الكامل في التاريخ ٢/٢٢٤، معجم البلدان ٤/٢٣٨-٢٤٠، وفاء الوفاء ٣/٩٩٧ و٩٩٨، فتوح البلدان للبلاذري ٤٢، ٤٣، سنن أبي داود ٢/٤٧، الأموال ٩، الاكتفاء ٢/٢٥٩، شواهد التنزيل ١/٣٣٨ و٤٤٣، المغازلي للواقدي ٧٠٦، الأحكام السلطانية لأبي يعلي ١٨٥، الأحكام السلطانية للماوردي ١٧٠.

(٢) تفسير الفخر للرازي ٢٩/٢٨٤.

(٣) انظر: السمهودي، وفاء الوفاء ٣/٩٩٩ ط مصر، تحقيق محمد محيي الدين.

(٤) البخاري ٣/٣٧، مسلم ٢/٧٢، مسند أحمد ١/٦.

فقالت: «فإنِّي أُشهد الله وملائكته أنَّكما أسخطتماني، وما أرضيتماني، ولئن لقيتُ النبيَّ لأشكونَّكما إليه»[1][2].

فمازالت غضبَى عليهما حتى توفِّيت[3].

وعن ابن قتيبة قال: وخرج عليٌّ -كرَّم الله وجهه- يحمل فاطمة بنت رسول الله على دابَّة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة. فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنَّ زوجك وابن عمِّك سبق إليها قبل أبي بكر ما عدلنا به.

فيقول عليٌّ كرَّم الله وجهه: «أفكنت أدعُ رسول الله في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه»؟!

فقالت فاطمة: «ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»[4].

أمَّا عليٌّ، فقد خاصمهم بقوله: «الله الله يا معشر المهاجرين، لاتُخرجوا سلطان محمَّد عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم، ولاتدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقِّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحنُ أحقُّ الناس به، لأنَّا أهل البيت، ونحنُ أحقُّ بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعيَّة، القاسم بينهم بالسويَّة، ووالله إنَّه لفينا، فلا تتَّبعوا الهوى فتضلُّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقِّ بُعداً».

فلمَّا سمعوا منه هذا الكلام قال بشير بن سعد الأنصاري -الذي أقرَّ بنود السقيفة-: لو كان هذا الكلام سِمِعَتْه الأنصارُ منك قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان[5].

(١) المستدرك ٣/ ١٤٠، ابن عساكر ٣/ ١٤٨ ح١١٦٤ - ١١٦٨، تذكرة الحفَّاظ ٣/ ٩٩٥، ابن أبي الحديد ٦/ ٤٥، كنز العمَّال ١١ ح٣٢٩٩٧، الخصائص الكبرى ٢/ ٢٣٥.

(٢) الإمامة والسياسة ١/ ١٤.

(٣) مستدرك الحاكم ٣ ح١٣٩، ابن أبي الحديد ٤/ ١٠٧، مجمع الزوائد ٩/ ١١٨، كنز العمَّال. ١٧٦١٣ ح٤٦٥٣٣، صحيح البخاري ٥/ ٢٨٨ ح٢٥٦، صحيح مسلم ٣/ ١٣٨ ح٥٢.

(٤) الإمامة والسياسة ١/ ١٢ وكذا شرح النهج ٢/ ٤٧.

(٥) الإمامة والسياسة: ١٢.

وأنشد عليه السلام معرِّضاً بأبي بكر:

فإن كنتَ بالشورى ملكتَ أمورَهم فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ

وإن كنتَ بالقُربى حججتَ خصيمهم فغيرُك أولى بالنبيِّ وأقربُ[1]

ولمَّا بلغه عليه السلام احتجاج قريش بأنَّهم قوم النبيِّ وأولى الناس به، قال: «احتجُّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة»[2].

لقد عانى الإمام علي معاناة شديدة، بداية من معاناة فراق الأحبة ورفاق الدرب وأولهم رسول الله، الذي فاضت نفسه الشريفة في حجر الإمام، وواراه الثرى بنفسه، وعايش مأساة فراقه بكل أبعادها، وها هو يخاطب رسول الله وهو يلي غسله وتجهيزه بكلمات حزينة تدمي القلب وتزرع الأسى: «بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالأَنْبَاءِ وأَخْبَارِ السَّماءِ، خَصَصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَمْتَ حَتّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَواءً، وَلَوْلاَ أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا[3] عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ[4]، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا[5]، وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا[6]، وَقَلاً لَكَ[7]! وَلكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!»[8].

وإذا أعدنا إلى الأذهان ما يحظى به رسول الله من حب وتعظيم في نفس أمير المؤمنين، لأدركنا حجم الأسى الذي صُبَّ على الإمام بفقده رسول الله، فعلي قد حظي بتربية الرسول ورعايته وإعداده ومصاحبته منذ الصبا حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا الدنيا.

---

(١) نهج البلاغة: ٥٠٣ ح١٩٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة الثالثة بتصرف.

(٣) لأنفدنا: أي لأفنينا.

(٤) الشؤون: منابع الدمع من الرأس.

(٥) لكان الداء مماطلاً: مماطلاً بالشفاء.

(٦) الكَمَد: الحزن، ومحالفته: ملازمته.

(٧) قلاّ: فعل ماض متصل بألف التثنية، أي مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك.

(٨) نهج البلاغة ١/ ٣٥٥.

ولقد كانت تلك التربية وتلك الأخوة بينهما مليئة بضروب الود والحنان والوفاء والإخلاص مما ليس له نظير.

وتستمر معاناة الإمام:

لم يكد الإمام علي يمسح دموع الحزن والأسى على فراقه لرسول الرحمة والخير، ولم يكد ينفض التراب العالق بيديه بعد مواراة الرسول في مثواه الأخير، حتى فوجئ بالمؤامرة التي عصفت بالأمة فـ «كان يتألم عندما يرى أن تلك الجهود التي بذلها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبذلها هو تحت لوائه -في مكة وفي المدينة في معارك الإسلام- كلَّها معرضة لأن تصير هباء منثورًا تحت أقدام وعلى أيدي من لم يكونوا يجرؤون في يوم من الأيام أن ينزلوا إلى ساحات الوغى لمواجهة أعداء الله.

لقد كان الإمام علي عليه السلام يخوض غمار الموت ويقتحم الصفوف؛ في بدر، في أحد، في كل معارك الإسلام، بينما كان أولئك يجلسون جانبًا، وَلَيْتَهم جلسوا جانبًا من بعد ممات الرسول! لقد كانوا في أثناء احتدام مواجهة الكفر يجلسون جانبًا، وعندما نزل إلى قبره -بل من قبل وهو لا يزال على فراش الموت- بدؤوا يتحركون وينزلون إلى ساحة هذه الأمة؛ لينحرفوا بها عن نهج محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي من أجله كان يقتحم ساحات الوغى، يقتحم الصفوف، وهو يواجه المشركين ويواجه الرومان، ويواجه اليهود، ويواجه كل أصناف أعداء الإسلام!

هناك عبارة قالها أحد العلماء بالنسبة لعلي عليه السلام: «لو كانت الأمور تُقاس بمقاييس الدنيا لما رأينا أحدًا يُعدُّ مظلومًا أكثر مما حصل على علي من الظلم» يجاهد، يعاني، يتعب في سبيل دين هو يعلم أنه دين عظيم، وفي خير هذه الأمة، وفي مصلحة هذه الأمة، وفي عزة هذه الأمة، ثم يرى أيادي تعبث بهذا الدين.

لقد اتجه الإمام علي عليه السلام إلى تلك الأمة نفسها التي من أجلها جاهد، ومن أجلها عانى، ومن أجل عزتها تعب، يحاول أن يحركها قبل أن يَعْظُم الخَطْب، في مرحلةٍ كان يمكن أن يتلافى فيها ما حصل، لم يحصل له استجابة، حرّك الزهراء ‹صلوات الله عليها›، حرك الجانب العاطفي، ماذا عمل أولئك عندما خطبت فيهم الزهراء؟. بكوا وقالوا: إن خطوتها ما تَخْرُم خطوة رسول الله، تذكروا رسول الله ﷺ

في خطوة فاطمة، وخُطَا فاطمة، ومنطق فاطمة، ولم يتذكروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما ذكرتهم به فاطمة!.

بكوا لغياب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبكوا لغياب دينه، لم يبكوا لغياب الدين الذي كان الرسول مستعدًّا من أجله أن يُقتل، وواجه المخاطر الشديدة من أجل هذا الدين.

فكيف لا يتألم الإمام علي عليه السلام، وكيف لا يرى نفسه مظلومًا وهو يرى الأمور تسير على هذا النحو الذي يضيع كل الجهود التي بذلها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكل الجهود التي بذلها هو وبذلها عظماء آخرون من خيار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"[1].

لقد كان مما خاطب به الناس في تلك المرحلة الحرجة قوله:

«أَيُّها النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ المُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ المُفَاخَرَةِ. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ. هَذَا مَاءٌ آجِنٌ[2]، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا[3] كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ. فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى المُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ[4] مِنَ المَوْتِ! هَيْهَاتَ[5] بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي[6]! وَاللهِ لاَبْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بالمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ[7] عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ[8] فِي الطَّوِيِّ[9] البَعِيدَةِ!»[10].

يقول الدكتور سعيد عاشور أستاذ التاريخ بجامعة الكويت وهو يتحدث عن

(١) ملزمة ذكرى استشهاد الإمام علي× للشهيد القائد.
(٢) الآجِنُ: المتغير الطعم واللون، لا يستساغ، والإشارة إلى الخلافة.
(٣) إينَاعُها: نضجها وإدراك ثمرها.
(٤) جَزِعَ: خاف.
(٥) هَيْهات: اسم فعل ماض بمعنى بَعُدَ، والمراد نفي ما عساهم يظنون من جَزَعه من الموت عند سكوته.
(٦) بَعْدَ اللَّتَيَا والتي: بعد الشدائد كبارها وصغارها.
(٧) اندَمَجْتُ: انطَوَيْتُ.
(٨) الأَرْشِيَة: جمع رِشاء بمعنى الحبل.
(٩) الطَّوِيّ: جمع طويّة وهي البئر، والبئر البعيدة: العميقة.
(١٠) نهج البلاغة ١/ ٥٢.

صور التشويه في التاريخ الإسلامي وعند ذكره هذه الحقيقة التاريخية يقول:

"أين كان الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في ذلك الوقت؟ أين كان؟ كان مشغولًا بتجهيز الرسول ودفنه، وهناك تبدو فكرة السمو، السمو الخُلُقي، فكرة النزاهة، النزاهة وعدم التكالب وراء الحكم أو الجري وراء منصب، كيف يترك جثمان الرسول ويجري ليجتمع مع المجتمعين ليطلب لنفسه شيئًا؟! هنا الخلق هنا المتانة، كان ينبغي أن يقف المؤرخ وقفةً عند هذه المسألة، عند هذه النقطة بالذات؛ فإذًا لم يكن هناك تفريط من الإمام علي -رضي الله عنه- بأي حال من الأحوال، ولكن كان هناك ما هو أهم، ما هو أسمى، الصلة التي تربطه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الوقت الذي انصرف فيه المنصرفون وتناقشوا وتحادوا واختلفوا حول الخلافة، وعن مقربةٍ منهم جثمان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، شُغِلَ عليٌّ بن أبي طالب بتجهيزه ودفنه؛ إذًا لم يكن هناك تفريط من الإمام علي في المطالبة بحقه في الخلافة، وإذا كان الإمام علي -رضي الله عنه وكرم وجهه- قد طالب بالخلافة فينبغي أن ينزه من أنه كان يجري وراء متاع، لو كان يجري وراء متاع لانصرف من أول الأمر وكان أسبق السابقين إلى السقيفة إلى سقيفة بني ساعدة ليرفع صوته مع من رفعوا أصواتهم"[1].

وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام

توالت النكبات على علي وفاطمة عليهما السلام، ويبدو أن توالي النكبات على فاطمة الزهراء عليها السلام سارع في وفاتها، فقد ألمّتْ بالزهراء -سيدة نساء العالمين- العلةُ التي توفيت على إثرها، فلحقت بالراحل العظيم أبيها، حيث كان الإمام عليه السلام طوال فترة المرض الذي عانت منه فاطمة عليها السلام يعايش ما تعاني ملْء كِيانه؛ فهي وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي الصابرة المحتسبة، وهي بعد ذلك زوجته الوفية التي عايشت معه آماله وآلامه طوال حياتها.

(١) سعيد عاشور، محاضرة قيمة، دار العالم الإسلامي، بيروت، لبنان، ص١٧-١٩. (أحمد محمد الهادي، التاريخ الإسلامي ٩/١).

وأوصت -سلام الله عليها- قبيل وفاتها ألَّا يحضر جنازتها ولا الصلاة عليها أبو بكر ولا عمر، وشددت على الإمام علي بأن ينفّذ وصيتَها؛ وذكر في بعض الكتب، فلم تعش بعد أبيها غير ستة أشهر، قضتها مخاصمة لأبي بكر، فلم تكلمه حتى ماتت، ولما ماتت، دفنها زوجها علي ليلا وصّلى عليها، ولم يؤذن بها أبا بكر[1].

كان هذا القرار الذي اتخذته فاطمة عليها السلام حكيما فقد أرادت أن توصل رسالة عبر مراحل التاريخ أن هناك انحرافا حصل في تاريخ هذه الأمة، وسيثير تساؤلا مستمرا عن سبب ذلك، ويوصل إلى معرفة الانحراف وجذوره الضاربة في تاريخ هذه الأمة.

فخرج علي عليه السلام مع عمار ومجموعة خاصة من أوليائه، ليدفنوها في الليل ويعملوا عدة قبور ليعمّوا حتى قبرها عنهم.

وفاطمة هي كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "هي سيدة نساء العالمين"، "فاطمة بضعة مني يُرِيبُني ما رابها، يؤذيني ما يؤذيها، يغضبني ما يغضبها، من آذاها فقد آذاني، من أغضبها فقد أغضبني" على اختلاف ألفاظ الحديث أو تعدد رواياته[2].

الإمام علي -سلام الله عليه- يرى ويشاهد هذه الزوجة الوفية بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تُقتل كَمَدًا وقهرًا وهي ترى هذا الدين يُعصف به من أول يوم بعد وفاة والدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيزداد ألمه وحزنه.

لم تبك السيدة فاطمة عليها السلام وتتألم على مصادرتهم لما نحلها أبوها من أراض واسعة في (فَدَك) كما يصور البعض، صحيح بأن (فدك) قضية تؤلمها لكن لم تبك عليها، ولم تمت كمدًا على فدك، إنما ماتت كمدًا وحزنًا على هذه الأمة.

رأى الإمام عليه السلام الزهراء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تعايش مرارة الأسى على ما حصل من ضياع لدين أبيها، ثم وهي تستسلم لفراش المرض فيشحب لونها وتتردى أوضاعها الصحية يومًا بعد يوم، ثم يراها وهي تفارق الدنيا،

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٦٧، وانظر: الإمامة والسياسة: ١١، وانظر صحيح البخاري.
(٢) البخاري، ج ٥ / ص ٢٦، باب مناقب فاطمة، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

فيباشر تغسيلها وتجهيزها عليها السلام ثم يقف على شفير قبرها مودِّعًا، ولا ينسى أن يحملها رسالة إلى أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعبارات تكشف عن ألمه وحزنه، شاكيًا إلى أخيه ومربيه ومعلمه رسول الله ما ألَمَّ به وما يعانيه قائلًا:

"السَّلامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ! قَلَّ يَا رَسُولَ اللهِ، عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ لِي فِي التَّأَسِّي[1] بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ[2] مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ[3]، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ[4]، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ.

(إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)، فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ! أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[5]، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ (بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا)[6]، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ[7]، وَاسْتَخْبِرْهَا الحَالَ، هذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

وَالْسَّلامُ عَلَيْكُمَا سَلامَ مُوَدِّعٍ، لاَ قَالٍ[8] وَلَا سَئِمٍ[9]، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَة، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ".

موقف المجتمع في مكة والمدينة

وبعد أن بويع لأبي بكر بالخلافة، تميَّز في مجتمع المدينة ومكَّة -عن سائر الناس- فريقان:

الفريق الأول: فريق أظهر كلَّ ما كان يخفيه من نفاق وسعى إلى إثارة الفتنة، يقابله فريق آخر لم يظهر الحقَّ بكلِّ ما يملك من قدرة..

(١) يريد بالتأسي: الاعتبار بالمثال المتقدم.
(٢) الفادح: المثقِل.
(٣) التعزّي: التصبر.
(٤) مَلْحُودة القبر: الجهة المشقوقة منه.
(٥) مُسَهَّد: أي ينقضي بالسهاد وهو السهر.
(٦) هَضْمها: ظلمها.
(٧) إحْفَاء السؤال: الاستقصاء فيه.
(٨) القالي: المبغض.
(٩) السئم: من السآمة وهي الضجر.

فأمَّا الفريق الأول: فهم الكائدون للإسلام، أولهم وعلى رأسهم أبو سفيان الذي قدم على أمير المؤمنين يحرِّضه على مناجزة القوم الذين كانوا مع أبي بكر، فيقول للإمام علي عليه السلام: والله لئن شئت لأملأنَّها عليه خيلاً ورَجِلاً. فردَّه عليه السلام بقوله: "والله إنَّك ما أردت بهذه إلا الفتنة، وإنَّك والله طالما بغيت للإسلام شرَّاً، لا حاجة لنا في نصيحتك"[1].

ومن هذا القسم أيضاً مسلمو الفتح: -الطلقاء والمؤلَّفة قلوبهم- وكان في طليعتهم: سهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، سعوا في الفتنة أيضاً، يحرِّضون قريشاً على الأنصار لهتافهم باسم عليٍّ، يريدون إلزامهم بتجديد البيعة وإلا فليقتلوهم!

وظهر أبو سفيان مرَّة أُخرى قائلاً: يا معشر قريش، إنَّه ليس للأنصار أن يتفضَّلوا على الناس، حتى يُقرُّوا بفضلنا عليهم.. وايم الله لئن بطروا المعيشة، وكفروا النعمة، لنضربنّهم على الإسلام كما ضربونا عليه!

هؤلاء هم الذين طالما كادوا للإسلام وحاربوه بسيوفهم عشرين عاماً أو تزيد ولم يدخلوا الإسلام إلا نفاقا واستسلاما، فلمَّا لم يجدوا بُدَّاً من الكيد بأيديهم كادوه بألسنتهم.

وما أجمل قول حسَّان بن ثابت:

تنادى سهيلٌ، وابن حربٍ وحارثٌ ... وعكرمة الشاني لنا ابنُ أبي جهلِ
أولئك رهطٌ من قريشٍ تبايعوا ... على خطَّةٍ ليست من الخططِ الفضلِ
وكلُّهم ثانٍ عن الحقِّ عطفه ... يقول اقتلوا الأنصار، يا بئس مِن فِعْلِ
وأعجب منهم، قابلوا ذاك منهم ... كأنَّا اشتملنا من قريش على ذحلِ[2]

أمَّا الفريق الآخر: فهم المناصرون لعليٍّ، الداعون إلى حقِّه بالإمامة، ويلحق بهذه الطائفة المهاجرون والأنصار الذين مالوا عن مبايعة أبي بكر، حيث كانوا لا يشكُّون أنَّ الأمر صائر إلى عليٍّ، وكان شعارهم الذي رفعوه بأصواتهم: "لا نبايع إلا عليَّاً"، ومنهم: عتبة بن أبي لهب بن عبدالمطلب الذي أنشد يقول:

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٦٢.
(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٩، الكامل في التاريخ ٢/ ١٨٩.

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الأمرَ منصرفٌ ... عن هاشمٍ، ثُمَّ منها عن أبي الحسنِ
عن أوَّل الناس إيماناً وسابقةً ... وأعلمِ الناس بالقرآنِ والسُننِ
وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومَنْ ... جبريلُ عونٌ له في الغسل والكفن
مَنْ فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسنِ[1]

ومنهم: المقداد وعمَّار وسلمان وأبو ذرٍّ وحذيفة بن اليمان وخالد بن سعيد بن العاص وأبو أيوب الأنصاري، وسائر بني هاشم.

ولا ننسى موقف الحسن السبط من أبي بكر، حين رآه يرقى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو مايزال في الثامنة من عمره، يناديه: «انزل عن منبر أبي، واذهب الى منبر أبيك»[2]!

ومنهم: ابن عباس في حديثه مع عمر، حين سأله عمر عن عليٍّ عليه السلام، فقال: أيزعمُ أنَّ رسول الله نصَّ عليه ؟!

قال ابن عباس: نعم، وأزيدك: سألت أبي عن ذلك، فقال: صدق[3]، وغيرها من المواقف التي سنأتي عليها في موضع لاحق.

ومنهم: قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي، إذ ذكر -سعد بن عبادة- عليَّاً عليه السلام، فذكر من أمره نصَّاً بوجوب ولايته، فقال له ابنه: أنت سمعت من رسول الله يقول هذا الكلام في عليِّ بن أبي طالب، ثُمَّ تطلب الخلافة، ويقول أصحابك: منَّا أمير ومنكم أمير ؟! لا كلَّمتك والله من رأسي بعد هذا كلمةً أبداً[4].

وفيما وراء المدينة ومكة هناك قبائل من المسلمين، لم يرضوا بالبيعة لأبي بكر، فامتنعوا عن أداء الزكاة له، لا جحوداً بالزكاة، ولكن إنكاراً لزعامته[5]، فعزم أبو بكر على مقاتلتهم بحجَّة أنَّ هذا الأمر تعطيل لفريضة الزكاة التي أوجبها الله على

(١) الموفَّقيَّات للزبير بن بكَّار: ٥٨٥.
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٧/ ١٢٧.
(٣) شرح نهج البلاغة ١٢/ ٢١.
(٤) شرح نهج البلاغة ٦/ ٤٤.
(٥) وهؤلاء غير المرتدين الذين خرجوا من الإسلام كأتباع مسيلمة الكذاب وسجاح والأسود العنسي. اليعقوبي ٢/ ١٢٤، الموفَّقيَّات: ٥٨٠.

المسلمين، غاضّاً بصره عن السبب الأصلي الذي دعاهم إلى هذا الموقف الصلب، وهو اعتراضهم على الخلافة!

فمع أحد شيوخ كندة في حضرموت، الحارث بن سراقة يقول: «نحن إنَّما أطعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان حيَّاً، ولو قام رجل من أهل بيته لأطعناه، وأمَّا ابن أبي قحافة فلا والله، ما له في رقابنا طاعة ولا بيعة»!

ثمَّ أنشد أبياتاً، كان أوَّلها:

أطعنـا رسـول الله إذ كان بيننـا ... فيا عجبـاً ممَّـن يطيع أبـا بكرِ[1]

ومنهم: زعيم كندة الأشعث بن قيس، الذي أمر قومه بمنع الزكاة، وأن يلزموا بلادهم، ويتَّحدوا على كلمة واحدة، "فإنِّي أعلم أنَّ العرب لا تُقِرُّ بطاعة بني تيم بن مرَّة، وتدع سادات البطحاء من بني هاشم إلى غيرهم.."[2].

والأنكى من ذلك كان الأمر مع مالك بن نويرة، الذي استعمله رسول الله على صدقات قومه، فلمَّا نُعي له رسول الله قام بتوزيع الصدقات على فقراء قومه، ولم يبعثها إلى الخليفة الجديد..

وأنشد يقول:

فقلتُ خذوا أموالكـم غير خائفٍ ... ولا نظـرٍ فيمـا يجـيء مـن الغدِ
فـإن قـام بالديـن المُحـوَّق قائمٌ ... أطعنا، وقلنـا الدين ديـنُ محمَّدِ

إذن هؤلاء لم تطمئن قلوبهم للخليفة الجديد، هذه هي مشكلتهم التي من أجلها ارتكب خالد بن الوليد أبشع مجزرة في ظلِّ الخلافة الجديدة، فضرب أعناقهم صبراً، واحداً بعد الآخر، وارتكب أيضاً أقبح كبيرة، إذ واقع زوجة مالك في ليلة قتله[3].

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم ١/٥٨، معجم البلدان لياقوت الحموي، ((حضرموت)).
(٢) الفتوح ١/٥٩-٦٠.
(٣) الفتوح ١/٢١ - ٢٣، أُسد الغابة والإصابة ترجمة خالد بن نويرة، تاريخ اليعقوبي ٢/١٣١ - ١٣٢، سير أعلام النبلاء (سير الخلفاء الراشدين): ٤٣.

مواقف بني هاشم

كانت مواقف بني هاشم عمومًا تنم عن قناعتهم الراسخة بأن الخلافة لعلي عليه السلام، وأن أبا بكر أخذها منه عنوة، فكانت الزهراء تقول: "ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة؟ ألا ذلك الخسران المبين ما الذي نقموا من أبي الحسن؟ استبدلوا والله الذناب بالقوادم والعجز بالكاهل؟ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يعلمون"[1].

أما ابن عباس فكان يرى أن النبي أثناء مرضه الأخير أراد أن يصرح باسم علي خليفة له من بعده، لكن عمر منعه عن ذلك، ويبدو هذا واضحًا في قول ابن عباس لعمر (كان النبي يريع في أمره وقتًا، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه (علي) فمنعته من ذلك)[2].

كذلك كان عقبة بن أبي لهب يطالب بالخلافة للإمام علي بن أبي طالب[3].

لهذا لا نستغرب إذا وجدنا الحسن بن علي، يقول لأبي بكر، وهو على منبر النبي: "انزل عن مجلس أبي"، فيرد أبو بكر: صدقت والله! إنه مجلس أبيك[4].

ابن عباس في حواره مع عمر:

إن الملاحظ للتاريخ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيعرف أن هناك قصدًا في تجنب الأسرة الكريمة -وخاصة علي- من هذا الشأن الذي يخصه بالدرجة الأولى حيث لم تغرب شمس ذلك اليوم حتى أُبرم الأمر وتمت البيعة لأبى بكر خليفة المسلمين، وانتهت فصول السقيفة بهذا الحدث التاريخي، وأعقب الحدث أمر صارم من الخليفة أو مؤيديه بأن كل من لم يبايع فمصيره القتل.

وتوالت التبريرات لموقفهم، فقد ادعوا بأن النصوص التي وردت في الإمام علي

---

(١) بلاغات النساء لابن أبي طيفور ١٩/٢٠، أعلام النساء لعمر كحالة ٣/٢١٩، شرح النهج للمعتزلي ٤/٨٧.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ٣/١٤١، انظر أيضاً: تاريخ بغداد.

(٣) مختصر أبي الفداء ٢/٨.

(٤) انظر: الصواعق المحرقة لابن حجر ١٧٥، الإتحاف بحب الأشراف، الشبراوي ط الحلبي ص٧، الرسول الأعظم مع خلفائه ٣٥، شرح النهج ٢/١٧.

قد جُمدت للمصلحة العامة! فأي مصلحة عامة هذه تقف قبالة النص الشرعي وتتقدم عليه؟!

ولم تكن التبريرات التي ساقها القوم كافية مقنعة، وبقي السؤال يلتاع على الشفاه فترة ظامئًا إلى الجواب الشافي، حتى كان يوم أن اجتمع فيه عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس ودار بينهما الحديث التالي:

عمر: أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد؟

ابن عباس -وهو يكره أن يخوض في هذا الحديث مع الخليفة-: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني.

عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتتبجحوا[1] على قومكم بجحًا بجحًا، فاختارت قريش لنفسها فأصابت ووُفقت.

ابن عباس: أما قولك (فاختارت قريش لنفسها فأصابت ووفقت) فلو أن قريشًا اختارت لنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ومحسود، وأما قولك (إنهم كرهوا أن تكون النبوة لنا والخلافة) فإن الله عز وجل وصف قومًا بالكراهية فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾ [محمد: ٩]").

عمر: هيهات! والله يا بن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء وكنت أكره أن أخبرك عنها فتزيل منزلتك عندي.

ابن عباس: وما هي؟ فإن كانت حقًّا فما ينبغي أن تزول منزلتي منك، وإن كانت باطلًا فمثلي من أماط الباطل عن نفسه.

عمر: بلغني أنك تقول إنما حذفوها حسدًا وظلمًا.

ابن عباس: أما قولك (ظلمًا) فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك (حسدًا) فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

(١) تتبجحوا: أي تتفاخروا.

عمر: هيهات! أبت -واللهِ- قلوبكم يا بني هاشم إلا حسدًا ما يحول، وضغنًا وغشًّا ما يزول.

ابن عباس: مهلًا، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا بالحسد والغش، فإن قلب رسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم من بني هاشم.

عمر: إليك عني[١].

هذه المحاورة تكشف بوضوح الأسباب الرئيسية التي دعت القوم أن يصرفوها عن صاحبها الذي نص عليه رسول الله صاحب الرسالة كراهة أن تجتمع في بيت عبد المطلب النبوة والخلافة.

ويقول الإمام علي عليه السلام مصورًا ما حدث: "حتى إذا قبض رسوله رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل، واتكلوا على الولائج[٢] ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن رص أساسه، فبثوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة»[٣].

يقول عليه السلام مخاطبًا أحد عماله ومتحدثًا عن مظلوميته: "بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكَم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانها في غد جدث[٤] تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم"[٥].

"لقد استأثروا بالأمر، ونقلوه عن أهله ومعدنه، ووضعوه في غير محله وقد فاجؤُوا أهل البيت عليهم السلام والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، بصرف الأمر عنهم والاعتداء عليهم، وتركوهم يتجرعون الغصص ويتوسدون الأرق، وتساورهم

(١) تاريخ الطبري ٣١/٥، والكامل لابن الأثير ٣١/٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٥٧/٢.
(٢) الولائج: جمع وليجة، وهي بطانة الإنسان وخاصته.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤٨/٢.
(٤) الجدث: القبر.
(٥) نهج البلاغة، ٥٩٢.

السموم، فما أعظم رزيتهم! وما أشد محنتهم وبلاءهم!"[1].

وامتنع أمير المؤمنين عن البيعة، وأعلن سخطه البالغ مما حدث، وقدم الأدلة والاحتجاجات على أحقيته مع علمه أن محله من الخلافة محل القطب من الرحى دون جدوى...حتى لقد مورس في حقه وأهل بيته الحصار الاقتصادي مع العزل السياسي وتحمل الإمام عليه السلام كل ذلك بصبر وثبات وحكمة.

وكيفما كان فإن حوادث السقيفة انتهت، وحملت بين طياتها سحابة قاتمة ومأساة مفجعة، ونيرانًا تستعر لهبًا مزقت المسلمين وشوشت الصورة الواضحة للإسلام، وعلى كلٍّ فقد اقتضت الحكمة أن يصبر الإمام -كما قال- على طخية عمياء.

(١) حياة الإمام الحسن ١/ ١٢٧.

الإمام علي بن أبي طالب: الثابت والمتحولات

كان الإمام علي بن أبي طالب يذكر الآخرين بخطورة الانحراف عن توجيهات الرسول في موضوع ولاية الأمر، ويورد لهم نصوصا لعلهم يتذكرون ويتراجعون عن موقفهم، من تلك النصوص الشهيرة نص يوم الإنذار في دار أبي طالب، حين دعا النبي عشيرته الأقربين، «﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]") وانتهى بأن أخذ بيد علي، وكان صبيًا صغيرًا، وقال: "هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا"[١]، كذلك تذكر مصادر عديدة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: "لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي"[٢]، وحديث الولاية، وغيرها من الأدلة من هنا كان رفض علي الواضح لخلافة أبي بكر، فحين جاؤوا إليه وقالوا له بايع! قال: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي؛ أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأنصفونا -إن كنتم تخافون الله- من أنفسكم، واعرفوا لنا الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكًا حتى تبايع[٣].

يبدو أن عليًا كان يفهم سبب إصرار عمر على المبايعة، فقد قال علي عليه السلام لعمر: احلب حلبًا لك شطره، والله ما حرصك على إمارته إلا ليؤثرك غدًا[٤]. وفي نص آخر: احلب ياعمر حلبًا لك شطره؛ اشدد له اليوم ليرد عليك غدًا. لا والله لا أقبل قولك ولا أتابعه!

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٢/٣١٩-٣٢١، الكامل لابن الأثير ٢/٦٢ و٦٣، شرح النهج للمعتزلي ١٣/١٢٠ و٢٤٤، السيرة الحلبية ١/٣١١، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥/٤١ و٤٢، شواهد التنزيل للحسكاني ١/٣٧١، كنز العمال ٦/٣٩٢، تاريخ ابن عساكر ١/٨٥، حياة محمد حسنين هيكل ١٠٤ ط عام ١٣٥٣هـ، تفسير الخازن ٣/٣٧١ و٣٩٠، التفسير المنير للجاوي ٢/١١٨، تفسير الطبري ١٩/١٢١.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١/١٨٣، أنساب الأشراف ٢/١٠٦، مستدرك الصحيحين ٢/١٣٢، مسند ابن حنبل ٥/٢٥، الإصابة للعسقلاني ٢/٥٠٩.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ٢/٢.

(٤) أنساب الأشراف ١/٥٨٧.

وانصرف علي إلى منزله ولم يبايع[١]، لكن يبدو أن الرياح كانت تسير بعكس ما يشتهي علي. وتخبرنا بعض المصادر، مثلا، أن جماعة اجتمعت إلى علي بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة، فقال لهم: اغدوا علي محلّقين الرؤوس فلم يغد إلا ثلاثة نفر[٢].

وهكذا نلاحظ أسلوب الترغيب -مثل ما كان مع العباس- والترهيب -مثل ما كان مع سعد بن عبادة- الذي استخدمته جماعة الحكم، كان له دوره الأبرز في استمالة الناس وبالتالي تقاعسهم عن نصرة الإمام علي عليه السلام، وهو أسلوب استخدم كثيرا بغرض فرض استقرار الحكم لأبي بكر في المدينة، فعلى سبيل المثال رفض خالد بن سعيد بن العاص مبايعة أبي بكر، وانحاز إلى علي عليه السلام، لكنه خضع بعد ذلك بفعل الضغوط وبايع، فقد بعث أبو بكر الجنود إلى الشام وكان أول من استعمل على ربع منها خالد بن سعيد، لكن عمر أخذ يقول: أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال؟! فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وأمّر يزيد بن أبي سفيان[٣].

وفي الأخير

بعد أن بذل الإمام علي عليه السلام كل جهوده لمواجهة الانحراف بدء بالتوعية والتذكير بخطورة مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم بطلبه النصرة لمواجهة الانقلاب فلم يجد الناصر وحتى باستخدام الأسلوب العاطفي، كل محاولات الإمام علي عليه السلام لم تنجح في مواجهة الانقلاب وفي توعية الجماهير فلم يبق للإمام علي إلا الخطوة الأخيرة وهي أن يتركهم يذوقوا وبال أمرهم لأن عليه ما حمل وعليهم ما حملوا، فالتجربة خير برهان، وعند التجربة سيدرك الكثير حجم التفريط الذي ارتكبوه وعسى أن تحين الفرصة لإعادة الحق واستعادته.

(١) شرح النهج للمعتزلي ٢/٢-٥.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٦، شرح النهج للمعتزلي ٢/٤.
(٣) تاريخ الطبري ط أوروبا ١/٢٠٧٩، تهذيب ابن عساكر ٥/٥١.

مناقشة إضافية لنصوص السقيفة وبعض نتائجها

- بيعة أبي بكر كانت فلتة:

وهكذا تمت عملية الاستيلاء على السلطة التي تم التخطيط لها من قبل، مستغلين انشغال الإمام علي والمخلصين من أصحاب رسول الله في تغسيل وإعداد الجثمان الطاهر لمواراته الثرى، ففيما كان الإمام علي ومن يعرفون عظمة رسول الله منشغلين بوداع رسول الله كان هناك في سقيفة بني ساعدة من يُعِدُّ نفسه ليحكم المسلمين، وتمت لهم العملية بالتضليل والإرهاب، وبالتعاون مع مرضى النفوس من الطلقاء ونحوهم، ولقد اعترف عمر نفسه بذلك حين قال: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة،[1] يعني هكذا (تلَجَّمَتْ ومشت)، يعني لم يكن هو المؤمل فيه، ولا المتوقع لمثله هو أن تستقيم له المسألة، وكان المتوقع أن يأتي اضطراب كبير، وكان المتوقع أن يأتي أشياء كثيرة.

(فَلْتة لكن وقى الله شرها) كما قال عمر!! هذا يدل على أن أبا بكر نفسه لم يكن هو الشخص المؤهل لأن يلي أمر الأمة؛ لأن عمر نفسه وأبو بكر نفسه كانا متخوفَيْنِ ألَّا تتم المسألة، ولكن سيجربون فربما تمضي المسألة من خلال إدراكهم للناس، وفهمهم للآخرين من بني أمية والمنافقين، فكانت فَلْتَة.

الشخص الذي يكون محط إجلال وإكبار الناس جميعًا لا تكون بيعته فلته. الإمام علي ألم يتجهوا إليه كلهم بعد ما قُتل عثمان؟ حتى كادوا يطؤوا ابنه الحسن! اتجهوا كلهم إليه من بعد يبايعونه جميعًا؛ لأنه لا أحد يشك في أن علي بن أبي طالب ليس أهلًا

للولاية، لكن كان عمر نفسه ممن يشك بالنسبة لأبي بكر؛ لأن الناس يعرفون بأنه ليس أهلًا للخلافة ولكن ربما تنجح المسألة، فكانت فلتة -بحسب تعبيره- ومشت المسألة.

لكن قوله: "وقى الله شرها" ليس صحيحًا، ما زال شرها إلى الآن، وما زال شر

(١) انظر: البخاري ٦/٢٥٠٥، وابن حبان ٢/١٥٥، وسنن البيهقي ٤/٢٧٢، ومسند البزار ١/٤١٠.

تلك البيعة -التي قال إنها "فلتة" - ما زال شرها إلى الآن، وما زلنا نحن المسلمين نعاني من آثارها إلى الآن.

هي كانت طامة بشكل عجيب، هي سبب المشكلة وهي المُعَمِّي على حل المشكلة، لا يوجد قضية مثلها، أن تكون هي سبب المشكلة، والذي يعمي على ألَّا تَعرف حلها.

ألا ترى المسلمين كيف أنهم لم يستطيعوا أن يحلوا إشكالياتهم نهائيًّا، ما أكثر المسلمين خصوصًا السنية وهم متولون لأبي بكر وعمر! لم يستطيعوا أن يصلوا إلى حل إطلاقًا في قضيتهم هذه في صراعهم مع أعداء الإسلام، والأمة في كل سنة تهبط نحو الأسفل نحو الأسفل جيلًا بعد جيل بعد جيل، إلى أن وصلت تحت أقدام اليهود، من عهد أبي بكر إلى الآن وهي تهبط جيلًا بعد جيل.

كيف تكون هذه المشكلة سببا لمشاكل المسلمين، ثم هي من يعمّي على الحلول أمام المسلمين، يكون أحيانًا سبب المشكلة هنا والحلول هناك، يوجد مشاكل كثيرة تكون سبب المشكلة هنا وحلها هناك، ولا تكون المشكلة نفسها هي من تعمّي على الحل. أما هذه المشكلة فكانت من هذا النوع، قضية أبي بكر وعمر كانت هي سبب مشاكل المسلمين ثم هي من غطى على أعينهم عن أن يعرفوا الحل والمخرج منها.

ألف وأربعمائة سنة أليست فترة طويلة؟ ألف وأربعمائة سنة والمسلمون لم يجلسوا جلسة واحدة ليناقشوا لماذا؟ ما هو الخلل؟. ما الذي حصل حتى أصبحنا على هذا النحو؟ إلى تحت، إلى تحت، بعد كل مائة سنة هبوط هبوط، وكم قد جاءت من ضربات للأمة هذه ضربها الصليبيون ضربات شديدة، ضربها التتار والمغول ضربات شديدة، الصليبيون من قبل، والصليبيون في فترات الاستعمار المتأخرة، وهكذا ضربة بعد ضربة حتى أصبحوا الآن تحت أقدام اليهود، ولم يجلسوا ليناقشوا المسألة من جديد، ويرجعوا إلى القرآن الكريم لينظروا هل فيه حل؟ هل هو وضع حلًّا؟ هل عالج المشكلة هذه؟ هل تحدث عن أسباب هذه المشكلة؟ أبدًا.

ولن يتخلوا عن أبي بكر وعمر حتى آخر ذرة من البلاد العربية، حتى آخر ذرة من

تراب الوطن العربي، ما معنى إلى آخر ذرة؟ يعني إلى آخر ذرة تستعمر وتستذل وتقهر[1].

الأنصار كانوا أول من دفع ثمن التفريط:

يقول السيد حسين – رضوان الله عليه –:

"ولقد كان الأنصار في طليعة من دفعوا ثمن تفريطهم؛ لأنه كان من المفترض عليهم أن يجتمعوا مع الإمام علي عليه السلام؟ لا أن يجتمعوا هناك وَحْدَهم، ويأتمروا وحدهم خوفًا منهم أنه ربما لا تتم المسألة للإمام علي! فكان الصواب أن يذهبوا هم إلى الإمام علي ويقفوا معه حتى تتم المسألة، لا أن يقولوا: ربما لا تتم المسألة فالأحسن أن نكون قد انتبهنا لأنفسنا حتى لا يأتي آخرون فيمسكوا بزمام الأمور فيظلمونا.

لم تنفعهم هذه. ظُلِموا، وأهينوا في أيام أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، ويزيد اجتاح المدينة إجتياحًا رهيبًا جدًّا قتل حوالي سبعمائة شخص أو أكثر منهم، وانتهك أعراضهم ودمر بيوتهم، قضية رهيبة جدًّا حصلت لهم.

هذه العواقب السيئة التي نالتهم بسبب تفريطهم وهي قضية قائمة في دين الله، هذا هدى الله هل الناس سيقبلونه؟ يجب أن يقبلوه وإلا فيجب أن يعرفوا بأن البديل هو الخزي، والعواقب السيئة في الدنيا والآخرة".

استكمال مناقشة نصوص السقيفة:

قال عمر بن الخطاب (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها)[2] لماذا؟

قد لاحظنا أولاً أن أبا بكر وعمر بن الخطاب تثاقلا عن المضي في سرية أسامة بن زيد لشعورهما –على الأرجح– بدنوّ أجل النبي، وخوفهما بالتالي من أن يُتوفى النبي ويُثَبّت في غيابهما مَنْ سبق أنْ أعلن ولايته.

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، سورة المائدة، الدرس الأول

(٢) البخاري كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب رجم الحبلى من الزنا.

من ناحية أخرى، أراد النبي -وقد رأى أن خطته بإنفاذ هؤلاء في سرية أسامة بن زيد لن تكتمل- أن يملي على المسلمين وصيته التي كانت ستتضمن حتمًا أشياء لن تعجب عمر بن الخطاب -كان أبو بكر غائبًا- فاحتج عمر بقوله، إن النبي يهذي.

غاب بنو هاشم عن السقيفة ومجريات الأمور فيها؛ لانشغالهم بغسل النبي وتجهيزه. لكن بعض الأنصار -الذين لم ينتظروا حتى يدفن النبي ويكتمل حضور الجماعة الإسلامية الأولى- اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للنبي منهم، وحين سمعت مراكز القوى القرشية بذلك، تدافعت إلى السقيفة كي تحبط مسعى الأنصار.

بدا الموقف الأنصاري ضعيفًا منقسمًا منذ البداية الأولى، يضاف إلى ذلك الحس القبلي عند بعض الأنصار، الذي كان يقول: إن الأنصار -رغم أنهم هم الذين أعزوا النبي وأصحابه وجاهدوا أعداءه حتى استقامت العرب- إلا أن قريشا أهله وعشيرته وهم الأحق بخلافته؛ لذلك اقترحوا في البداية أن يكون أمير أنصاري وأمير قرشي، فرد سعد بن عبادة: هذا أول الوهن.

مقابل ذلك، بدا الموقف القرشي -في غياب بني هاشم- متراصًا خلف عمر بن الخطاب. وحين حضر القرشيون إلى السقيفة، احتج أبو بكر بأن قريشا أولياء النبي وعشيرته وأحق الناس بالخلافة من بعده؛ وحاول استرضاء الأنصار، بالقول: نحن الأمراء وأنتم الوزراء؛ فوقف الحباب بن المنذر، وقد أضعف وضع سعد بن عبادة الصحي موقف الأنصار، ليحتج على القرشيين بالقول: إن البلاد بلاد الأنصار، وطالب بإجلاء قريش عن المدينة، بعدها جاء أول تنازل أنصاري والذي جر وراءه تنازلات كثيرة: منا أمير ومنكم أمير. لكن عمر رفض ذلك بحسم، محتجًا أيضًا بالحس القبلي ذاته: نحن أولياء النبي وعشيرته. فجاء رد الحباب العنيف: أجلوهم عن هذه البلاد، فبأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به.

وهكذا كان التنافس الأوسي الخزرجي من جهة، والتنافس الخزرجي الخزرجي من جهة أخرى، سببا في القضاء على أي أمل للأنصار في تسلم سدة الحكم.

وقد كانت ذكرى حرب البعاث -التي لم يكن قد مضى عليها سنوات كثيرة بين

الأوس والخزرج- ماثلة في البال؛ لذلك خاف الأوس من سلطة الخزرج؛ وخافوا أكثر من أنهم إذا دعموهم للوصول إلى سدة الحكم، أن لا يجعلوا لهم فيه نصيبًا، وتكون لهم بذلك فضيلة، فوقف بالتالي زعيم الأوس: أسيد بن حضير -أبرز منافسي سعد بن عبادة وحساده- ليطالب بمبايعة أبي بكر، دون أن ننسى طبعًا العلاقة المميزة التي كانت تربط أسيد بن حضير بأبي بكر وعمر.

ومن ناحية أخرى، فقد بايع بشير بن سعد الخزرجي أبا بكر، حتى لا تذهب الخلافة إلى ابن عمه ومنافسه سعد بن عبادة، وعلل ذلك بقوله: إنه يكره منافسة قوم حقًا جعله الله لهم، رغم هذا كان موقف بشير غير مستقر، يتذبذب بين تأييد أبي بكر والانتصار لعلي عليه السلام.

أخيرًا، كان لمجيء قبيلة أسلم التي ملأت شوارع المدينة ومبايعتها أبي بكر، أثره الحاسم، في دعم موقف جماعة الحكم ضد الأطراف الأنصارية المعارضة.

- الهاشميون:

بدا أن معظم كبار القرشيين -عدا بني هاشم- ومعظم وجهاء الأنصار كانوا منشغلين بصراعات الحكم، إلى درجة أنهم نسوا غسل النبي وتجهيزه، رغم استمرار ذلك من الاثنين حتى عصر الثلاثاء[1]. بل إن انشغال أبي بكر وعمر بأفراح التنصيب منعهما من حضور مراسم دفن النبي[2].

لم يعلم بنو هاشم -ومنهم الإمام علي- بمجريات الأمور في السقيفة وما بعد، حتى تعالت أصوات الفرح بمبايعة أبي بكر في المسجد، فقد كان بنو هاشم منشغلين بتجهيز النبي للدفن. وبعد استقرار البيعة لأبي بكر، حاولت جماعة الحكم فرض الأمر على علي وبني هاشم بالقوة، لكنهم فشلوا.

وكان لفاطمة الزهراء -بما تشكل من ثقل معنوي كبير أبرز الأثر في إفشال مخطط جماعة الحكم، لذلك، كانت محاولاتهم المتكررة للضغط على الزهراء من خلال مجموعة إجراءات منها:

(١) طبقات ابن سعد ٢ ق ٢/ ٧٨ ط ليدن.
(٢) كنز العمال ٣/ ١٦٠.

* حرمان بني هاشم من الخمس، الذي كان سيتيح لهم فرصة الاستقلال المادي عن جماعة الحكم.

* رفضهم إعطاء فاطمة حقها من الإرث في فدك.

- هذا يقودنا إلى السؤال المشروع التالي: هل يعقل أن يطالب أبو بكر فاطمة الزهراء -ابنة النبي وخديجة وزوجة علي وأم الحسن والحسين- بتقديم أدلة على صحة أقوالها أيًا كانت؟ وإذا كانت فاطمة بحاجة إلى دلائل على صحة أقوالها، فمن هو ذا في طول التاريخ الإسلامي وعرضه الذي سنصدق أقواله دون دلائل قاطعة؟

فقد نقلت تلك الكتب عن أبي بكر قوله فيما يتعلق بالإرث النبوي، إن الأنبياء لا يورثون؛ ونسب هذا القول للنبي ذاته، مع ذلك فإن احتجاج الزهراء بالقرآن الكريم ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] حجة كافية، فإذا افترضنا أن المقصود بالإرث في الآية الكريمة هو الإرث المادي فذلك يعني أن لفاطمة الحق الكامل في الإرث النبوي؛ وإذا كان المقصود بذلك الإرث المعنوي لكان لها أيضًا الحق الكامل في هذا الإرث المعنوي (وراثة الكتاب)، كذلك فإن رفض أبي بكر شهادة علي بن أبي طالب في قضية الميراث يتناقض تمامًا مع قول النبي عن علي، إن الحق معه، يدور حيثما دار[١].

أما التناقض الأبرز الذي سيدخل فيه من يدافع عن جماعة الحكم فيبدو صارخًا في تضارب الأقوال التالية والذي لا سبيل إلى حله عندهم؛ نقل عن النبي صلوات الله عليه وآله قوله لابنته الزهراء "الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك"[٢]؛ "فاطمة بضع مني يؤذيني ماآذاها ويريبني مارابها"[٣]؛ "فاطمة بضع مني يغضبني ما أغضبها". قال النبهاني: وفي روايةٍ "فمن أغضبها أغضبني»[٤]؛ «فاطمة بضع

(١) انظر: الترمذي ٥/٢٩٧، المستدرك للحاكم ٣/١٢٤، تاريخ ابن عساكر ٣/١١٧، شرح النهج ٢/٥٧٢.
(٢) انظر: الإصابة ٤/٣٦٦، كنز العمال ١٢/١١ و١٣/٦٤٦، المستدرك للحاكم ٣/١٥٤، أسد الغابة ٥/٣٢٢.
(٣) انظر: الباري ٧/٤٧، مسلم ٤/١٩٠٢، الترمذي ٥/٦٩٨، الإصابة ٤/٣٦٦، ابن ماجة ١/٦٤٤، كنز العمال ١٢/١٠٧ و١١٢.
(٤) البخاري ٥/٢٦ و٣٦، الجامع الصغير للمناوي ٢/١٢٢.

مني يقبضني مايقبضها ويبسطني مايبسطها"[1].

من ناحية أخرى، جاء في الكتب التراثية التابعة لكل المذاهب الإسلامية أن فاطمة "وجدت على أبي بكر فهجرته فلم تكلمه حتى ماتت"[2]؛ وجاء أيضًا: "غضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عيله وآله وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت"[3]؛ وأيضًا: "غضبت فاطمة على أبي بكر فهجرته، فلم تكلمه حتى ماتت"[4].

العباس والإمام:

يكشف الحوار المذكور الذي دار بين جماعة الحكم والعباس، عم علي عليه السلام، عن أكثر من وجه؛ فالمغيرة بن شعبة رأى في رشوة العباس بأن يجعل له نصيبًا من الخلافة غايتين: فهم يضعفون موقف الإمام علي من جهة، وتكون لهم حجة إذا مال العباس معهم من جهة أخرى، كذلك فإن حوار أبي بكر وعمر مع العباس يكشف عن توزع أدوار؛ صقور وحمائم بين جماعة الحكم لا سبيل إلى إنكاره، أبو بكر يتحدث إلى العباس بأسلوب يختلف عن حديثه للأنصار: "إن رسول الله منا ومنكم"، لكن عمر يقول بصرامته المعهودة إنهم لم يأتوه لحاجة، أي ليسوا بحاجة لاسترضائه، بل حتى لا يتفاقم الخطب، وبالمنطق ذاته الذي خاطب فيه أبو بكر وعمر الأنصار، رد العباس فقال: إنه إذا كان أبو بكر يطلب برسول الله فقد أخذ حقهم، وهو لن يرضى برشوته ببعض هذا الحق دون بعض. وكي يقطع عليه الطريق أردف أنه إذا كان هذا الحق للمؤمنين فليس لأحد أن يحكم فيه وحده، فبنو هاشم من المؤمنين، وهم لم يكونوا موجودين أثناء المبايعة، وأنهى كلامه بقوله: إن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، من ناحية أخرى كان علي يدرك بما لا يدع مجالا للشك أن ما حصل انقلاب على مبادئ وقيم الإسلام، وكان له مبرراته

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣/ ١٥٨، الجامع الصغير للمناوي ٢/ ١٢٢، كنز العمال ٢/ ١٠٨ و١١١.
(٢) البخاري ح ١٧٥٩.
(٣) البخاري ح ٢٩٢٦، ح ٦٣٤٦، ٦: ١٣٩، ١٤١، ٣: ١١٢٦، ١٢: ٤، ٧: ١٢٥٩.
(٤) انظر: الترمذي، كتاب السير، باب ٤ ج ٤/ ١٥٧، مسلم، كتاب الجهاد، باب ١٦، مسند أحمد ١/ ٦ و٢/ ٣٥٣، شرح النهج للمعتزلي ١٦/ ٢١٧، النسائي، كتاب الفيء، باب ١ ج ٧/ ١٢٠.

المنطقية دينيًا في المطالبة بالخلافة ورفض مبايعة أبي بكر؛ فالنبي كما أشرنا تحدث في مناسبات عديدة أن خليفته هو علي ليس إلا، كذلك فقد كشف الإمام علي تناقض جماعة الحكم مع أنفسهم: فهم حجبوا الخلافة عن الأنصار محتجين عليهم بالقرابة من النبي، فلماذا حجبوها عنه؟

لقد حاول أبو عبيدة دون جدوى التركيز على عامل السن لتبرير حجب الخلافة عن علي، وحاول استمالته بالقول: "هؤلاء مشيخة قريش قومك إن تعش ويطل عمرك فأنت لهذا الأمر خليق"، هنا لابد أن نتذكر نظرة النبي الصائبة وبصيرته النافذة حين أمّر قُبيل وفاته بأيام أسامة بن زيد -وهو الشاب الأصغر من علي بسنوات- على كل هؤلاء الشيوخ.

متى ظهرت بوادر التخلي؟

يقول السيد حسين - رضوان الله عليه - معلقًا على ما جرى في مرض النبي ‹صلوات الله عليه وآله›:

".. عندما فرطوا، عندما لم يكن إيمانهم بالله بالشكل الذي يجعلهم يلتزمون حرفيًا، إيمانًا واعيًا. هم كانوا مؤمنين بالله وبرسوله، لكن الإيمان درجات، الإيمان درجات، لم يكونوا بمستوى أن يعوا، أن يعوا من خلال القرآن، ومن خلال محمد ﷺ عظم المسؤولية الكبرى، وكيف يكونون بمستواها، ولم يأت التقصير، لا من خلال القرآن، ولا من خلال رسول الله ﷺ الذي هو أفصح العرب، أفصح العرب، وأنشط الأنبياء في عمله، أكثرهم نشاطًا، وأعظم البشر تبليغًا بوسائله، وبمنطقه.

عندما لم يعوا مسألة الإيمان بالشكل الذي يجعلهم يلتزمون حرفيًا بتوجيهات الرسول ﷺ بالقرآن الكريم بدأ التفريط من أيامهم، بدأ التفريط ورسول الله ﷺ على فراش الموت مريض في آخر أيامه، عندما قال: "هلم أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده"[1]، فجاء عمر مع مجموعة كبيرة داخل مجلس رسول الله ﷺ ليعارضوا بأن

(١) عن ابن عباس، قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب فقال النبي ﷺ: ((هلموا لكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده)). فقال عمر: إن رسول الله قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا له يكتب لكم رسول الله ﷺ،

يقدم لرسول الله قلم ودواة، فيأمر بكتابة من يكتب ما لا تضلوا بعده، ما لا تضل الأمة إن تمسكت به، فعارض عمر، وأثاروا ضجة في مكان رسول الله ﷺ وقالوا: «حسبنا كتاب الله»! لو كانوا يعرفون كتاب الله بالشكل المطلوب لكان عليهم أن يقدموا لرسول الله ﷺ قلمًا ودواة حتى يكتب ذلك المكتوب الذي يريد أن يكتبه، يأمر بكتابته حتى لا تضل الأمة من بعده.

بوادر التخلي عن المسؤولية، عن المسؤولية الكبرى بدأت ورسول الله ﷺ كان لا يزال حيًّا بكامل وعيه، وهو في آخر أيامه، مريضًا على فراش الموت»[1].

وقال الشهيد القائد في الدرس الثاني من دروس المائدة: "ولأنه (صلوات الله عليه وعلى آله) كما وصفه الله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] يهمه أمر الأمة من بعده لا تضل لا تختلف لا تتمزق لا تتفرق، لا يبرز أشخاص يضلونها يدمرونها يهلكونها، وعلى الرغم مما قد عمل في الغدير وغيره يقول: «هَلُمَّ أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده» والحمى تلهب جسمه، لكنه لا يزال يحمل اهتمامًا بأمر المسلمين بأمر الأمة يريد أن يعمل ما يمكن أن يعمله حتى في اللحظات الأخيرة من حياته، أليس هذا هو يهمه أمر الأمة؟ حريص عليها مشفق عليها؟.

في مجلسه عمر ومجموعة كبيرة، يقول عمر: لا، حسبنا كتاب الله ويثير ضجة وآخرون يلتفون نحو عمر ويفهمون ماذا يريد عمر ويفهمون ماذا يمكن أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم يعرفون أنه سيركز الوصية حول علي، يرمِّز علي يشد الناس نحو علي إذًا هو سيكتبها لعلي.. لا. لا، حسبنا كتاب الله، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، دعوا الرجل فإنه يهجر[2].

آخرون يقولون: قربوا قلمًا ودواة يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، يقول عمر: لا،

ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال: ((قوموا عني، فلا ينبغي عندي التنازع)). فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب باختلافهم ولغطهم. ولا ينبغي عند نبي تنازع. أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وغيرهم بلفظ مقارب.

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، سورة آل عمران – الدرس الرابع.

(٢) الهَجْرُ: الهَذَيان. وكان الصواب التسليم لكل ما أمر به رسول الله.

وبإصرار: لا. لا. ألم يسمع أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تضلوا بعده»؟. إن كان يهمه أمر الأمة فسيكون حريصًا جدًّا جدًّا على شخطة قلم، كلمة واحدة يكون فيها أمان للأمة من الضلال، والسلامة للأمة من الضلال؛ لأنه يعلم أن الذي تكلم بهذه العبارة هو رسول الله ﷺ، لكن لا، هو يعلم ما سيعمل النبي ﷺ وسيعارض لأن له أهدافًا، له آمالًا أخرى، هو لا يهمه أمر الأمة تضل أو لا تضل فيحول بين أن يكتب الرسول ﷺ هذا الكتاب بعد أن سمع «أكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده» ألم يكشف لنا هنا نفسية عمر أنه إنسان لا يهمه أمر الأمة، أنه إنسان لا يتألم فيما إذا ضلت الأمة، أنه إنسان يحول دون كتابة كلام يحول دون ضلال الأمة، يؤدي بالأمة إلى ألَّا تضل؟ هل هذا إنسان في أعماق نفسه يهمه أمر الأمة وأمر الدين؟. لا" انتهى.

اللامبالاة والبساطة وخطورتها

"لهذا نقول في حديث الغدير: حتى نحن نقدمه بشكل مختزل [قال: من كنت مولاه فعليٌ مولاه]! لا. يجب أن تنظر إلى الموضوع من أصله «أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين» هذا تسلسل مثلما قال النبي في بني إسرائيل: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧] «إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين فمن كنت مولاه فهذا ـ هذا ـ عليٌ مولاه»، هل هناك أوضح من هذه؟ لا يوجد أوضح من هذه. ذلك المجتمع الذي سمع الكلام هذا هل أحد يستطيع أن يفرض عليه موقفاً آخر؟ هل كان لدى أبو بكر وعمر مثلاً، وتلك المجموعة ما يفرضونه أمام هذا البيان؟

إذاً موقف الإمام علي هو نفس موقف الآيات القرآنية هذه، من بعد ما يكون هذا المجتمع سمع كل شيء، وفهم كل شيء، وذكرهم أيضاً هو، وذكّرتهم الزهراء هي أيضاً، وذكّرهم العوّام، وذكّرهم آخرون، لم يرضوا. إذاً فليجربوا أنفسهم. هذه سنة إلهية، هذه سنة إلهية داخل الأمم، الناس إذا لم يستجيبوا لهدى الله فليجربوا أنفسهم، وسيذوقون العواقب السيئة نتيجة تقصيرهم ونتيجة مخالفتهم.

ألم يقم الإمام علي بكل ما لديه من وسائل؟ حتى في الجانب العسكري قال هو:

«فطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذَّاء». الكثير بسطاء أثر عليهم آخرون؟ ونحن نقول أكثر من مرة: يجب أن نفهم الأمور على هذا النحو لا نقع في الإحراجات التي وقع فيها الآخرون ما بين مقدس للصحابة على الرغم مما هم عليه، وما بين من له موقف سلبي تماماً يعتبر بأنهم كفروا بما تعنيه الكلمة. نقول: لا، يوجد حالة أخرى، حالة أخرى هي حالة البساطة، حالة أللا مبالاة، التي يمكن أن تحصل مع إيمانك بالقضية، مع إيمانك بالقضية.

كل الناس كانوا مؤمنين بأن الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) قال هكذا لعلي سلام الله عليه في [يوم الغدير] ويعرفون ما قال سابقاً، لكن لم يعطوا القضية الأهمية اللائقة بها، كانوا ضحية للآخرين عندما ضلوا، وقلنا أكثر من مره: التضليل عادة في مواقف معينة، لا يلامس القضية الأساسية لديك فيدفعك إلى أن تكفر بها، هذه لا تحصل. هل إبليس ذهب إلى آدم ليقول له: أكفر بمسألة النهي عن أكل الشجرة؟. هل قال له هكذا؟ لا. [مجابر ثانية والموضوع هناك]. هل قدموا لهم أن يكفروا بما قاله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لعلي؟ قدموا أسلوباً آخر [علي قد قتل أناساً وعليٌ كذا، وهناك أناس آخرون ويمكن نجربهم والمقصود واحد ورسول الله همه واحد، وهؤلاء الناس تعرفونهم كانوا قريبين من رسول الله] وأشياء من هذه تجعلك تتقبل المسألة التي تعتبر مخالفة، ولا يطلب منك الكفر بما سمعته من النبي، وهذه من أخطر الأشياء، من أخطر أساليب الضلال هذه الطريقة.

لم يرضوا يسمعوا ولا يتفهموا!.الإمام علي تركهم يجربون، جربوا أبا بكر، عمر، عثمان، وفي الأخير ذاقوا هم وبال أمرهم، وأهينوا، الأنصار أولاً، الذين اجتمعوا في السقيفة! ألم يكن المفروض لأولئك أن يجتمعوا مع علي؟ لا أن يجتمعوا هناك لوحدهم، ويأتمروا لوحدهم على أساس أنه ربما لا تتم المسألة لعلي! لأنه إجلسوا أنتم معه تتم، عندما يكونون مثلاً ولو ثلاثين شخصاً، ولو خمسين شخصاً يذهبون إليه، لا أن يقولوا: [ربما لا تتم المسألة أحسن أن نكون قد انتبهنا لأنفسنا حتى لا يأتي آخرون يمسكون بزمام الأمور فيظلموننا] ما نفعتهم هذه، ظلموا، وأهينوا في أيام أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومعاوية، ويزيد اجتاح المدينة إجتياحاً رهيباً جداً قتل حوالي سبع مائة شخص أو أكثر منهم، وانتهك أعراضهم ودمر بيوتهم، قضية رهيبة

جداً حصلت لهم، أي: هذه القضية قائمة في دين الله، هذا هدى الله هل الناس سيقبلونه؟ يجب أن يقبلونه وإلا فيجب أن يعرفوا بأن البديل هو الخزي، والعواقب السيئة في الدنيا والآخرة" ملزمة الدرس الحادي عشر من دروس رمضان.

هل يمكن أن يضل صحابة تربوا على يد نبي الله؟

"عندما يكون الإنسان غير مهتم ، ولو كان في عصر مليء بالأنبياء، ولو كانت آيات الله تتنزل، ولو يشاهد عصا موسى تتحول إلى ثعبان، إذا لم تبن عليها قاعدة أساسية عندك: التزام، وفهم، ووعي، ستكون عرضة للتضليل، هؤلاء ناس ضُللوا وموسى ما زال حياً، وضللوا بعد أن قضى موسى معهم فترة طويلة في التبيين، وبعدما قد رأوا الآيات الكثيرة.

عندما يقول البعض: إنه كيف يمكن أن يكونوا ضلوا ناس من الصحابة بعد رسول الله! أليس هؤلاء صحابة ضلوا وما زال موسى حياً، إنما ذهب لفترة أربعين يوماً منهم، صحابة من داخل بني إسرائيل، من الذين اصطفاهم الله على العالمين، أمكن أن يضلوا مع وجود النبي، ثم تقول لي: كيف أنه يمكن أن يضل ناس من بعد النبي؟! أليس احتمال أن يضلوا بعد نبي أكثر من احتمال أن يضلوا في وقته؟ هذه الآيات نفسها كانت هي هامة جداً بالنسبة للصحابة أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، أن يكون كل واحد منهم منتبهاً عندما يعرف أنه أمكن أن يضل ناس وما زال نبيهم موجوداً، وآيات قاهرة معه، عصا تتحول إلى ثعبان، يده تتحول إلى عمود من النور، وأمكن أن يضلوا، وقال لهم: إنه أضلهم السامري. هذه الآية ألم يقرأها الصحابة؟ لكن أي ناس كائنا من كان إذا لم يتفهموا، ويعوا، سيكونون عرضة للضلال.

فهي تعتبر حالة خطيرة في حد ذاتها، إذا ما هناك تفاعل بإيجابية مع هدى الله، قد يكون الناس في حالة، قد فعلاً يضلهم فعلاً، من يتأمل موقف الإمام علي في تلك الحالة يعرف المسألة – مثلما قلنا سابقاً – يعرف الإمام علياً، أشياء كثيرة من سنن الله، عندما لا يكون هناك اهتمام أثناء تقديمه، وهو يقدم على أرقى صورة، ويبين على أحسن تبيين، ويقدم على أجمل صورة، وأيضاً يعطى في نفس الوقت،

يعطى الناس حتى وإن كانوا بسطاء أشياء واضحة للالتزام، واضحة مثل: اتبعوا، أطيعوا.. أليست عبارات واضحة؟.

لكن في الأخير، عندما لا يكون هناك اهتمام بالشكل المطلوب، هذه النوعية تكون عرضة لأن تضل، وأن تكون ضحية المضلين. قوم موسى أضلهم واحد، السامري، وجعلهم يعبدون عجلاً! ألا يمكن أن يأتي من بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من يضلهم، ويجعلهم يعملون خليفة آخر، قد أمكن شخص يجعلهم يعبدون إلهاً آخر.. أين أكبر؟ ألم يستطع أن يضلهم حتى يجعلوا لهم صنماً؟ إذاً بالتأكيد يستطيع أي شخص أن يضلهم فيتخذون لهم شخصاً آخر خليفة بدل ذلك الشخص الذي أعلنه على مرأى، ومسمع منهم. لكن إذا ما هناك اهتمام فهي في حد ذاتها حالة خطيرة.

كذلك في أي زمان لا يتصور واحد، مثلاً تتصور بأنه كأنك لا تسمع شيئاً، الناس إذا لم يكن عندهم اهتمام أن يصغوا بجدية، ويتفهموا، قد تأتي في مسيرة الناس أشياء كثيرة يكون من لا يهتمون عرضة لأن يضلوا فعلاً، ليست قضية سهلة. هنا يبين لنا أشياء، بين للناس في أيام رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) بهذه الأشياء، ولم يأخذوها على محمل الجد فضلوا فعلاً! هنا قال: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ [طه: ٨٥] فتنهم.[١]

النبي في آخر أيامه لا يزال حريصًا على هداية الأمة.

"رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي هو إنسان قرآني يتحرك بحركة القرآن ويعرف قدرة القرآن على كشف الآخرين، يكشف للناس في آخر أيامه نفسية عمر، ويكفينا أن يكشف لنا نفسية عمر لأن عمر أصبح عَلماً للخط الآخر، عمر هو مهندس كل تلك المتغيرات من الصعود بأبي بكر، والإمام علي كشف المسألة أيضاً قال لعمر «إحلب حلباً لك شطره، شدها له اليوم يردها عليك غداً». هو الذي قال لأبي بكر: (أمدد يدك أبايعك) أليس هو الذي رفع أبا بكر بين الضجة؟. هو الذي

(١) الشهيد القائد ملزمة الأعراف الدرس الثامن والعشرون.

هندس أن تصل الخلافة إلى عثمان؟ هو الذي هندس ورتب أوضاع معاوية أن يكون في الشام هو الشخص الذي يمكن يكون مؤهلاً لأن يضرب علياً متى ما تحرك هو أو أحد من أهل بيته في أي فترة، هو الذي رفع بني أمية بعد أن وضعهم الإسلام، وأصبحوا مجتمعاً منحطاً في نظر الأمة؟ هو الذي رفعهم من جديد فأصبحوا يمتلكون الأموال الهائلة، وأصبح لهم علاقات واسعة في أوساط كثير من زعماء العشائر في هذه الأمة!.

إذاً من خلال أن يكشف لعمر سيعرف عمر وكل من يدور في فلك عمر أنهم ليسوا جديرين بأن يلوا أمر الأمة ولا أنهم يهتمون بأمر الأمة، أليس هذا ما حصل؟. وبعد ذلك فليقولوا ما يقولون: فاروق، صدّيق أشياء من هذه لو يقولوا ما يقولون. كلمة (فاروق) ما هي كلمة كبيرة؟ فاروق .. فيظهر لك عمر يرتفع إلى هناك، لكن تعال إلى القضية التي رواها البخاري وغيره رووها هم مؤرخين ومحدثين أنه عارض أن يكتب رسول الله كتاباً لا تضل الأمة من بعده، ألم يشهد عمر هو على نفسه أنه لو كان لديه احتمال بأن رسول الله سيكتب شيئاً يتعلق به وبصاحبه وأنه قد يرفعهم لقدم برميلاً وليس دواة ولحاول أن يُقدم أي شيء يكتب به النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ليكتب المكتوب إذا كان سيكتب شيئاً يتعلق بأبي بكر أو عمر يجعلهم أعلاماً للأمة، لكن هو يعرف أنه لن يكتب شيئاً إلا وهو يقصي الأمة عنهما، أنه سيكتب ما يقصي الأمة عن أبي بكر وعمر، إذاً فهو يريد لا يعمل لهم ورطة ثانية بعد الغدير. في الغدير طلع هو وعلي فوق الأقتاب ورفع يد علي وقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» فهو أيضاً يريد يعمل لنا ورطة ثانية ويكتب .. تلك ممكن نقل: مولاه، يعني ويعني ويعني .. ما يزال معنا ..

والمكتوب الذي كان يريد الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أن يكتبه ألم يعمل عمر دعاية تضرب المكتوب، وهذا الذي جعل النبي فعلا يتوقف ويقول أخرجوا إنه لا ينبغي عند نبي تنازع، وأصبح الغالب في القاعة، في المجلس عند رسول الله هم يدورون في فلك عمر عندما قال حسبنا كتاب الله، دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، إنه يَهْجُر.

لكن لو كتب النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) كتاباً ما عمر قد عمل الدعاية ضد هذا الكتاب؟ سيقول هذا الكتاب لا ينفع لأنه كتبه وهو في حالة هذيان لا يعرف ما يتكلم فلا يعمل به، لم يكتبه في حالة الصحة والاختيار شرعاً، فيُضرب المكتوب، لكن النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) بهذا الموقف المهم كشف لنا عمر بشكل رهيب، بل هو بيّن لنا بياناً لا يضل الناس بعده إن فهموا حتى وإن لم يكتب في الأوراق فقد كتب في أعماق الكون وفي التاريخ وكتب في القلوب إن كانت تفهم، أني كشفت لكم عمر أنه لا يهمه أمركم أن تضلوا فلتضلوا فإذا كان لا يهمه أمركم أن تضلوا فعمر وكل من يدور في فلك عمر ليسوا أمناء على الأمة، ولا يمكن أن يكونوا هم الأعلام الذين تقتدي بهم الأمة، ولا يمكن أن يؤيد الإسلام ولا كتابه ولا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) أن تلتف الأمة حول عمر ويكون علماً لها كما يصنع الآخرون، ألم يكشف الرسول هذا كما كشف القرآن نفسية علي عليه السلام؟. فمن خلال نفسية علي هنا تعرف نفسية عمر هناك" ملزمة الدرس الثاني من سلسلة دروس المائدة.

بعد الإنحراف في السقيفة

وبعد أن انحرف مسار الأمة في السقيفة عن أهل البيت وقرناء القرآن، تعاقب على الخلافة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب بأمر من أبي بكر عند مرض وفاته وبدون شورى، ولم يعترض أحد على أبي بكر كتابة الوصية، ولم يقولوا غلبه الوجع أو أنه يهجر كما قالوا لرسول الله![1]

واتجهت الخلافة بعد عمر إلى عثمان عبر تسويات سياسية بين عبدالرحمن بن عوف وعثمان وعمر، ولم يكتف عمر بذلك بل إنه ولّى معاوية على الشام وقال: ذلك كسرى العرب، وهكذا كان مسلسل الإقصاء والتهميش الذي تعرض له الإمام علي عليه السلام والتيار الموالي له، فها هو أبو ذر الغفاري يُنفى إلى الربذة من قبل عثمان، انظر صحيح البخاري كتاب الزكاة وها هو عبدالله بن مسعود يُكسر ضلعه انظر تاريخ اليعقوبي والبلاذري والواقدي، وهاهو عمار بن ياسر ضرب حتى فتق من قبل غلام

(١) انظر تاريخ الطبري، وتاريخ ابن عساكر.

عثمان، انظر تاريخ اليعقوبي، ، بل عندما قتل أبو الغادية عمارا قال علماء السنة إن أبا الغادية متأول مجتهد مأجور أجرا واحدا؛ لأنه من السابقين ومن أهل بيعة الرضوان كما قال بن حزم في الفصل ١٦١/٤ وابن حجر في الإصابة !!، هكذا عاش التيار الموالي للإمام علي عليه السلام حالة الإقصاء والتهميش والإسترخاص لدمائهم.

وفي المقابل قرب عثمان أقاربه من بني أمية وبدؤوا يلعبون بمصائر العباد، فهذا أبو سفيان يدخل إليه بعد البيعة ويقول: (يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة، فو الذي يحلف به أبوسفيان، ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة)[١]، وبالطبع فإن أبا سفيان وبنيه لم يدخلوا في الإسلام إلا كرها، قال أبو سفيان: والله مازلت ذليلا مستيقنا بأن أمره سيظهر، حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره![٢] وهكذا قويت شوكة بني أمية في الشام، وكان جيش معاوية أكثر من جيش الخليفة عثمان نفسه، فعبث بنو أمية بأموال وكرامة الناس، وسخطَ الناسُ على عثمان حتى أن عائشة حرّضت على قتله، واتهمته بتغيير سنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بقولها (اقتلوا عثلا فقد كفر)[٣]، وعندما قُتل عثمان بن عفان لم يكتفِ من قتلوه وحاصروه إلا بأن يدفنوه في مقبرة اليهود،[٤] وقد سألت أيضا عند ذهابي للعمرة عن مكان قبر عثمان فتفاجأت أنه بعيد جدا عن البقيع وهي المقبرة التي كان الصحابة يدفنون فيها.

وبعد أن قُتل عثمان بايع المسلمون الإمام عليا عليه السلام بعد أن أصبح المجتمع المسلم ممزقا سياسيا كل ذلك من آثار السقيفة، ولكن عائشة غضبت لذلك وقالت إنها ستأخذ بثأر عثمان رغم أن أهل التاريخ رووا أنها حرضت على قتله.[٥] وهكذا خرجت عائشة لقتال الإمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانت موقعة الجمل والتي راح ضحيتها آلاف من المسلمين، وقد أخبر الرسول بهذه الفتنة سابقا فقد قام النبي خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال: هاهنا

(١) انظر تاريخ الطبري والمسعودي وابن الأثير والإستيعاب في حوادث ذلك الزمان.
(٢) البخاري ص١٢٢ج٤كتاب الجهاد .
(٣) انظر الطبري ج٤ص٢٧٧ط القاهرة والنهاية لابن الأثير.
(٤) انظر تاريخ الطبري والكامل وغيره في حوادث ذلك الدهر.
(٥) انظر الطبري ج٥/ص١٧٢وابن الأثير وابن سعد.

الفتنة، ثلاثا، من حيث يطلع قرن الشيطان[1].

وعندما قُتل الخليفة عثمان كان معاوية قد اشتد عوده، والفضل بالدرجة الأولى يعود لعمر الذي ولاه على الشام وقال: هذا كسرى العرب،[2] إليك تاريخ هذا الكسرى الذي يعتبر ثمرة من ثمرات سقيفة بني ساعدة.

معاوية بن أبي سفيان

يقول سيد قطب بعد ذكر توريث معاوية الحكم لابنه يزيد "..على هذا الأساس الذي لا يعترف به الإسلام البتة قام مُلك يزيد، فمن هو يزيد؟ هو الذي يقول فيه عبد الله بن حنظلة: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء أن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاءً حسنا.

فإذا كانت هذه مقالة خصم ليزيد، فإن تصرفات يزيد العملية الواقعية فيما بعدُ -من قتل للحسين رضي الله عنه على ذلك النحو الشنيع إلى حصار البيت ورميه... إلخ- تشهد بأن خصوم يزيد لم يبالغوا كثيراً فيما قالوه، وأياً ما كان الأمر فإن أحداً لا يجرؤ على الزعم بأن يزيد كان أصلح المسلمين للخلافة وفيهم الصحابة والتابعون، إنما كانت مسألة وراثة الملك في البيت الأموي، وكان هذا الإتجاه طعنة نافذة في قلب الإسلام ونظام الإسلام وإتجاه الإسلام"[3].

وفي هذه العجالة سأضع معاوية على طاولة النقاش، ولكن ليس بقلمي ولكن بقلم أحد علماء الشافعية بتصرف: "سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه زوج بنت رسول الله سيدة نساء أهل الجنة ووالد سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضي الله عنهما.

قال الحافظ الذهبي في سير اعلام النبلاء ١٤٧/٥ قال ابن سعد: أخبرنا علي بن محمد عن لوط بن يحيى قال: كان الولاة من بني أمية قبل عمر بن عبد العزيز يشتمون

(١) صحيح البخاري ص٢١٧ج٤كتاب الخمس.
(٢) انظر الاستيعاب ٤٧١/٣ وسير أعلام النبلاء ١٣٣/٣والبداية والنهاية ١٣٣/٨.
(٣) العدالة الإجتماعية في الإسلام ص١٥٥.

رجلاً رضي الله عنه فلما ولي هو –عمر بن عبد العزيز– أمسك عن ذلك فقال كُثَيِّر عزة الخزاعي:

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف ... بريئاً ولم تتبع مقالة مجرمِ
تكلمت بالحق المبين وإنما ... تبين آيات الهدى بالتكلم
فصدقت معروف الذي قلت بالذي ... فعلت فأضحى راضيا كل مسلم

وكان معاوية بن أبي سفيان هو الذي سن للناس لعن الخليفة الراشد ابن عم رسول الله على المنابر يوم الجمعة، فجعل لعنه كأنه أحد أركان الخطبة، ففي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي بن أبي طالب رقم الحديث ٢٤٠٩ عن سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال: استُعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال فدعى سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليًا، قال: فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا تراب، ولم يمتثل لأمره سهل رضي الله عنه.

عن عامر بن سعد بن ابي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب (أي علي)؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلن أسبه، لئن تكن لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خلفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي.

وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي علياً، فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الاية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال اللهم هؤلاء أهلي. (صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الامام علي).

قلت: ولما ولى معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة قال له: ولست تاركاً

إيصاءك بخصلة: لا تتركْ شتم عليّ وذمه) انتهى [1].

وقد قُتل معاوية الصحابي الجليل حجر بن عدي -صبرا- عندما أنكر على عمال معاوية وولاته سبَّ سيدنا علي رضي الله عنه، وهذا شيء مشهور، قال الحافظ ابن حجر في الاصابة (٣١٤/١) في ترجمته: (وقتل بمرج عذراء بأمر معاوية)!

قلت: وقد قتل معاوية أناسا من الصالحين من الصحابة والفضلاء من أجل السلطة، ومن أولئك أيضاً عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، قال بن جرير في تاريخه (٤٥٣/٣) واللفظ له: "وكان سبب موته -عبد الرحمن بن خالد بن الوليد- أنه قد كان عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا إليه لما عنده من آثار أبيه ولغنائه في بلاد الروم ولشدة بأسه، فخافه معاوية وخشي منه وأمر بن أثال النصراني أن يحتال في قتله، وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جباية خراج حمص، فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس إليه ابن اثال شربة مسمومة مع بعض مماليكه فشربها فمات بحمص، فوفى له معاوية بما ضمن له) انتهى

قلت: فهل يجوز قتل المسلم والله تعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣]، وهل معاوية مستثنى من مثل هذه الآية؟! ولذلك قال في حقه الحسن البصري كما في الكامل ٣/ ٤٨٧: (أربعُ خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤُه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافُه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤُه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتلُه حجراً وأصحابَ حجر، فيا ويلاً له من حجر ويا ويلاً له من أصحاب حجر) انتهى

قلت: ولما كانت سيرة معاوية هكذا لم ترد له فضائل عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، نقل الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٣٢/٣ عن إسحاق بن راهويه أنه قال: (لا يصح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في فضل معاوية

(١) الكامل ٤٧٢/٣.

شيء، وقال الإمام النسائي صاحب السنن: سُئل عن فضائل معاوية فقال: لا أعلم له فضيلةً إلا "لا أشبع الله بطنه"، فقتله أهل دمشق)[1]، وقال الشوكاني في فضائل معاوية: وفيها تحقق على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة).

وقد ثبت في صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب من لعنه النبي أو سبه... حديث رقم ٢٦٠٤ "عن ابن عباس أن النبي قال له: اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: لا اشبع الله بطنه"... قلت: وفي مسند أحمد بن حنبل من طريق عبد الله بن بريدة بسند رجاله[2]: دخلت أنا وأبي على معاوية، فأجلسنا على الفرش، ثم أُتينا بالطعام فأكلنا، ثم أُتينا بالشراب فشرب معاوية ثم ناول أبي فقال: ما شربته منذ حرمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم"، قلت: وأما حديث الترمذي ٣٨٤٢ من طريق سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن عبد الرحمن بن أبي عميرة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال لمعاوية: اللهم اجعله هادياً مهدياً واهد به، فحديث ضعيف ومضطرب لا تقوم به حجة، لا سيما وإسحاق بن راهويه يقول: لا يصح عن النبي في فضل معاوية شيء)...

قلت: فكيف يقول بعض النواصب الذين يظهرون الاعتدال: لعلي أجران ولمعاوية أجرٌ؛ لأنه مجتهد؟! فهل يصح الاجتهاد في قتل المسلمين الموحدين وو...؟! وهل هناك اجتهاد في مورد النص؟! وقد تواتر عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال في سيدنا عمار الذي قاتل مع أمير المؤمنين سيدنا علي: "ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار" (البخاري كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد، وغيرها من المصادر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٤١]، فهل البغاة والدعاة إلى النار ممن يجوز الدفاع عنهم؟! وهل يصح الاجتهاد مع ورود نصوص كثيرة متواترة وصحيحة،

(١) سير اعلام النبلاء ١٤/١٣٢.
(٢) رجال مسلم ٦/٤٧٦ برقم ٢٢٤٣٢.

منها قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في حق سيدنا علي رضي الله عنه: مَنْ كنتُ مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه.

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/٣٣٥) عن هذا الحديث: متواتر.

وفي صحيح مسلم برقم ٧٨ في كتاب الايمان عن سيدنا علي رضي الله عنه قال: إنه لعهد النبي الأمّي إليَّ: (أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلامنافق).

قلت: فما حكم هذا الذي يأمر بسب ولعن مولى المؤمنين بشهادة رسول رب العالمين على المنابر؟! وما حكم من يمتحن رعيته بلعنِ سيدنا علي رضي الله عنه والتبري منه، وقتلِ من لم يسبه ويلعنه؟!

ومن الغريب المضحك حقاً بعد هذا، أن تجد ابن كثير في بابٍ عقدَه في تاريخه (٨/٢٠) في فضل معاوية ما نصه: "هو معاوية بن أبي سفيان... خال المؤمنين، وكاتب وحي رب العالمين، أسلم هو وأبوه وأمه هند... يوم الفتح"، ثم قال بعد ذلك: "والمقصود أن معاوية كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع غيره من كتاب الوحي... انتهى).

قلت: كلا واللهِ الذي لا إله إلاهو -لم يصح كلامك يا بن كثير ولا ما اعتمدتَه وزعمتَه، فأما قولك: "خال المؤمنين"، فليس بصحيح البتة؛ وذلك لأنه لم يرد ذلك في سنة صحيحة أو أثر، وعلى قولك في الخؤولة يكون حيي ابن أخطب اليهودي جدّ المؤمنين؛ لأنه والد السيدة صفية زوجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليس كذلك... وأما قولك: «وكاتب وحي رب العالمين" فليس بصحيح أيضًا؛ وذلك لأن معاوية أسلم عام الفتح وهو وأبوه من الطلقاء، وقد أسلم في أوقات قد فرغ فيها نزول الوحي ووصل عند قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فماذا سيكتب معاوية بعد هذا؟!

وقد ذكر الحافظ الذهبي في السير (٣/١٢٣) عن أبي الحسن الكوفي قال: (كان زيد بن ثابت كاتب الوحي، وكان معاوية كاتباً فيما بين النبي وبين العرب)

وكذا قال الحافظ بن حجر في ترجمته في الاصابة.

ولْيكنْ معلوماً أنه أيضاً ما كتب للنبي إلا ثلاث رسائل، ثم ليعلم علماً أكيداً أن كتابة معاوية للوحي -على فرض أنها صحيحة كما يزعم ابن كثير- ليست عاصمة له مما وقع فيه مما قدمنا بعضه وسنذكر تمامه في بحث علمي مستقل إن شاء الله تعالى، بدليل أن عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب للنبي الوحي في مكة أول ما نزل الوحي ارتد وخرج من الإسلام بعد ذلك كما في ترجمته في كتب الحفاظ المحدثين ومنها كتاب سيرأعلام النبلاء (٣/ ٣٣) والإصابة لابن حجر وغير ذلك، وروى أبو داود في سننه بسند حسن عن ابن عباس قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله فأزلّه الشيطان فلحق بالكفار، فأمر به رسول الله أن يقتل يوم الفتح... انتهى (دفع شبه التشبيه ص ٢٣٦ -٢٤٢ الهامش).

وإذا كان رسول الله الذي نزل عليه الوحي يخاطبه الله بقوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥، الزمر: ١٣] فما بالك بمن كتب الوحي؟!

أما عن الابن البار يزيد بن معاوية

فهو الذي تلقف الخلافة كالكرة مثلما أوصى جده أبوسفيان، وهكذا أصبحت الأمة ساحة لصعود الظالمين، وساحة لقتل أعلام الهداية وإليكم بعض منجزات يزيد.

منجزات المجتهد يزيد بن معاوية!!!

- في تاريخ ابن كثير ٨/ ٤٣٦: "اشتهر يزيد بالمعازف، وشرب الخمور، والغناء، والصيد، واتخاذ القيان والكلاب، والنطاح بين الأكباش والدباب والقرود، وما من يومٍ إلا ويصبح فيه مخموراً، وكان يشد القرد على فرس مسرجة بحبال ويسوق به، ويُلبس القردَ قلانسَ الذهب وكذلك الغلمان، وكان يسابق بين الخيل وكان إذا مات القرد حزن عليه، وقيل إن سبب موته أنه حمل قردة وجعل ينقزها فعضته..."

- ومن منجزات يزيد قتله للحسين بن علي سبط رسول الله، وكتب التاريخ

مشحونة متواترة بذلك، بل إنه عندما قتل الحسين تمثل بأبيات ابن الزبعري فقال:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل

انظر تاريخ ابن كثير، وإذا أردت المزيد عن مأساة كربلاء فاطّلع على جميع كتب التاريخ، حتى تعرف حقيقة هذه الشخصية.

وقعة الحرة

وتعتبر من أعظم منجزاته التي تقرب بها إلى الشيطان، فعندما ثار أهل المدينة عليه أرسل إليهم مسلم بن عقبة بجيش من أهل الشام، وإليك ماذا فعل هذا الجيش:

قال الطبري وغيره: واباح مسلم المدينة ثلاثايقتلون الناس ويأخذون الاموال[1]

وقال اليعقوبي: "فلم يبق بها كثير أحدٍ إلا قُتل، وأباح حرم رسول الله (أي المدينة المنورة) حتى ولدت الأبكار لا يُعرف من أولدهن)[2]

وفي تاريخ ابن كثير: قُتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن، وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله، وقال: قُتل بشرٌ كثير حتى كاد لا يفلت أحدٌ من أهلها، وقال: ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج!)[3]

بعد كل هذه الجرائم نجد من بعض أهل السنة من يقول: ذاك إمام مجتهد! والقائل أبو الخير[4].

بل إن ابن كثير نفسه الذي سجل تاريخُه مخازيَ يزيد يقول -بعدما نقل عن

(١) تاريخ الطبري ١١/٧، ابن الاثير ٤٧/٣، ابن كثير ٢٢٠/٨
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢٥١/٦
(٣) ابن كثير ٦/ ٢٣٤.
(٤) ابن كثير ٩/١٣

أبي الفرج تجويز لعنه- قال ابن كثير: ومنع من ذلك آخرون وصنفوا في ذلك أيضا لئلا يُجعل لعنُه وسيلة إلى إبيه أو أحد من الصحابة، وحملوا ماصدر منه من سوء التصرفات على أنه تأوّل فأخطأ، وقالوا إنه مع ذلك كان إمامًا فاسقاً، والإمام إذا فسق لا يُعزل بمجرد فسقه على أصح قولي العلماء!![1]

وها هو ابن حجر الهيثمي -الذي أورد في كتابه (الصواعق) الأحاديث الجمة عن فضائل أهل البيت- نقل عن الغزالي والمتولي بأنه: لا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره؛ فإنه من جملة المؤمنين، وأمرُهُ إلى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه[2].

وتعاقب على حكم المسلمين..

وتعاقب على حكم المسلمين كثير من الأئمة الظلمة، فكان لا بد من إضفاء الشرعية على حكمهم، وهكذا بدأت تترسخ ثقافة تدجين الأمة للحكام الظلمة عبر أمثال هذه الروايات:

١- روى مسلم عن حذيفة أنه قال: "يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنسي" قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: "تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك"! مسلم كتاب الإمارة/باب الأمر بلزوم الجماعة وهكذا تعاقب على الأمة أئمة قلوبهم قلوب الشياطين إلى الآن، وأخضع علماءُ السوء على مدى العصور الشعوبَ للحكام، والحكامُ بدورهم وفي هذا الزمن أخضعوا الشعوب لأمريكا وإسرائيل، فانظروا ماذا جنت ثقافة السقيفة على الأمة وأين أوصلتها والله المستعان!

هل هذه الاختلافات ثمرة بغي أم سوء فهم

ينبري الكثير من الوهابية مدافعين عن حالة الاختلاف التي كانت قائمة بعد موت الرسول (ﷺ)، بحجة أنه سوء فهم وأن النيات كانت حسنة، والواقع أن الله يؤكد في أكثر من آية أن الاختلاف بعد موت الأنبياء ووضوح بيناتهم ليس إلا ثمرة

(١) ابن كثير ٨/٢٢٣-٢٢٤.
(٢) الصواعق المحرقة ٢٢١.

البغي، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٣].

«الرؤية القرءانية في تقييم الصحابة»

مقدمة لا بد منها:

عكفت مساجد ومنابر آل سعود وأذنابهم من حزب الإفساد وآل الأحمر -بعد كل موقف إيماني ووطني يتخذه أنصار الله في مواجهة مؤامراتهم؛ ابتداء بالتوقيع على المؤامرة (المبادرة) الخليجية، وانتهاء بمحاولة إفشال مؤتمر الحوار الوطني، وكذلك تمرير مشروع الأقاليم، ومواجهة العدوان السعودي- عكفوا على إثارة النعرات الطائفية وافتعال عدة قضايا (دماج، كتاف، الدواعش في الجنوب) بالتنسيق مع أسيادهم في المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، وذرْف دموع التماسيح على الصحابة ونساء النبي (ﷺ)، وكأنهم الأوصياء عليهم، ولأنهم شغلوا اليمنيين نعيقا حول موضوع الصحابة ونساء النبي صلوات الله عليه، وافتروا على أنصار الله وضخموا وضللوا على الناس إعلاميا حول هذا الموضوع، ولم يكلفوا أنفسهم حتى بالاستماع إلى أنصار الله وقراءة منهجهم القرآني قراءة منصفة بعيدا عن الاستغلالِ السياسي وشَرَهِ الوصول والسيطرة على الحكم الذي جعلهم يفترون الكذب على خصومهم السياسيين من أنصار الله والذين بدأ صيتهم يذاع بالعدل والعزة والخير أينما حلوا، ولذلك آثرنا أن نوضح المسألة في هذا المنشور.

هل غِيرتهم دينية أم سياسية؟

فهل يا ترى أن غِيرتهم على الصحابة ونساء النبي (ﷺ) غِيرة دينية أم أنها غيرة سياسية يوظف فيها الدين لصالح مكاسب سياسية قذرة كما هي عادتهم؟ بلا شك أن الله كشف قناعهم على حقيقته، وافتضح هؤلاء بحمد الله حينما لم يَغيروا ولم يثوروا حميةً لرسول الله صلوات الله عليه وآله ضد إساءات أمريكا ولا حتى بمظاهرة، ولم يُلهبوا مشاعر اليمنيين في مساجدهم ومنابرهم ضد أمريكا

التي أساءت لنبي الرحمة، كما شغلوا الناس نعيقا حول موضوع سبّ الصحابة، هذا بحمد الله يكشف حقيقة غِيرتهم وأنها لدوافع سياسية لا تمت إلى الدين بصلة.

أنصار الله ومنهجيتهم القرآنية:

وبما أن أذناب أمريكا بدؤوا يتناولون ثقافة الأمة القرآنية بالتشويه، آثرنا مناقشة بعض الأطروحات الثقافية حول المواضيع التي يثيرونها، ولكن بمنهجية قرآنية، هذه المنهجية دعت الناس للخروج من الخطاب الطائفي المذهبي الضيق إلى آفاق الخطاب القرآني الذي يُعتبر الكلمةَ السواء فيما بين المؤمنين والقاسم المشترك ونقطة الالتقاء بين كآفة المسلمين؛ باعتباره الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وباعتباره الكتاب الذي خوطب رسول الله بتبيينه للناس لا سواه: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤]، ولذلك نعتقد بأن الحل للواقع السيئ والمظلم -الذي يعتبر امتدادا لتراكمات ثقافية سابقة أوصلت الأمة إلى ما وصلت إليه من ثقافة الانحطاط والاستعباد للأنظمة والحكام الظلمة بحجة طاعة ولي الأمر وإن كان ظالما- لن يتأتى إلا بالعودة إلى القرآن، ولذلك نؤكد أنه ليس هناك قداسة فوق قداسة الحق، ولا مكان في ثقافة القرآن للمحاباة والمجاملة لأحد فوق الحق والقسط الذي أراد الله منا أن نجسده في واقعنا: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ﴾ [النساء: ١٣٥] بل إن الله لم يجامل ويحابي رسوله أشرف الخلق وأطهرهم، وأكد هذه القضية بقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام: ١٥]، ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥]، وقوله تعالى لداوود عليه السلام: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: ٢٦]، فإذا كان الله يُجري ميزان

الحق على رسله وأشرف الخلق وأبعدهم عن الظلم، فغيرهم أولى بذلك سواء كانوا صحابة أو من أهل البيت أو من نساء النبي، ومن هذا المنطلق نؤكد أن المنهجية التي تخاف من الحقيقة ووضوحها، وتحاول أن تجامل وتحابي الأقارب والأصحاب على حساب الحق، وتضع هالة من القداسة أمام مناقشة أخطاء تاريخية وثقافية مازلنا نعاني من أثارها حتى اليوم، هي منهجية الأنظمة المستبدة وليست منهجية القرآن الكريم.

الوهابية يخافون من قراءة التاريخ:

من العجيب أن يعيش الإنسان في حالة من الخوف من دراسة تاريخه، وكأننا أمة بلا تاريخ، ومن الأسوأ أن يكون ذلك باسم الدين كما تفعل الوهابية -التي نشأت بمباركة ودعم أمريكي بريطاني- بشقيها السلفي والإصلاحي؛ تراهم يرفضون رفضا قاطعا الحديث عن الأخطاء التاريخية المربوطة بماضي الأمة، وبالذات إذا كانت متعلقة بالصحابة، وإن كان الغرض دراسة الإيجابيات والسلبيات لنستفيد ونتجنب، فلا علاقة للماضي بالحاضر في نظرهم ونظر من لا يعرف أهمية العودة إلى مفترق الطرق لمعرفة الخلل وعدم تكراره، ولذلك فإن القرآن يؤكد أن الحاضر والمستقبل هو امتداد طبيعي للماضي، فإذا كان ماضي الأمة ملوثا ويحمل ثقافة خاطئة، فإن آثار هذه الثقافة سيمتد عبر الأجيال حتى تُعلِنَ هذه الأمة براءتها من تلك الثقافة ومن تلك الرموز، يقول الله سبحانه وتعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، ما الذي يجعل العذاب يمتد عبر الأجيال غير امتداد الثقافة المغلوطة؟ ولذلك أمر الله رسوله أن يقول لليهود الذين في عصره: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، رغم أن بينهم وبين من قتل الأنبياء مئات وآلاف السنين، ولكنْ لأنهم امتداد طبيعي لثقافة أجدادهم؛ ثقافة القتل والحقد على البشرية جمعاء.

التفسير الخاطئ ومعاداة التاريخ:

والتفسير الخاطئ لمعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: ١٤٠ - ١٤١]، التفسيرُ بأنه لا يجوز قراءة التاريخ غيرُ صحيح؛ لأن الآية مما يفهم من معانيها أنها في موضع تذكير بني إسرائيل أن لا يتشدقوا بأن الأنبياء منهم فلكلٍ كسبه وعمله، على وفق المبدأ القرآني: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٤]، وبما أن الآية وردت في سياق ذكر الأنبياء؛ فهل يعقل أن الله نهى عن معرفة تاريخ أنبيائه وهو من يقول لرسوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾ [يوسف: ١١١]؟ والقرآن مليء بذكرهم وذكر قضايا تاريخية عن أمم سابقة، ولا يصح أن يقال إن أمة محمد قد خلت بانتهاء القرن الأول؛ لأن أول وآخر قرن فيها ضمن إطار أمة واحدة هي أمة محمد، ولذلك نؤكد أن الواقع المزري للأمة الإسلامية هو لأنها رضيت لنفسها أن تكون امتدادا طبيعيا لأخطاء تاريخية ولرموز تاريخية منحرفة عن منهجية القرآن، وما هذا الواقع المزري للأمة الإسلامية إلا ثمرة من ثمرات مَن انحرفوا بالأمة عن خط القرآن، وبالذات أن منهجية الوهابية هو أخذُ الدين من أي شخصية صحابية! المهم أنها رأت الرسول وأسلمت، دون التحري عن تاريخ هذا الصحابي ومواقفه، فالكل -عندهم- مقدسون ولا يجوز أن تناقش الأخطاء التي ارتكبها بعضهم، رغم أن القرآن ناقشها بوضوح ولم يجامل حتى أشرف الخلق، وأمَرَه أن يقول: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥، الزمر: ١٣].

منهجية صكوك الغفران:

ما الفارق بين هذه المنهجية القرآنية من جهة، وبين منهجية من يفتح الباب على مصراعيه ويقدم صكوك الغفران والحصانة التي تشجع على ارتكاب المعاصي من جهة أخرى؟ كما في هذه الأحاديث المزعومة: "ما ضر عثمان ما صنع بعد اليوم"، "إن

الله اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم آخرين يذنبون..." الخبر، كما روته كتب الوهابية[1]، ونحن نرى كتاب الله يطرح الموضوع بخلاف ذلك في قوله عز وجل: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨]، كما أن الصحابة المنتجبين ليسوا بحاجة هذا الافتراء، إن مَن شرعن لبعض الرموز التاريخية الانقلابية جرائمهم في حق الأمة وأدخلهم تحت ستار الصحابة زورا وبهتانا، هم أتباع نفس المنهجية والتدين الشكلي الذي شرعن لعلي عبدالله صالح وعلي محسن الأحمر جرائمهم تحت ستار الحصانة، وقائد الجيش الموالي للثورة، وطاعة ولي الأمر، وغيرها من الألقاب الوهمية، فالتاريخ يعيد نفسه.

التلقي العشوائي للدين ونتائجه:

ونتيجة لأخذ الدين بشكل عشوائي عن المجتمع الذي كان في عهد الرسول، ترتب على ذلك مشروع ثقافي مغلوط يحمله التيار الموالي لهذه الشخصيات التاريخية، ولو لم يكن من ثمرات هذا التوجه الثقافي إلا تلك الرواية سيئة الذكر التي مازالوا يقدسونها إلى الآن بحجة أنها مروية عن صحابي -وكل الصحابة عدول!!!- والتي تشرعن لطاعة ولي الأمر وإن كان ظالما غشوما، وإن جلد ظهرك وأخذ مالك ما لم يعلن كفرا بواحاً!!! والتي كان من نتائجها أن استُعبدت الشعوب الإسلامية لأنظمة مستبدة، فكان لهذه الثقافة والمنهجية المستوردة من خارج ثقافة القرآن دور الريادة في إخضاع الشعوب المسلمة للحكام الظلمة، الذين بدورهم أخضعوا شعوبهم لأمريكا وإسرائيل.

معنى الصحبة ودلالاتها.

إن مفردة الصحبة لا يستلزم منها المديح لمن يتصف بها، ولا حتى تقتصر على معشر البشر، فالصحبة قد تكون بين مؤمن وكافر قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴿٣٧﴾﴾ [الكهف:

(١) انظر صحيح مسلم رقم الحديث ٢٧٤٩.

٣٧]، وقد تكون مع الحيوان: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴿١﴾﴾ [الفيل: ١]، وقد تكون مع الجماد: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، بل إن الصحبة قد تكون بين النبي وكفار قريش: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير: ٢٢]، وبشكل عام لا يوجد في القرآن مديح لمن صاحب رسول الله لمجرد الصحبة بعيدا عن الإيمان والعمل الصالح، ومن هنا يتضح حجم الضجة المفتعلة لمصطلح الصحابة، والذي أصبح عقيدة من عقائد التكفيريين التي يستبيحون من أجلها دماء أبناء الإسلام، وكذلك يتضح من خلال القرآن أن من صَحِب الرسول ولم تقترن صحبته باتباع وهجرة أو نصرة لا قيمة لها عند الله؛ لأن مديح الله في القرآن هو لمن اتبع وهاجر وناصر وتوفي على ذلك لا لمجرد الصحبة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

هل يمكن أن ينقلب الصحابة؟.

من الأسئلة التي تطرح من جهة الوهابية على سبيل الاستبعاد: هل يعقل أن يحصل انقلاب على توجيهات النبي بعد موته من قبل بعضٍ من صحابته؟ إذا صح ذلك فمعناه أن النبي فشل في تربيتهم! ومعنى ذلك أيضا أن الإمام عليا داهن وجبن فلماذا لم يقاتل لأخذ حقه؟

والجواب على ذلك هو أنه يتضح أن هذه الأسئلة والافتراضات بعيدة عن روح القرآن، فالله أكد لنا في كتابه الكريم أنه قد يحصل انقلاب، وأن القضية ليست مستغربة، فقد حصلت مع كثير من الأنبياء والرسل قبل خاتمهم يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقد حكى القرآن عملية انقلاب للصحابة في وجود

نبيَّين وليس مجرد انقلاب بعد موتهما، وهم صحابة النبيَّين موسى وهارون، ولم يكن الانقلاب مجرد تغيير إمام بدل الإمام الشرعي، بل تم تغيير إله بدل الله الواحد، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢]، وعندما أنقذهم الله من فرعون ومن الغرق وفي وجود نبيَّين تم الانقلاب على الله: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وهنا نقف عند هذه الآية لنتساءل هل كانت تربية موسى لأصحابه فاشلة أم أنهم هم الفاشلون؟ من هنا يتضح بطلان تساؤل الوهابية الثاني، لقد أضلهم السامري، والسامري كان من كبار صحابة موسى، فلا يُستبعد أن يقوم مجموعة من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لينقلبوا على رسول الله بعد موته، ويرفعوا يد أبي بكر بدل يد على التي رفعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم، وأما بالنسبة لقولهم أن الإمام عليا عليه السلام بايع ورضي بأبي بكر، وأن رفض هذه القضية يستلزم منه تجبين الإمام علي؛ فكيف يسكت عن هذا الولاية وهو يعلم أن النتائج ستكون كارثية فالجواب من عدة نواحي:

أولا: قال الله تعالى ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فهل عدم مواجهة هارون لهذا الانقلاب يعتبر جبنا؟! وهل عدم قتالهم دليل على أن هارون جبان والعياذ بالله؟ بالتأكيد لا، لقد استخدم نبي الله هارون عليه السلام الأسلوب الذي يراه مناسبا مع تلك الوضعية والظرف الذي وصل في مراحل أخرى إلى الحد الذي قال فيه موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٥﴾ [المائدة: ٢٥]، حالة لا مبالاة لعامة أصحاب موسى أمام التوجيهات الإلهية لم يملك معها موسى إلى أن يتركهم يذوقوا وبال أمرهم، فكانت عقوبة التيه لعل وعسى أن يتراجعوا عندما يذوقون عاقبة العصيان.

ثانيا: لقد استخدم الإمام علي كل الوسائل الممكنة لتذكير الناس بخطورة الموقف الذي اتخذوه، بل وبحث عمن يناصره لإعادة الحق إلى نصابه، بل واستخدم الجانب العاطفي المتمثل بالزهراء لاستثارة المهاجرين والأنصار وتذكيرهم بتوجيه

النبي في غدير خم، ولكن القوم تعاملوا بلا مبالاة مع الموضوع، فكانت غاية ما استطاعه الإمام علي هو أنه تركهم ليذوقوا وبال أمرهم لا سيما مع تخوفه على بيضة الإسلام ممن يتربص بها من أعدائها الداخليين والخارجيين.

ثالثا: القولُ بأن الإمام عليا كان راضيا ببيعة أبي بكر مناقضٌ لما أوردته كل المصادر التاريخية عن الحدث.

رابعا: إن صلاح حال الأمة مرهون بمدى وعيها، فعندما تكون الأمة لا مبالية ولا تدرك قيمة أن يكون الإمام علي هو وليها بعد رسولها، فمن الطبيعي أن يتولاها من هم دونه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

من هو الصحابي وما هو حكمه عند الوهابية:

الوهابية تؤمن بأن كل من رأى النبي ولو للحظة واحدة في العمر وأسلم فهو من الصحابة ويُجزم بأنه عدل زكي طاهر لا يتطرق إليه شك ولا يخضع لمعايير الجرح والتعديل، بل تؤخذ رواياتهم عفويا بدون تمحيص، وهذا لعمري كان سببا كبيرا في إدخال الأحاديث المكذوبة والثقافة المنحرفة على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، يقول النووي وهو من علماء الحديث عند أهل السنة: فأما الصحابي فكل مسلم رأى رسول الله (ﷺ) ولو للحظة، هذا هو الصحيح في حده، وهو مذهب بن حنبل وأبي عبد الله البخاري في صحيحه والمحدثين كافة.[1]، وخلاصة مفهوم الوهابية في تعريف الصحابي أن المجتمع الذي رأى رسول الله وأسلم في عهده كلهم صحابة وكلهم عدول، بينما يقول أهل الثقافة القرآنية إن المجتمع الذي رأى رسول الله المقياسُ في تعديله هو العمل وليست الرؤية؛ فمنهم الصادق في إيمانه ونصرته وهجرته، ومنهم من انقلب على عقبيه، وهم بشكل عام خاضعون للتقييم القرآني بدون وضع أي هالة من القداسة تجاه ذلك.

(١) صحيح مسلم شرح النووي ١/٣٥-٣٦.

أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض

عندما يتحدث الوهابيون عن الصحابة يتعاملون بشكل انتقائي، ويتغاضون عن كثير من الآيات التي توبخ جزءا منهم، فإذا كان القرآن أثنى على جزء من الصحابة ممن هاجر وناصر واستمر على ذلك بصورة الثناء المجمل، هو أيضا ذم وانتقد وناقش بعض أخطاء الصحابة في صورة الذم المجمل، والوهابية حذت حذو أهل الكتاب الذين وبَّخهم الله عز وجل بقوله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

وإليك بعض الآيات التي تذم بعضا من الصحابة بصيغة الإجمال:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ - ٣] أليست هذه الآية أول ما نزلت في المجتمع الذي آمن ورأى الرسول؟ أي الصحابة حسب مفهوم الوهابية؟

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [التوبة: ٣٨ - ٣٩].

وقال عنهم: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥﴾ [التوبة: ٢٥].

وقال عنهم يوم أحد: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وقال عنهم يوم الأحزاب: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠﴾ [الأحزاب: ١٠].

وقال عنهم في سورة الممتحنة: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]: .

وقال عن أصحاب الإفك من الصحابة وفيهم بدريون: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣﴾ [النور: ١٣].

وقال عن المُظاهِر من امرأته وهو صحابي: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢].

وقال عن الذين أسلموا عنده من بني تميم: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقال عن الوليد بن عقبة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦].

وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال في حق بعض أصحاب النبي (ﷺ): ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

بل إن القرآن بيّن أن بعض الصحابة لا يحترمون خطبة رسول الله ويخرجون منها إلى تجارتهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة: ١١].

وقال: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠١].

حتى أن بعضهم ممن رأى النبي وآمن ثم كفر وتحول إلى منافق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٣].

فمن يقول -كما يقول الله في القرآن- إن بعض الصحابة يقولون ما لا يفعلون، وإن بعضهم يتثاقل عن النفير، وإن الله هدد بعضهم بالاستبدال، وإن بعضهم يفر من الزحف وينازع ويعصي ويسيء الظن بالله ويكذب ويأفك ووو الخ، هل هذا تقييم وكشف لحقيقة وواقع بعض الصحابة أم أنه شتم وسباب؟ هل هذه رؤية قرآنية أم

رؤية رافضية؟ هل أن القرآن كان مؤدبا مع الصحابة أم أن الوهابية أكثر أدبا!!!

ازدواجية المعايير:

يتم التركيز في قنوات التكفيريين على بعض المقاطع للسيد حسين وهو يتناول بعض الصحابة وإحدى نساء النبي بالنقد البناء والتقييم والكشف لواقعهم، ويوضع كل ذلك ضمن إطار السب والشتم للصحابة ونساء النبي، ويمكن مناقشة الوهابية حول هذا الموضوع في ثلاث جوانب:

أولا: لماذا الهجوم على السيد حسين والتغاضي عن بعض علمائكم ممن تكلم بكلام قادح في بعض الصحابة:

١- فابن عثيمين وهو أحد كبار علماء الوهابية في شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية يقول: ولا شك أنه حصل من بعضهم [أي الصحابة] سرقة وشرب خمر وقذف وزنا بإحصان وزنا بغير إحصان.

٢- والبخاري وهو من كبار المحدثين الذين يجلهم الوهابية يروي في قدح عائشة هذا الحديث: "قام النبي خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ها هنا الفتنة -ثلاثا- من حيث يطلع قرن الشيطان)[1].

وقد أورد البخاري -وغيره من العلماء الذين يقدسهم الوهابية- روايات تتحدث عن مصير كثير من الصحابة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإليك شيء من هذه الروايات:

١- ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي (ﷺ) قال: "بينا أنا قائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم فقلت أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلمّ، قلت: إلى أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» البخاري كتاب الرقاق -

(١) صحيح البخاري ص٢١٧ج٤كتاب الخمس.

باب في الحوض ، وهؤلاء الذين أُخِذوا إلى النار صحابة بدلالة أحاديث أخرى صحيحة منها:

"فأقول: يارب أصحابي أصحابي!! فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك". البخاري، كتاب الفتن ما جاء في قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ﴾ [الأنفال: ٢٥].

٢- وفي تاريخ ابن كثير قال: أخرج البيهقي عن أبي الدرداء قال: يا رسول الله بلغني أنك تقول: ليرتدن أقوام بعد إيمانهم. قال (ﷺ): أجل ولست منهم". وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ ...﴾ [آل عمران: ١٤٤].

٣- وقال (ﷺ): "إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه" سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٢٠٢/٦، رقم الحديث ٢٩٨٢ (المصدر في الحاشية)، وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما: أن عمر بن الخطاب طلب من النبي (ﷺ) أن يضرب عنق عبد الله بن أبي فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي (ﷺ): "دعه لا يتحدث الناس بأن محمدا يقتل أصحابه" مسلم كتاب البر والصلة باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوما.

٤- وروى مسلم في صحيحه عن النبي (ﷺ) أنه قال: "في أصحابي اثنا عشر منافقا، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط"[١].

ويجب أن يفهم القارئ أن الصحابة من المهاجرين والأنصار لهم مكانة عظمى عند الله في حالة الاستمرار على ذلك وعدم النكث، ولا عبرة لهم إلا بالخواتيم، قال تعالى: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ ...﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالى حاكيا نفس القضية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمَۢا ١٠﴾ [الفتح: ١٠].

(١) صحيح مسلم/ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم ٩ أو ٢٧٧٩.

فالله سبحانه وتعالى في الآية الأولى قد رضي عن المؤمنين المبايعين، ولكنه أكد في الآية الثانية أن رضاه مستمر لمن استمر على العهد، أما الذين ينقضون عهدهم فهم معرضون للسخط بعد الرضا، ويدخل في هؤلاء من قال عنهم النبي (ﷺ): "... فأقول: يارب أصحابي أصحابي. فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك" كما سبق والعبرة بالخواتيم.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ...﴾ [الفتح: ٢٩].

يقول مؤلف كتاب الصحبة والصحابة ص٦٧: «لولا أن بعض الناس يورد هذه الآية للدلالة على فضل المتأخر من المسلمين في عهد النبي (ﷺ) كالطلقاء والأعراب والوفود وأمثالهم لما أوردتُها هنا؛ فالآية من سورة الفتح التي نزلت بعد فتح الحديبية وقبل فتح مكة، وعلى هذا فالثناء فيها على الذين مع النبي (ﷺ) ينزل على المؤمنين يومئذ من المهاجرين والأنصار، ولا ينزل على مَن بعدَهم، إضافة إلى أن المعية هنا تقتضي النصرة والتمكين أيام الحاجة والذل والضعف..." ، والمقصود أن الآية لم تقل محمد ومن رآه ولو للحظة وآمن به، وإنما قالت: "محمد والذين معه" أي سار على نهجه قلبا وقالبا، ثم الآية وضعت قيودا (أشداء على الكفار رحماء بينهم)، وما حصل بين الصحابة -من معارك في الجمل وصفين وفتنة مقتل عثمان وآلاف الدماء التي سالت- يدل على أن الكثير من الصحابة كانوا أشداء على بعضهم بعضا.

ثانيا: لماذا الإيهام لعامة الناس من جهة الوهابية أن السيد حسين يعم بالانتقاد جميع الصحابة ونساء النبي، فهذا يعتبر افتراء كبيرا على السيد حسين.

ثالثا: ما ذكره السيد حسين عن أبي بكر وعمر وعثمان من أنهم (مخطئون، عاصون، ضالون)، وما قاله عن عمر من أنه "كل سيئة في الأمة هذه، كل ظلم وقع على الأمة، وكل معاناة الأمة وقعت فيها المسئول عنها أبو بكر وعمر وعثمان، عمر بالذات لأنه هو المهندس للعملية كلها»، هل هذا الكلام خارج عن إطار الأسلوب

القرآني في نقد وتقييم بعض الصحابة؟ ففي المقطع الأول لم يخرج السيد حسين عن أسلوب القرآن الذي قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ﴾ [سورة آل عمران - من الآية ١٥٢]، وقال عن آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ١٢١﴾ (سورة طه - من الآية ١٢١)، وقال عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾ (سورة الشعراء - الآية ٢٠)، رغم أنه لا مقارنة بين معاصي الأنبياء وغيرهم، فلا يصح أن يقال إن كلام السيد حسين شتم وسب وبعيد عن المنهج القرآني، وبالنسبة لما قاله السيد حسين عن عمر فهو في إطار كشف الحقائق التاريخية، ولم يزد عن ما رواه البخاري وغيره من المحدثين، وكذلك المؤرخين التابعين لأهل السنة حول رزية الخميس المشهورة وكيف كان موقف عمر:

١-روى بن عباس وقال: لما حضر النبي (ﷺ) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: "هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده"، قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت، فمنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال: "قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع"[1].

وفي رواية: بكى ابن عباس حتى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتد برسول الله (ﷺ) وجعه، فقال: "آتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا". فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله!!!!! البخاري كتاب الجهاد/باب جوائز الوفد وكتاب الجزية/باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، وصحيح مسلم، كتاب الوصية/باب ترك الوصية.

هل يعقل أن تصل أخلاق المسلم إلى الدرجة التي يدعي فيها أن رسول الله يهجر أي -يُخرف- وهو يقول لن تضلوا بعد هذا الكتاب؟! أليست ملامح سقيفة بني ساعدة تؤكد أن القوم كانوا حريصين على الخلافة، وأن لا يُدوِّن النبي (ﷺ) في آخر حياته بما كان يكرره عليهم باستمرار: "أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه"، "إني تارك فيكم

(١) صحيح البخاري كتاب العلم/باب كتابة العلم.

ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي...".

فكم هي الرزية التي رزئت بها الأمة عند منع الرسول من كتابة هذه الوصية، وقد أكد ذلك ابن عباس حيث يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ﷺ) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/باب قول المريض قوموا عني وباب كراهية الخلاف، أليس حديث السيد حسين هو مضمون نتيجة هذه الرزية؟ بلى والله.

افتراء الوهابية على السيد بدر الدين رحمة الله عليه:

ومن الأكاذيب التي يسطرونها في منشوراتهم أن السيد العلامة بدر الدين قال إن الصحابة كفار... ومرتدون!! وهذه كذبة إصلاحية وسلفية بإيعاز من أسيادهم في مطابخ الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية والسعودية، وأتحدى أن يأتوا بها في أي كتاب من كتبه، وكيف يقول هذا الكلام والنسبة الأكبر من المهاجرين والأنصار كانت إلى جانب الإمام علي في مواجهة الناكثين والقاسطين والمارقين؟

ملاحظة مهمة فيما يتعلق بصاحبه في الغار

بعض العلماء يرفضون الاعتراف بأن أبا بكر كان في الغار واستندوا على أدلة كثيرة لا مجال لذكرها هنا, وبغض النظر عن صحة ذلك من عدمه فمن كان مع رسول الله تثبت الآيات أنه كان حزينا على نفسه وليس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, دعونا نتأمل في الآيات ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة٤٠] يظهر من خلال القرآن أن صاحب الرسول في الغار كان حزينا على نفسه ولهذا لم يستحق نزول السكينة عليه كما نزلت على رسول الله ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ أي على الرسول، ولم يقل عليهما أو عليهم كما في آية أخرى ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾،

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[الفتح١٨] وخلاصة الآية تذكير النبي لصاحبه بأن لا داعي للحزن مادام الله معنا ، فمعية الله بحاجة لاستجابة العبد ليترتب عليها السكينة والتأييد الإلهي ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة٧].

فيما يتعلق بنساء النبي صلى الله عليه وآله الطاهرين:

تعال معي إلى سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة التحريم، والتي تؤكد أن القرآن يتناول أي شخصية مهما كانت قريبة من رسول الله ويضعها تحت ميزان التقييم، بدون مجاملة أو وضع هالة من القداسة والتهويل حول مناقشة مثل هذه القضايا، هذه السورة تناولت شخصيتين من أزواج الرسول صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التحريم:١].

هذه الآية توحي أن بعض زوجات الرسول صلوات الله عليه وآله اضطرت الرسول إلى أن يُحرم على نفسه شيئا أحله الله من أجل أن يرضيهن، أليس معنى ذلك أن إرضائهن في بعض الأمور قد لا يُرضي الله وقد يفضي إلى أن يحرم الرسول على نفسه حلالا أحله الله؟

وفي الآية الثالثة: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾ [التحريم:٣]، ذكر الله أن إحداهن أفشت سر رسول الله، فهل هي منهجية قرآنية أن لا نتكلم عن أخطاء نساء النبي؟ أم أن الله نسف هذه

الرؤية، وطرح الخطأ والغلطات التي تحصل منهن بشكل واضح، بدون وضع هالة من القداسة والتهويل على ذكر مثل هذه المواضيع كما تعمل الوهابية؟

وكيف كان تعامل الله معهن؟ هل جامل وحابى؟ أم أنه تكلم بدون أي مجاملة ومحاباة؟ قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾ [التحريم: ٤] هل أمرُ الله لهن بالتوبة، وتذكيرُه لهن بأن قلوبهن قد صغت ومالت، وأنهن إذا تظاهرن على رسوله فإن الله وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة سيكونون مظاهرين مع رسول الله ضد مظاهرتهن، هل هذا خطاب وتهديد قوي يتوجه إلى هاتين الزوجتين؟ أم يصح أن نقول -وحاشا- إن الخطاب القرآني خطاب رافضي حوثي وغير مؤدب، ويجب أن نخفف من حدته ضد أزواج الرسول؟ هل يعقل أن يقول مؤمن هكذا؟!

وهذا تهديد آخر من الله لهاتين الزوجتين: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا ۝٥﴾ [التحريم: ٥].

نستوحي نقاطا من هذه الآية:

التلميح بالطلاق بشكل تهديدي.

التهديد بأن يبدله أزواجا خيرا منهن، معنى ذلك أن هناك من هو خير من عائشة وحفصة من النساء المؤمنات، فلماذا لا نسمع الوهابية لا تتكلم إلا عنهن وكأنه لا وجود لمؤمنات أخريات؟ لماذا لا يتحدثون عن فاطمة عليها السلام؟ من يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، كما هو مروي في كتب المسلمين جميعاً؟ ولاحظ الفرق بين من يكون رضاها ينسجم مع رضى الله، ومن يكون إرضاؤها في بعض الأمور لا ينسجم مع رضى الله، بل يفضي إلى أن يحرم الرسول على نفسه شيئا أحله الله، مثلما حصل مع عائشة وحفصة كما ذكر في أول السورة، فلماذا لا نجد الحديث عن فاطمة الزهراء وخديجة الكبرى وعن بقية نساء النبي رضوان الله تعالى عليهن.

التلميح بشكل تهديدي بأن يبدله بنساء، ويذكر مواصفات لهن ومن بين المواصفات "ثيبات" لأن حفصة كانت ثيبا "وأبكارا" لأن عائشة كانت بكرا.

وفي الآية الخامسة التي تؤكد على جميع المؤمنين أن لا ينسوا أن يقوا أنفسهم وأهليهم نارا وقودها الناس والحجارة؛ لأن المؤمنين قد ينشغلون بأعمال وينسون أنفسهم وأهليهم من التذكير بتقوى الله، والخوف منه فيحصل ما يحصل من أخطاء لدى الزوجات والأبناء وغيرهم.

وفي الآية العاشرة؛ كيف ضرب الله مثلا يؤكد لجميع الناس أن قربكِ من رسول الله حتى لو كنت زوجته لا يغنيك من الله شيئا إذا لم يترافق معه حالة التقوى والإيمان، ولذلك قال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: ١٠].

ونستوحي من هذه الآية نقاط عديدة:

أليس نوح ولوط من أنبياء الله، ألم تصبح امرأة نوح ولوط مضرب مثل للكفار وهن زوجات لأنبياء وأمهات المؤمنين؟ بل قال الله عنهن بكل وضوح إنهن من أهل النار.

بعد أن قال الله إن زوجة نوح ولوط عليهما السلام من أهل النار، هل يصح أن نقول إن الخطاب القرآني رافضي؟ كيف يتكلم عن أمهات المؤمنين بهذا الكلام القاسي؟!

إن هذه الآية فيها تنبيه أيضا لحفصة وعائشة مفادُه: لا تظنن أن قربكن من رسول الله صلوات الله عليه وآله قد يعصمكنّ من النار في حال وقعتن في مخالفة الرسول صلوات الله عليه وآله؛ فها هي زوجات أنبياء سابقين وقعن في نفس الغلط (مخالفة أزواجهن ومعصية ربهن)، فلم ينفعهن قربهن من الأنبياء، وهذا يؤكد عظمة الإسلام الذي لم يدع مجالا لمحاباة أو مجاملة لأحد على حساب الحق.

ثم تأمل معي إلى الآية الحادية عشرة، التي تؤكد على أن الرابط الإيماني ورابط

التقوى أعظم الروابط، وسيكون سببا لإدخالكِ الجنة حتى لو كنتِ زوجة فرعون: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التحريم: ١١].

ثم ذكر الله في الآية الأخيرة نموذجا للمرأة القانتة المخلصة؛ لتكون قدوة لكل المؤمنات في هذه الأرض وهي مريم عليها السلام.

هناك قيمة لكِ أن تكوني زوجة نبي لكنْ مع التقوى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ففي حالة انعدام التقوى -كما هو حال امرأت نوح ولوط- فلا قيمة لكِ عند الله ولو كنت زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعندما يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فعندما يأمر الله نساء النبي أن تستقر في بيوتهن، فتأتي إحداهن لتركب على الجمل وتقاتل الإمام علي عليه السلام، وهو من قال فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" ومن قال فيه الرسول: "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" -كما هو مروي في كتب المسلمين جميعاً- أليس ذلك مخالفة للتوجيه الإلهي؟ وكان من ثمرة خروج عائشة على الوصي ثلاثون ألف قتيل من المسلمين، مع العلم أن هذه المحاربة قد أفرزت واقعا سياسيا وثقافيا ممتدا حتى اليوم، غير الواقع الذي أراده الله ومضى عليه الرسول صلوات الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام.

الصحابة عند أئمة أهل البيت (رؤية قرآنية)

ورثة الكتاب يؤمنون بأن للصحابة الأخيار -من المهاجرين والأنصار- منزلة عالية عند الله لمن أحسن الإتباع لرسول الله وتوفي على ذلك، وفي تقييمهم للمجتمع المسلم الذي عاصر رسول الله، لا يخرجون عن رؤية القرآن، ولا يضعون

هالة من القداسة تجاه مناقشة أخطائهم وآثارها المترتبة على الأمة حتى عصرنا الحالي كما علمنا القرآن؛ فمن الصحابة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وتُوفوا على ذلك، ومنهم من انقلب على عقبيه ولم تنفعهم صحبتهم لرسول الله، وبشكل عام لايتبنون أسلوب المجاملة والمداهنة مع أحد حتى لو كان صحابيا أو من أهل البيت أو من نساء النبي، فالكل يخضع لقانون الحق، بل حتى النبي نفسه صلى الله عليه وآله وسلم ألم يقل الله له: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥، الزمر: ١٣] ؟ فإذا كان هذا الخطاب لأعظم الخلق فكيف بمَن هم دونَه ؟!

ويؤمن أهل البيت أن الصحابي بشر قد يخطئ ويصيب، ويخضع لمقاييس الجرح والتعديل كغيره من البشر، وأن الصحابة كغيرهم لا عبرة لهم إلا بالخواتيم.

شيء من أقوال أئمة أهل البيت عن الصحابة الأخيار:

الإمام الهادي يحيى بن الحسين تـ ٢٨٩ هـ:

قال الإمام الهادي في جوابه على أهل صنعاء: "ولا أنتقص أحدا من الصحابة الصادقين والتابعين بإحسان، المؤمنات منهم والمؤمنين، أتولى جميع من هاجر ومن آوى ونصر، فمن سبّ مؤمنا عندي استحلالا فقد كفر، ومن سبه استحراما فقد ضل عندي وفسق، ولا أسب إلا من نقض العهد والعزيمة وفي كل وقت له هزيمة من الذين بالنفاق تفردوا، وعلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرة بعد مرة تمردوا، وعلى أهل بيته اجترؤوا وطعنوا، وإني أستغفر الله لأمهات المؤمنين اللواتي خرجن من الدنيا وهن من الدين على يقين، وأجعل لعنة الله على من تناولهن بما لا يستحققن من سائر الناس أجمعين"[1].

الإمام المرتضى محمد بن الهادي تـ ٣١٠ هـ:

قال الإمام المرتضى بن الهادي: "ثم تعلمون من بعد ذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين قاموا بالدين وكانوا في الإيمان، واتبعوا بالطاعة والإحسان، واجب فضلهم مشهور، والطاعن عليهم مأزور، والمتنقص لهم مذموم

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي عليه السلام.

هالك عند الله مثبور، معذب مدحور؛ لمدحِ الله سبحانه لهم وما قال فيهم حيث يقول: ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح: ١٨] وقال عز وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، وفيهم من التفضيل في كتاب الله وعلى لسان نبيه ما لو ذكرناه لطال به الشرح وكثر فيه القول، فحقهم واجب على جميع المسلمين، وفضلهم لازم لجميع المؤمنين، فلا يسع أحدا من الناس طعن على أحد ممن ذكرنا، إلا الترحم عليهم، والاستغفار لهم واجب، والاقتداء بحسن أفعالهم لازم؛ إذ لهم السابقة القديمة، والأفعال المحمودة، والنية والبصيرة، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين، إنه لذو فضل على العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل، فذلك الواجب لمن ثبت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم ولم يتغير عما عاهد الله فيه، حتى لقي الله عليه"[1].

نستطيع أن نستشف من كلام الإمام المرتضى أن الصحابة المرضيين عند قرناء القرآن هم الذين جالسوا ولازموا وأسلموا وتوفوا على الإسلام، وأنت تشاهد البون الشاسع بين تعريفهم الذي هو بحق تعريف قرآني، وتعريفات كلٍّ غلاة الاثني عشرية والوهابية التي نتجت عن عواطف وردود أفعال لا علاقة لها بالقرآن وبالحق لا من قريب ولا من بعيد، إلا المعتدلين منهم وهم قلة بجانب الكثرة المتعصبة، والحق أن هذه المسألة قد أرقتني وأقلقت تفكيري لِما كان لها من نتائج سيئة على واقع الصراع السني والشيعي، الذي بلغ حد التكفير والتراشق الكلامي، وللأسف كنا نقعد مناقشين ومناظرين أحيانا مع الوهابية في هذه المسألة، ومع علمهم بعجزهم أمام حجة قرناء القرآن، التي لا تقاوَم في مقابل هشاشة حجتهم، سرعان ما يضعوننا تحت مظلة غلاة الإثني عشرية، ويبدؤون بسبنا وشتمنا ادعاء منهم

(١) مجموع كتب الإمام المرتضى.

أننا اثنا عشرية، وما ذلك إلا لعلمهم بعجزهم أمام حجتنا فيلقون علينا واقع الاثني عشرية؛ حتى يقنعوا أنفسهم على مضض ويقنعوا العوام بسلامة وقوة معتقدهم ولو بطرق ملتوية.

❖ ❖ ❖

فصلُ العملِ عن الإيمان (الإرجاء)

قيل إن أحد النصارى الأمريكيين دخل في الإسلام وهو في بلاده، وعندما جاء لزيارة بلاد المسلمين قال كلمته المشهورة: الحمد لله أنني عرفت الإسلام قبل أن أعرف المسلمين.

حقاً إنها كلمة مثيرة للحزن من رجل عرف حقيقة الإسلام، وعندما جاء إلى بلاد المسلمين لم يجد للإسلام وجوداً في حياة وسلوك الناس، ولم يجد الإسلام إلا شعارات تلوكها الألسن أو كما يعرف في بلداننا بـ (مسلم بالبطاقة).

كلنا يسمع عن العلمانية والتي تعني عند كثير من المفكرين (فصل الدين عن الدولة)، فالدين -عند العلمانيين- محله المساجد، وهو علاقة فردية بين العبد وربه، ولا شأن له بالسياسة وشؤون الدولة لا من قريب ولا من بعيد!!! وهو كما ترى تعريف خبيث، الغرض منه إقصاء الدين عن الحياة السياسية، وتحكيم الطاغوت بكل ما يمثله من نظريات بشرية، وإخضاع للمجتمعات البشرية لتجارب قاسية ومريرة كنتيجة أكيدة لمن استغنى عن الله بالعقليات البشرية المحدودة والقاصرة، لقد اجتهد كثير من علماء الإسلام في الرد على العلمانية، ولكنهم غفلوا كثيراً عن مفهوم آخر من المفاهيم المغلوطة التي غزت حياة المسلمين ألا وهو (الإرجاء) أو (فصل العمل عن الإيمان).

"وفي ظل هذا الفصل والفهم المعوج ترى المسلم واليهودي والمسيحي يتعاشرون سنين عديدة، فلا تستطيع أن تميز أحدهم عن الآخر في شيء.

الكل لا يدخل مسجداً، ولا يُقيم فريضة، ولا يحترم لله شعيرةً.

والكل يشرب الخمر، ويأكل الربا، ويفجر بالأعراض ويظلم العباد والبلاد.

وغاية ما بينهم من فوارق أن اليهودي يقدس يوم السبت، وقد يذهب المسيحي إلى كنيسته خلسة، أما ذلك المسلم المزعوم فليس يربطه بالإسلام إلا اسم سُجِّل في شهادة الميلاد فحسب"[1].

(١) مقدمة مجموع الامام القاسم عليه السلام ١/ ١١٦.

للاسف الشديد طفحت كتب أهل السنة وكتب الاثني عشرية بتلك الروايات التي تصور للمسلم أنه يكفيك أن تقر بالشهادتين، ولْتفعلْ بعدها ما شئت؛ فان مصيرك إلى الجنة.

إن هذا الكلام يشبه إلى حد كبير صكوك الغفران عند النصارى وإنْ تغيرت الوسيلة، مع فارق الفكرة، فيكفيك أن تعلن الولاء للكنيسة، ويكفيك أن تؤمن بالمسيح المصلوب -ابن الله تعالى الله عن ذلك- حتى تخلع عن عنقك كل مسؤولية، وتضمن الجنة بغير حساب!!

أمثلة لروايات الإرجاء عندأهل السنة والاثني عشرية

عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "..أما أخي جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله تعالى شيئاً دخل الجنة"، قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق"، قلت: وإن زنى وإن سرق؟، قال: "وإن زنى وإن سرق"، ثم قال في الرابعة: «على رغم أنف أبي ذر"[1].

روى ابن بابويه القمّي في الأمالي ص ١٥٦ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضل علي عليه السلام: "يا علي... يا علي إن شيعتك مغفور لهم على ما كان منهم من ذنوب وعيوب".

عن أبي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "أمتي هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابُها في الدنيا الزلازل والفتن والقتل"[2].

وروى الطوسي في الأمالي ص ٣٠٢ عن الصادق عليه السلام أنه قال عن الشيعة الاثني عشرية: والله لا يدخل النار منكم رجل واحد.

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "لا تمس النار مسلما رآني أو رآى من رآني"[3].

(١) البخاري٥/-٢١٩٢ رقم ٥٤٨٩ ورقم ١١٨٠ ومسلم رقم الحديث ٩٤ عن ابي ذر.
(٢) ابو داود ٤/٤٦٨ برقم ٤٢٧٨.
(٣) الترمذي ٥/٦٥١ برقم ٣٨٥٣.

وروى المفيد في الأمالي ص ١٦٩ عن أبي ذر رأيت رسول الله وقد ضرب على كتف علي؛ «.. وأن الملائكة يهدمون سيئات شيعتنا كما يهدم القوم البنيان".

عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "إن الله تعالى سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتُنْكِر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول تعالى: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: فإنك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء"[1].

وروى في بحار الأنوار للمجلسي ٥/ ٢٤٧ - ٢٤٨ أن في القيامة؛ حسنات السنة تعطى للشيعة، وسيئات الشيعة توضع على أهل السنة ثم يلقون في النار.

(هذه الأحاديث مثيرة الدلالة، وتضع عن الناس شتى التكاليف الإلهية، وتبطل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٨٢﴾ [يونس: ٨١-٨٢].

إن إطلاق هذه الأحاديث وأشباهها بين العوام هدمٌ للدين كله، وهو الأساس لتكوين طوائف من المتدينين تديناً شكلياً يحط من قدر الإيمان وأثره، وإن أعداء الإسلام وقد عجزوا عن هزيمته في ساحات القتال لم تعيهم الحيل لسحقه في عقر داره، فدسوا على المسلمين من يصور لهم أن الإسلام مجرد كلمة لا تكاليف لها، وأماني لا عمل معها.

وهذا ما كان عليه بعض أتباع الملل الأخرى، حين ظنوا بأن التمسك بأصل الدين كافٍ في النجاة مهما صنعوا، ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾ [البقرة: ١١١]، وقد فند القرآن الكريم هذه المزاعم، ورسم طريق

(١) الترمذي ٥/ ٢٤ برقم ٢٦٣٩ ابن ماجة ٢/ ١٤٣٧ برقم ٤٣٠٠ واحمد ٢/ ٢١٣ برقم ٦٩٩٤ وغيرهم.

النجاة الحقيقي، وهو مزيج من الإيمان الحي، والإحسان في العمل، والإخلاص لله ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١١-١١٢]، ويقول سبحانه وتعالى محذراً أمة محمد من أن يقعوا في نفس ما وقع به اليهود والنصارى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

والمؤسف أن أقواماً من أهل العلم الديني لا يكترثون بذلك، فالمرء إذا غمغم بين شفتيه بكلمة التوحيد تحصن وراءها فأصبح يسيراً عليه أن لا يقوم إلى واجب وأن لا ينتهي عن محرم. حتى أصبحنا أمة تعتبر العمل من الكماليات الخفيفة، فكيف يقوم لها دين؟ أو تقوم بها دنيا؟

إن الله عز وجل جعل العمل رسالة الوجود ووظيفة الأحياء، وجعل السباق في إحسانه سر الخليقة ودعامة الحساب: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

وما من آية في كتاب الله ذكرت الإيمان مجرداً، بل عطفت عليه عمل الصالحات أو تقوى الله أو الإسلام له، بحيث أصبحت صلة العمل بالإيمان آصرة لا يعلوها وهن، يقول الإمام زيد بن علي عليه السلام: والإيمان والعمل الصالح كالروح في الجسد؛ إذا فُرِّق بينهما هلكا، وإذا اجتمعا عاشا. (مجموع الامام زيد العقائدي ص١٤٣)، فإذا عُقِدت مقارنة بين الهدى والضلال، جعل الإيمان والعمل جميعاً في كفة، وجعل الكفر في الكفة الأخرى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ﴾ [غافر: ٥٨]، وكثيراً ما يشار إلى الإسلام وحقيقته الشاملة بمظاهر عملية واضحة محدودة: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: ١١-١٦].

بل إن العلامة التي ينصبها القرآن دليلاً على فراغ النفس من العقيدة، وخرابِ

القلب من الايمان، هي في النكوص عن القيام ببعض الأعمال الصالحة: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١﴾ [الماعون: ١]، من هو يا ترى هذا المكذب بالدين؟ ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون: ٢-٣].

ثم ما الذي يوزن في الدار الآخرة؟ أليست الأعمال التي تميل بالإنسان إلى النعيم أو الجحيم؟ أم الدعاوى والمزاعم؟ ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف: ٨-٩].

إننا نعرف تاريخ أمم هلكت بسوء عملها، ونعرف أن الله نقم على قوم لوط ارتكابَهم الفاحشة، وعلى قوم شعيب بخسَهم المكيال والميزان، وقد عرفنا مصائر أولئك الفاسقين، فهل أمتنا وحدها هي التي تريد أن ترتكب السيئات دون حذر أو وجَل؟ ليس الإسلام بدعاً من الشرائع السابقة فيوجب الإيمان دون العمل، بل إن القرآن الكريم يقص علينا عبر السابقين لنتعظ منها، ثم لنسمع قول الله بعد ذلك: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٣ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾ [يونس: ١٣-١٤]، ثم ألم يكن إبليس يعلم بأن الله واحد وأن محمداً رسول الله؟ ولكنه مع ذلك لزمه الكبر فكان من الضالين[1].

- وقد استدل علماء بعض أهل السنة والجماعة الاثني عشرية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فكل ما دون الشرك من كبائر وصغائر سيغفرها الله سبحانه وتعالى بدون توبة بدليل هذه الآية!!!، ولا يحتاج الجواب عليهم إلى كثير عناء، إن المتأمل للآية يجد أن الله سبحانه وتعالى قال فيها ﴿لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ ولم يقل (إن شاء) والفرق واضح؛ فهذه الآية مجملة تحتاج إلى تبيين، فمن هؤلاء الذين شاء الله أن يغفر لهم من غير توبة؟

(١) مقدمة مجموع الامام القاسم الرسي بتصرف ص ١١٤-١١٩.

هل سيغفر لأهل الصغائر تفضلاً من غير توبة من دون أهل الكبائر كما هو صريح قوله تعالى ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]؟ مع العلم أن هذه الآية في نفس السورة.

هل سيغفر الله سبحانه وتعالى لأهل الكبائر من غير توبة دون أهل الصغائر وهذا القول الذي لا تتقبله قلوب المؤمنين مناف لآيات كثيرة في كتاب الله المتوعدة لأهل الكبائر ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣] وقال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩] فلو أن الله سيغفر لهم من غير توبة فما فائدة قوله سبحانه وتعالى بعد ذلك ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٧٠].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٤] وهذه الآية نزلت تهديدا للمسلمين الذين يريدون أن يتعدوا حدود الله في المواريث ولم تنزل في المشركين، وغيرها من الآيات الكثيرة التي تبين حال أهل الكبائر، فكيف يستساغ بعد ذلك أن نقول إن الله سبحانه وتعالى سيغفر لهم من غير توبة ما داموا أقروا بالشهادتين؟ وأين نذهب بقوله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق: ٢٩]، وقال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٩].

هل سيغفر الله لبعض أهل الكبائر دون بعض؟ هذه محاباة، والله لا يحابي، ولكنه يجازي كل إنسان بما يستحقه.

لا شك أن النقطة الأولى هي السليمة والموافقة لكتاب الله سبحانه وتعالى، وقد تكلم الإمام زيد بن علي في هذا الموضوع كلاما وافيا شافيا في كتابه (الإيمان) ننصح بمطالعته لمزيد من المعرفة.

وقد يستدل بعض المضلين بقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود: ١٠٦-١٠٧] على أن الاستثناء دليل على أن هناك خروج لأهل الكبائر من النار، ولكنهم يتجاهلون الآية التي بعدها والتي تقول ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨]، فما دام الاستثناء هناك يعني الخروج من النار فالاستثناء هنا يعني الخروج من الجنة!!، وهذا مالا يقول به مسلم، وهذه الآيات ليست دليلا على الخروج من النار ومن يريد الاستزادة فعليه مراجعة تفسيرها من كتاب التيسير في التفسير للمولى السيد المجاهد بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه.

وحول هذا الموضوع أيضا يقول الشهيد القائد:

«نحن هنا نسمع في هذه الآيات ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [فاطر: ٣٦] وكأنه فقط أولئك الكافرون أما نحن من قد أسلمنا -ولو انطلقنا في أعمال كأعمال الكافرين- فإننا بعيدون عن هذا التهديد وعن هذا الوعيد. هل هذا صحيح أم لا؟ ليس صحيحا أنه فقط من يحملون اسم كافر هم وحدهم من سيعذبون؛ لأن الكافر لا يعذب على اسمه، لأن اسمه كافر! يعذب على أعماله أعمال يعملها: إعراض عن دين الله، صد عن سبيل الله، عمل في سبيل الطاغوت.

أو لم يكن في المسلمين من كانت أعمالهم أسوأ من أعمال أولئك الكافرين؟ بلى هناك في المسلمين من يظلم، في المسلمين من يصد عن سبيل الله، في المسلمين من يقتل القائمين بالقسط من عباد الله. فهل أن الله سبحانه وتعالى إنما يعذب أولئك على أعمالهم لأن اسمهم كافرين؟!.

أما أنت متى حملت اسم إسلام فلن تعذب؟ سيصبح الحال حينئذ يصبح الإسلام عبارة عن رخصة للمجرمين، أنت تريد أن تحصل على ترخيص لترتكب كل الجرائم ثم لا تعذب؟ إذاً قل: [لا إله إلا الله محمد رسول الله]. يصبح الإسلام هكذا، ويصبح الكافرون كل واحد منهم أحمق. أنت لم تسلم لأنك لا تريد أن تبتعد عن هذه

الأعمال التي أنت عليها. أسلم إذاً وبإمكانك أن تستمر عليها، ثم عندما تقدم في يوم القيامة سيشفع لك محمد، وتدخل الجنة!. يصبح الإسلام حينئذ وسيلة أمن للمجرمين، وبطاقة ترخيص للمجرمين.

فبدلا من أن تكون مجرما، تتهدد بهذا التهديد الشديد، ويواجهك المسلمون بالاحتقار، ويواجهونك بسيوفهم في الدنيا، كن مجرما محترما، اسلم لتكن مجرما محترما.

أليس هذا هو إسلام من يقولون بأن الشفاعة لأهل الكبائر؟! الإنسان هو الإنسان، رغباته، شهواته، مطامعه، هو هو، سواء كان يهودياً، أو نصرانياً، أو وثنياً كافراً، أومسلماً.

انظر إلى واقع الناس في هذه الدنيا الآن، في هذا الزمان، أليس البشر فيها من طوائف كثيرة؟ اليهودي والنصراني، والوثني، والمسلم، والمسلمون باختلاف طوائفهم؟ انظر إلى واقعهم كناس رغباتهم واحدة، شهواتهم واحدة، مطامعهم واحدة، الإنسان هو الإنسان، الجرائم التي تنطلق منك وأنت كافر هي نفسها إذا ما سرت وراء شهواتك هي نفسها التي ستنطلق منك وأنت مسلم، تنطلق من اليهودي، والنصراني بشكل واحد سواء.

إذاً فلماذا مجرمون يعذبون، ومجرمون لا يعذبون؛ لأنهم يحملون أسماء مختلفة! هل هناك بين الله وبين أحد قرابة؟ أو الله سبحانه وتعالى يداهن أحدا، أو يكيل بمكيالين، كما نقول عن أمريكا؟ الناس هنا يقولون عن أمريكا: أنها تكيل بمكيالين.

إذا ما انطلق الإسرائيلي ليقتل الفلسطيني لا تلتفت إليه، ولا تدينه، وإذا ما اتجه الفلسطيني ليقاوم ويدافع عن نفسه المحتل لأرضه قالوا: إرهابي. قالوا: هذا كيل بمكيالين. لماذا لا تعاملهم سواء على الأقل؟ فتقول: هذا عنف، وهذا عنف، وهذا إرهاب، وهذا إرهاب.

حينئذ ستصبح القضية هكذا: أن الله سيكيل مع الناس بمكيالين، فمجرمون ينطلقون في شتى الجرائم، وكبارها، يظلمون عباد الله، ويصدون عن سبيل الله، ويحرفون دينه، وينشرون الفساد في أرضه، ويهتكون أعراض عباده ثم سيشفع لهم محمد.

الكافر ماذا يعمل إذاً؟! هل هناك نوع آخر لدى الكافر؟ إنما يعمل هكذا عندما نقول: إن الزنا محرم، هو محرم، لكن لماذا يعذب عليه الكافر ولا يعذب عليه من اقترفه ممن يحمل اسم إسلام؟ أليست عملية واحدة؟ وجريمة واحدة عند اليهودي، والنصراني، والكافر والمسلم؟ هي فاحشة. الظلم هو نفسه. ليس هناك نوع من الظلم لا يمكن أن يصدر من الكافر، أو لا يمكن أن يصدر من المسلم، الأعمال واحدة التي نريد أن نفهمها: أن الناس كل الناس على اختلاف العناوين اتجاهاتهم واحدة، وجرائمهم، ومطامعهم، وشهواتهم، ومقاصدهم واحدة.. فلماذا ناس يعذبون وناس لا يعذبون على جرائمهم؟ يصبح الدين حينئذ بدلاً من أن يكون دينا للحياة، بدلاً من أن يكون ديناً لمكافحة الجريمة، بدلاً من أن يكون ديناً كما قال الله عنه: ليزكي النفوس، ليطهرها يصبح عبارة عن رخصة لكل من يريد أن يستمر في إجرامه.

فبدلاً من أن تبقى مستحقاً للعذاب الشديد، أسلم. والإسلام مجرد قول، ثم ابقَ على أعمالك! وحينئذ لا جهنم، وحينئذ ستدخل الجنة مع المؤمنين، وسيشفع لك محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)!!. ألم يصبح الإسلام حينئذ عبارة عن رخصة؟ ألم يصبح ديناً بدلاً من أن يكافح الجريمة يشجع عليها؟ بدلاً من أن يخوف النفوس؛ ليزكيها، ليطهرها بتشريعاته وهديه، هو من يؤمِّن تلك النفوس لتغرق في مستنقع الرذيلة والجريمة؟!.

فعلاً سيصبح الدين هكذا؛ ولهذا الله سبحانه وتعالى في القرآن تحدث عن بني إسرائيل بأن كثيراً من جرائمهم بما فيها قتل الأنبياء، وبيع الدين، وبما فيها استحلال أموال الآخرين عندما يقولون: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ [آل عمران: ٧٥] قال عن ما يدفعهم إلى ذلك هو: أنهم يعتقدون أن النار لا تمسهم إلا أياما معدودة. أي: أن هذه العقيدة تشجع على الجريمة، وتعمل على أن تغرق النفوس في مستنقع الجريمة والرذيلة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [آل عمران: ٢٤] ألم يعلل بأن عقيدة بهذه هي وراء الجريمة، وهي عقيدة تدفعك إلى الإجرام.

إذاً، فليست من دين الله لهذا قال: ﴿وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [آل

عمران: ٢٤] خدعوا أنفسهم بالكذب، وفعلا لا تزال عقيدة قائمة عند اليهود إلى الآن.

بعض الناس قد يسأل هل يرى اليهود أنهم إلى النار؟ يرى أن النار لن تمسه إلا أياما معدودة، فكل ما يعمله [شارون] لو رأى نفسه مجرما، لو رأى نفسه مستحقا أن يدخل النار، فهو عندما يدخلها قد يبقى فقط سبعة أيام مقابل سبعة آلاف سنة هي عمر الدنيا، أو على أكثر قول لديهم سيبقى الواحد منهم أربعين يوما في جهنم على عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل، ويخرج، وحينئذ لا يكترث بما يرتكب في الدنيا.

هي العقيدة التي كانت وراء ظلمنا نحن المسلمين من داخل المسلمين أنفسهم على أيدي الجبابرة من الطواغيت، الخلفاء، الملوك، والحكام، والرؤساء، والسلاطين بمختلف العصور، وهناك من علماء السوء من يؤمنهم أن محمدا (صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله) سيشفع لهم مهما كانوا مجرمين، فينطلقون لظلم الناس لتسفك دماؤهم، وينطلقون للصد عن دين الله، وينطلقون فيه وهم آمنون من جهنم، أنهم لن يدخلوا جهنم.

واليهودي يرى أنه سيدخل جهنم وسيبقى أياما معدودة، وأما صاحبنا فإنه يرى أنه لن تمسه النار إطلاقا. اليهود قالوا: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤].

أما نحن المسلمون فقناهم في هذا القول، فقلنا: ولا أياما معدودة، ولا لحظة واحدة، سيأخذ بيدك محمد ويمنحك وسام الشرف، شفاعته، فتدخل مع أولئك المؤمنين الجنة!. أليس هذا قول أبعد من قول اليهود؟ أليست عقيدة أسوأ من عقيدة اليهود؟ هي نفسها وراء ظلم الكثير من الخلفاء والملوك، والرؤساء في كل عصر من العصور، هناك من أمنهم.

القرآن الكريم تنزلت كثير من آياته في مكة، وعندما تسمع كلمة: [كفر] وكلمة: [شرك] فلأن من في الساحة وهو يخاطبهم، ويعمل على أن ينقلهم من الوضعية التي هم فيها، هم مشركون، كافرون، فتأتي العبارات على هذا النحو، ولأن الله يريد من عباده - وهو الشيء البديهي لو فهمناه - أنه عندما ترون هذا الوعيد الشديد لأولئك فهل تفترضون أننا نريد أن ننقلهم من اسم ليحملوا اسماً آخر، ثم ليبقوا على ما هم عليه، وحينئذ فلا يعذبون؟!.

أنت اسمع عندما ترى الآيات الكثيرة تتهدد الكافر، انظر لماذا الكافر؟ هل لأن اسمه كافر [ك ا ف ر]؟ أم لأنه على حالة هي تحول بينه وبين أن يتقبل هدى الله؟ لماذا المشرك؟ ولماذا تلك الهجمة الشديدة على أشخاص يعبدون أحجارا وهم يعلمون، والله يعلم، ورسوله يعلم أن تلك الحجر لا تستطيع أن تعارض الله، ولا أن تكون ندا لله، ولا أن تكون كفؤا لله، ولا أن تنازع الله في ملكه، لماذا هذه الهجمة؟. لأن هذا الشخص الذي يعبدها ولا يؤمن بالله كإله واحد، هو نفسه لن يكون لديه قابلية أن يتقبل هدي الله، سيبقى معرضاً عن تقبل هدي الله... الشرك لهذا.

إضافة إلى أنه قول باطل، تأثيره على صاحبه أنه إذا أنا لست مؤمناً بوحدانية الله، فلن أؤمن برسوله، ولن أؤمن بكتابه، وحينئذ يكون واقعي أنني معرض عن هدي الله، بل سينطلق ذلك المشرك إلى ميادين القتال للصد عن سبيل الله.

فالمشكلة الأساسية في الشرك بالنسبة لصاحبها: هو أنه على وضعية تجعله معرضاً عن هدي الله، وصادا عن سبيله. فهل الإعراض عن دين الله وهديه، والصد عن سبيله غير مسموح هنا ومسموح هنا؟ هو نفسه يصدر ممن يحمل اسم إسلام. أليس كذلك؟ الكثيرون يصدون عن سبيل الله ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ﴾ [التوبة: ٣٤] أليسوا علماء دين؟ أم مشركون؟ علماء دين، ﴿لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ [التوبة: ٣٤].

فأولئك الذين يقولون: [هذا تهديد للكافرين لاحظ هو يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ويقول: ﴿والْمُشْرِكِيْنَ﴾، نحن لسنا كفارا ولا مشركين] طيب ما الذي تغير لدينا؟ أنت تعتبر أن مجرد تغيير الاسم هو كل شيء؟! إن الله ينظر إلى الأعمال، وليس إلى مجرد الأسماء، ينظر إلى الأعمال، وينظر إلى القلوب. نقول: هؤلاء الكافرون ما هي المشكلة لديهم؟ لأنهم هكذا: صادون عن سبيل الله.

ولهذا تعرض القرآن الكريم - عندما تتأملوا آياته - تعرض بالتفصيل لأعمال المشركين، ألم يقل في بعضها: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٧] ألم يقل في بعضها أنهم ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٤٥] ؟ ألم يقل في بعضها أنهم

﴿يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦]؟ هو يتعرض بالتفصيل لأعمال الكافرين، ولأعمال المشركين، وأنها هي الأعمال الممقوتة.

وإنما مسألة الشرك هي نفسها وراء أن يكونوا على هذه الحالة، فيتوجه الكلام كثيرا إلى الشرك ليقلعه من نفوسهم، لتصبح تلك النفوس قابلة لأن تهتدي بهدي الله، ولأن تبتعد عن الصد عن سبيله، ولأن تلتزم بدينه، فيقلع الشرك من قلوبهم، يقلع الشرك من أذهانهم، وتقاليدهم وأفكارهم، لآثاره؛ لأنه معلوم عن الله سبحانه وتعالى أنه لا تضره معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، وكل هديه يتوجه إلينا نحن؛ لأننا نحن المحتاجون إليه، يتوجه إلى أنفسنا، ولأن كل عمل باطل هو فساد علينا نحن، هو ضد مصالحنا نحن.

فعندما يأتي ليتحدث عن الشرك والكفر، ليس لأنه أصبح يخاف من ذلك الصنم، أو أنه إذا تجمع الآلاف حول ذلك الصنم سينازعه هذا الصنم في ملكه؛ إنما ليبعد هؤلاء عن عقيدة جعلتهم يبتعدون عن هدي الله، وجعلتهم ينطلقون في الصد عن سبيله، وجعلتهم بعيدين عن التخلق بالأخلاق التي أراد أن يتخلق بها عباده الذين يسيرون على هديه.

إذاً فكل من صد عن سبيل الله، كل من ابتعد عن دين الله، كل من أعرض عن هدي الله، وإن كان يحمل اسم مسلم، حكمه حكم أولئك. وهذه قضية مفروغ منها في القرآن الكريم؛ مفروغ منها؛ لأنه من غير الطبيعي، ومن غير المقبول أن تفترض أن المسألة إنما هي مجرد تغيير اسم، فتقول: أولئك فقط لأن اسمهم [كافرين] أما نحن فلو انطلقنا في نفس الأعمال التي تصدر منهم فإننا قد أصبحنا مؤمّنين من عذاب الله، هذا شيء غير طبيعي.

الله البشر كلهم عبيده، وهو رب العالمين جميعاً، ولن يكيل بمكيالين معهم، لن يعذب هذا المجرم على أعمال هي نفسها التي لا يعذب عليها شخصا آخر صدرت منه، وحالته وموقفه حالة هذا الشخص الآخر. لا يمكن، إلا إذا كان هناك توبة.

والتوبة ألم يتوجه الأمر بالتوبة إلى المسلمين؟ لماذا التوبة؟ لو أن المسألة هكذا مفروغ منها أن الكلام كله حول الكافرين حول المشركين أما نحن فقد أسلمنا

لما كنا بحاجة إلى توبة إذاً فلماذا التوبة؟ التوبة لا بد منها؛ لأنك أنت أيها المسلم فيما لو اقترفت عملا من أعمال أولئك ستعذب فهذه هي التوبة تب.

والتوبة معناها: الإقلاع عن المعصية، الرجوع إلى الله، الندم على ما صدر من الإنسان من تقصير، من تفريط في جنب الله، من تقصير في الأعمال التي ترضي الله سبحانه وتعالى، ما حدث منه من معاصي لا بد أن يتوب منها، وإذا لم يتب فلا فرق بينه وبين ذلك الشخص الآخر.

ألم يقل عن المنافقين: أنهم في الدرك الأسفل من النار؟ ولا تصدقوا أن المنافقين هم كلهم من يبطن الكفر ويظهر الإسلام. بل إن في المنافقين من ذكر الله عنهم بأنهم في واقعهم معترفون، مؤمنون كإيمان أي واحد منا بأن الله هو رب العالمين، وهو الإله وحده، وأن القرآن من عنده، وأن محمدا رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) ألم يقل هو: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٦٤] ألم يقل هكذا؟. يعلمون أن القرآن منزل من عند الله بل هم يخافون؛ لأنهم يعلمون أن الله عليم بذات الصدور، فهو يعلم ما يسرونه في أنفسهم فيخافون أن تتنزل سورة تفضحهم، أي هم مؤمنون بالقرآن أنه من عند الله، ومؤمنون بأن هذا الرجل هو رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، الذي يتنزل عليه القرآن، ومع هذا قال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

قد يكون هناك فئة، فئة قليلة من المنافقين هم من قد يقال عنهم أنهم في واقعهم مبطنون للكفر، أي هم غير مؤمنين بالله، ولا مؤمنين بكتابه، ولا مؤمنين برسوله، إنما ألجأتهم الظروف إلى أن يتلونوا خوفا على أنفسهم، هذه النوعية من المنافقين إنما تكون في فترات محدودة، في الفترة التي تكون الغلبة فيها لجانب الإسلام، لجانب الحق فيرى الكفار أنفسهم مضطرين إلى أن يتمظهروا بالإسلام من أجل أن يأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

لكن تجد المنافقين هم من كانوا كثيرين في المدينة، وهم من أهل المدينة، ومن غير أهل المدينة، وهم من قال عنهم أنهم مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. فلا هم مع المؤمنين ولا هم كفار مع الكافرين. هم يتلونون يظهر نفسه للكافرين

وكأنه معهم، ومتى ما كانت الغلبة للمسلمين أظهر نفسه أنه معهم وتملق لهم، وأظهر أنه واحد منهم، يقول عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] بل وجدنا القرآن الكريم يتوعد بالعذاب الشديد، بالعذاب العظيم لمن قتل مؤمناً متعمداً، يتوعد بالخلود في النار لمن لم يلتزم بحدود الله في المواريث في [سورة النساء] يتوعد، والمواريث تخاطب من؟ أليست خطاباً للمسلمين؟ يتوعد بالعذاب، والخلود في جهنم لمن لا يقف عند حدود الله ويلتزم بما حدده الله سبحانه وتعالى في قضية المواريث وحدها خلي عنك أشياء كثيرة أخرى.

هل من المعقول أن يكون الصد عن دين الله مسموح للإنسان الذي يحمل اسم إسلام؟ وهل معقول أن يكون الإعراض عن هدي الله مسموح لمن يحمل اسم إسلام؟ ستصبح كلمة: [لا إله إلا الله محمد رسول الله] عبارة عن بطاقة تضعها في جيبك، ثم تنطلق إلى أسوأ مما كان عليه المشركون والكافرون في أعمالهم.

وحينئذ سيكون هذا الدين رخصة لظلم الناس، ورخصة لتدنيس النفوس تنطلق أنت لتضل عباد الله، من الذي سمح لك بهذا؟ هو الدين، هو الذي أمنني، لأن بإمكاني أن أنطلق في مجال كهذا ثم لن أعذب ولن أخلد في جهنم، بل لن تمسني النار إطلاقا. وهذا ما لا يجوز على الله سبحانه وتعالى.

وعندما تقرأ في بعض التفاسير فيقول لك: هذه الآيات هي تتحدث عن كافرين، هي تتحدث عن مشركين فهي آيات تعني أولئك، أما نحن فلا، نحن حملنا اسم إسلام وسيشفع لنا رسول الله فاعرف أن هذا غرور، وأن هذا خداع، وسيكون واقع من يعتقدون هذه العقيدة كما حكى الله عن بني إسرائيل: ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران: ٢٤]. هذه افتراءات افتروها أناس سابقون وقدموها لنا ونحن قبلناها منهم، وبالطبع لا ينفق شيء من الباطل إلا إذا ما حمل اسم [دين] وقدم إلينا باسم [دين] فيقال: عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، قال رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)! ويكون ذلك الحديث في بطون المجاميع الحديثية التي يعتبرونها هي مجاميع السنة، ألم يقدم الباطل باسم دين؟ هكذا ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وكما أسلفنا: أن القرآن تحدث عن جهنم، ووصفها بشتى الأوصاف وكذلك تحدث عمن داخل جهنم سواء كان يحمل اسم [مسلم]، أو يحمل اسم [يهودي، أو نصراني، أو مشرك]. أو كيفما كان"[1].

❖ ❖ ❖

(١) دروس من هدي القرآن الكريم، سلسلة دروس معرفة الله، «معرفة الله – وعده ووعيده – الدرس الخامس عشر.

القرآن بين السنة والاثني عشرية، وورثة الكتاب

القرآن الكريم هو دستور الأمة وهو أغلى ما يملكه المسلمون، وهو منهج حياة، تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، ومشكلة الأمة مع القرآن أنها تؤمن به ولكنها لا تطبقه، وبدلا من أن تبرمج المذاهب أرشيفها المذهبي على أساس القرآن، أصبح أرباب المذاهب ينتصرون لمذاهبهم ويستشهدون بالقرآن على ما يعزز نظرتهم المذهبية وبطريقة فيها تعسف واضح للنص القرآني، وتحريف واضح لمفاهيمه.

ولم يقتصر استهداف المنحرفين من أبناء الأمة على تحريف مفاهيم القرآن، بل وصل الأمر إلى محاولات بائسة لاستهداف النص القرآني من خلال الروايات المكذوبة الموجودة في كتب السنة والاثني عشرية على السواء، ولا يوجد مسلم سليم الإيمان سواء كان سنيا أو شيعيا يشك في حفظ الله لكتابه، وأن القرآن الموجود في المساجد هو نفسه المنزل على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن واقع الجدل السني الشيعي حول قضية القرآن والاتهام المتبادل بين الطرفين حول زيادة القرآن ونقصانه شغلت الساحة الإسلامية، ولا تكاد تقرأ كتابا وهابيا إلا ويذكر بأن الشيعة الاثني عشرية تقول بتحريف القرآن ونقصانه، وأن ثمة قرآنا آخر يؤمن به الشيعة هو مصحف فاطمة، ولكن الشيعة في نفس الوقت يردون ويبرئون ساحتهم من هذه التهمة، ويدفعون تهم الوهابية بنفس التهمة ويقولون: إن مَن يقول بتحريف القرآن هم أهل السنة وليس نحن، بدليل ما هو موجود في كتبهم، وهكذا تعيش الأمة الإسلامية حالة من الصراع والتعصب بين الطرفين دون ميل للاعتراف أو التنازل من أحد الطرفين، والحق أننا قد عانينا في مساجدنا من افتراءات الوهابية وادعاءاتهم الزائفة في هذه القضية، وعندما بدأت أستمع إلى التراشق بين الطرفين قررت أن أبحث عن مصداقية كل طرف، والحق أنني تفاجأت عندما وجدت روايات كثيرة في كتب أهل السنة تشير بطريقة غير مباشرة إلى أنه حصل نوع من التغيير في القرآن، وأنه ليس كما أنزل ابتداء على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك الحاصل في كتب غلاة الاثني عشرية وبشكل أشد مما هو موجود لدى أهل

السنة، ثم الحق الذي لا لبس فيه أن الكتب المربوطة بورثة الكتاب من أهل بيت رسول الله هي الكتب الوحيدة التي خلت من مثل هذه الروايات، مما يدلك على سلامة مأخذهم وطهر منابعهم ولو كابر المكابرون.

روايات تحريف القرآن في كتب أهل السنة

سبق أن ذكرت أن روايات أهل السنة لا تصرح تصريحا لفظيا بتحريف وزيادة ونقصان القرآن وإن صرحت معنى، بعكس روايات غلاة الشيعة الاثني عشرية، لكن المتحررين من كلا المذهبين بل إن كل مسلم غيور -سواء كان سنيا أو اثني عشرياً أو أيًا كان- يقطع يقينا بأن القرآن لم يتبدل ولم يتحرف ولم ينقص أو يزد منه حرف واحد، وما وجد في روايات السنة والاثني عشرية من محاولة إثبات نقصه أو زيادته بقي في أوهام الضالين ولم يكن واقعا في نسخة واحدة من نسخ القرآن في يوم من الأيام، وهذه الروايات تدل دلالة قاطعة على غثائية وحشوية جمع الحديث عند الطرفين، وتدلل دلالة قاطعة على صفاء المنبع التي يستقي منه أتباع المشروع القرآني، بعيدا عن الدس والحشو الذي يعاني منه الفريقان، وهنا نذكر بعض النماذج وقطرات من مطرات مما ورد في كتب أهل السنة:

- روى البخاري في صحيحه كتاب الحدود، او كتاب المحاربين من اهل الكفر والردة: باب رجم الحبلى من الزنا في حديث طويل عن ابن عباس نذكر منه هذا المقطع عن عمر بن الخطاب أنه قال وهو على المنبر: "إن الله بعث محمدًا بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله (آية الرجم)، فقرأناها وعقلناها ووعيناها، رجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله.."[1].

ولا أظن أن أحدا من المسلمين يعتقد أن ثمة آية اسمها آية الرجم، وهذه الآية المزعومة هي "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»[2]

وفي موطأ الإمام مالك "الشيخ والشيخة فارجموهما البتة» فإنا قد قرأناها»[3].

(١) ابن ماجه باب الرجم كتاب الحدود حديث رقم ٢٥٥٣.
(٢) الموطأ ٣/ ٤٢كتاب الحدود.

وفي نفس الحديث المروي في صحيح البخاري "ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أنْ "لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»[1].

والحديث المروي عن عائشة أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن "عشر رضعات معلومات" فتوفي رسول (ﷺ) وهن فيما يقرأ من القرآن[2].

وفي صحيح ابن ماجه: أن عائشة قالت: "نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا، ولقد كانت في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله (ﷺ) تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها"[3].

وروى مسلم في صحيحه أن أبا موسى الأشعري بعث إلى قراء أهل البصرة وكانوا ثلاثمائة رجل فقال فيما قال لهم: وإنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها، غير أني حفظت منها "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب"، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها، غير أني حفظت منها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ [الصف: ٢] فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة[4].

ـ أخرج البخاري في صحيحه عن علقمة قال: قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت: اللهم يسر لي جليسا صالحا، فأتيت قوما فجلست إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي قلت: من هذا؟ قالوا: أبوالدرداء، قلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فيسرك لي، قال: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة، قال: أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوسادة والمطهرة، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه (ﷺ)؟ أوليس فيكم صاحب سر النبي (ﷺ) الذي لا يعلم السر أحد غيره، ثم قال: كيف يقرأ عبد الله ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل: ١] فقرأت عليه ﴿والليل إذا يغشيى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى﴾ قال: والله لقد

(١) البخاري ـ كتاب الحدود ، او كتاب المحاربين من اهل الكفر والردة ـ باب رجم الحبلى من الزنا.
(٢) صحيح مسلم كتاب الرضاع باب التحريم بخمس رضعات.
(٣) ابن ماجه كتاب الرضاع باب رضاع الكبير حديث ١٩٤٤.
(٤) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب لو أن لابن آدم واديين لابتغى واديا ثالثا.

أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فيه إلى في.[١]

وفي رواية قال: ﴿والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى﴾ قال: أقرأنيها النبي (ﷺ) فاه إلى في فما زال هؤلاء حتى كادوا يردوني[٢]

هذه الروايات تفيد بأن القرآن الذي عندنا ينقصه كثير من الآيات، وأنه كما في الرواية الآخيرة قد زيد فيه كلمة "وما خلق" على حد زعمهم.

وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بن كعب آية: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره﴾[٣].

وفي مسند أحمد عن أبي بن كعب قال: «كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قال: بضعا وسبعين آية. قال: لقد قرأتها مع رسول الله (ﷺ) مثل البقرة أو أكثر، وإن فيها آية الرجم»[٤].

لم أكن أتصور بأن هذا الكم من الروايات -رغم أنها غيض من فيض- متواجد في كتب أهل السنة، وقد تفاجأت كثيرا بهذه الروايات، وكان المتوقع أن تجد هذه الروايات رفضا قطعيا من قبل أهل السنة والجماعة أنفسهم، ولكن التقديس المبالغ فيه للصحيحين بالذات منعهم من انتقاد ورفض هذه الروايات حفاظا على ماء وجه الصحيحين، ولو كان على حساب القرآن والدين والإسلام، وقد واجهت كثيرا من الإخوة السنيين بهذه الحقيقة فوجدت أن هناك ميلا لتبرير مثل هذه الروايات باسم نسخ التلاوة!!

ولا داعي للاسترسال في الرد على هذه الدعوى؛ لأن بعض الروايات تكذب تلك الروايات، من ذلك الرواية المنسوبة لعائشة من أن رسول الله توفي وهن فيما يقرأ من القرآن، فهل هناك نسخ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ ثم إن بعض تلك الروايات تثبت أن في القرآن زيادة لفظة "وما خلق"، إلا إذا كان هناك تبرير أخر

(١) صحيح البخاري ـ كتاب المناقب فضائل عمار وعبد الله بن مسعود.
(٢) صحيح البخاري كتاب المناقب باب مناقب عبد الله بن مسعود.
(٣) مسند أحمد ٥/ ١٣٢.
(٤) المصدر السابق.

باسم (إضافة تلاوة) بدلا من (نسخ التلاوة)؟! لكن أئمة أهل البيت المتقدمين عليهم السلام أنكروا نسخ التلاوة، وأجادوا في الرد على هذه المسألة، والملاحظ أن جميع هذه الروايات روايات آحادية، والقرآن جاء إلينا متواترا بل فوق التواتر بمراحل، كما يلاحظ ركاكة وضعف هذه الآيات المزعومة مقارنة بقوة وروعة وبلاغة آيات القرآن الكريم، ويلاحظ أيضا قول كثير من الفقهاء من أهل السنة والمتأثرين بهم أنها آيات نسخت تلاوة وبقيت حكما، أو نسخت تلاوة وحكما، رغم أن كثيرا من هذه الآيات المزعومة لا تناقش أحكاما لا من بعيد ولا من قريب، الخلاصة أن هذه الروايات وضعت لتشكيك المسلمين بأغلى ما يملكون، وحريٌّ بالمسلم الخائف على دينه أن يرفضها حفاظا على دينه.

روايات تحريف القرآن في كتب الشيعة الاثني عشرية

الروايات من هذا القبيل عند غلاة الاثني عشرية موجودة بكثرة، ولنكون صادقين لن نغفل كذلك عن جانب كبير من علمائهم ومفكريهم الذين يرفضون هذه الروايات رفضا قاطعا، وهذا توجه سليم منهم ولكنه لا يبرئ كتبهم من المساءلة، بل يجدر بالشيعي الاثني عشري الصادق في تشيعه أن يتخذ موقفا جادا ورافضا لهذه الروايات وسنقتصر على إحدى الروايات

ـ يورد الشيخ محمد باقر المجلسي في (مرآة العقول في شرح أخبار الرسول) ١٢/ ٥٢٥ ـ ٥٢٦، نشر دار الكتب الإسلامية طهران» ما رووه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) سبعة عشر ألف آية"، ويعلق على هذه الرواية بقوله: "موثق".

كما تلاحظ فالروايات من هذا القبيل موجودة بكثرة مخيفة في كتب إخواننا من الاثني عشرية، بل وقد تبنى صحتَها والدفاعَ عنها مجموعةٌ من غلاتهم المتقدمين، ولا ننسى جهود المعتدلين منهم -وهم الكثرة الغالبة- الرافضين لهذه الروايات وبالذات الخط الثوري، تاركين حمى التقليد المتجذرة في كثير من علمائهم وأتباعهم، نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أهل البيت عليهم السلام والقرآن

مقتطفات من مديح القرآن الصغير للإمام القاسم الرّسي:

"الحمد لله الذي جعل الهدى فيما نزّل من كتابه مكملا ونزل برحمته للعباد منه بيانا كريما مفصلا، فيه لمن استغنى به أغنى الغنى، ولمن اجتنى ثمرات هداه أكرم مجتنى،... نور أعين القلوب المبصرة، وحياة ألباب النفوس المطهرة، إلْفُ فكر كل حكيم، وسكن نفس كل كريم، وقصص الأنباء الصادقة، ونبأ الأمثال المتحققة، ويقين حيرة أولي الألباب، وخير ما صحب من الأصحاب، سر أسرار الحكمة، ومفتاح كل نجاة ورحمة، قول أرحم الراحمين، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فأيُ مُنزِل سبحانه وأي نازل وتنزيل، لقد جل سبحانه وتنزيله عن كل تمثيل وطهر وتقدس إذ وليه بنفسه، ونزل به روح قدسه، عن قذف الشياطين وأكاذيبها، وافتراء مردة الآدميين وألاعيبها، فأُحكم عن خطل الوهن والتداحض، وأُكرم عن زلل الاختلاف والتناقض..."[1].

وصية الإمام القاسم بالقرآن:

«فعلى كتاب ربكم –هداكم الله– فاقتصروا به، فهو ذو العبرة فاعتبروا به، ففيه نوافع العلم، وجوامع الكلم التي يستدل بقليلها على كثير من ملتبس قال وقيل، ويستشفى من علمها بتفسير أدنى ما فيها من دليل، فسبيلَ قصده فاسلكوا، وبه ما بقيتم فتمسكوا، فهو ذروة الذرى، وبصر من لا يرى، وعروة الله الوثقى، وروح من أرواح الهدى، سماوي أحله الله برحمته أرضَه، وأحكمَ به في العباد فرضَه، فلا يوصَل إلى الخيرات أبدا إلا به، ولا تُكشف الظلمات إلا بثواقب شُهُبِه...» [2]

كلام الإمام القاسم في حفظ الله لكتابه الكريم:

"وهو فكتاب الله المحفوظ الذي لم يَضِعْ منه بمن الله قط آيةٌ، فيضيعَ

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرّسي ٢/٣١.
(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي ٢/٣٣.

بضياعها من الله نورٌ وبيان وهداية، وكيف يذهب منه شيء أو يضيع؟! أو يتوهم أن الله سبحانه له مضيع، بعد قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥] ... وبعد قوله: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأنعام: ١٢٦]؟ فكيف يصح أن يذهب منه شيء وهو صراط الله المستقيم، وتبيانه لكل شيء، ففيه لعباده هدى وتقويم، وفيه ما يقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فهل بقي لأحد من بعده عذر أو متلوم؟! وكيف يصدق مفتر على الله في ضياعه، وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده باتباعه، فقال فيه: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣] ؟... فياسبحان الله!! أما يسمعون لقول الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقوله سبحانه: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢]"[1].

كلام الإمام الهادي يحيى بن الحسين في حفظ الله كتابه:

"وكيف يذهب من القرآن قليل أو كثير وهو حجيج الواحد اللطيف الخبير، وفيه فرائضه على الخلق سبحانه، فقد حفظ ومُنع من كل شان من الشان، فيا ويل من قال بنقصان الفرقان، أما سمع قول الواحد الرحمن: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، فأخبر أن القرآن عنده محفوظ له جل جلاله وفيه ما يقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١-٤٢]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]"[2].

(١) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم الرسي (ع) ٢/١٦-١٨.

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ع) ص٤٦٣.

كلام الشهيد القائد حول عظمة القرآن الكريم

"تجد من عظمة القرآن الكريم والقضية العجيبة فيه؛ رغم أنه مجلد واحد، كتاب واحد يغطي الحياة، كتاب هو للسموات والأرض، وللدنيا والآخرة، والصفحة الواحدة فيه كم تجد فيها من علوم، ولهذا الإمام علي يتحدث عن انبهاره هو بالقرآن فيذكر بأنه "بحر لا يدرك قعره وعيون لا ينضبها الماتحون ولا يشبع منه العلماء ولا يخلَق على كثرة الترداد".

لا تجد هذه في أي كتابات أخرى لأي إنسان مهما كان مهما كانت قدراته البلاغية، ومهما كانت سعة تجاربه في الحياة أن يصل إلى ما يداني هذا المستوى، قد يكون كمثل - بالنسبة للبشر - أعلى الإمام علي (صلوات الله عليه) بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما تأتي إلى فقرات من كلامه تجد فيه فعلاً من هذا الزخم في المعلومات؛ لكن ذلك إنما هو أثر للقرآن الكريم، أثر من آثار القرآن الكريم في نفسية الإمام علي، في شخصيته، أثر من آثار الإهتداء به في مظاهر الحياة، وقد تجد تلك الحالة التي كان يتمتع بها الإمام علي، والصفة الهامة مفقودة عند الكثير منا على الرغم من توفر الكتابات لا أعتقد أن الإمام علياً كان لديه مكتبة، ولا دولاب واحد يكون فيه مجموعة كتب، وتجده شخصاً لديه معلومات واسعة جداً، ولديه رؤية تقييمية للحياة وللناس بشكل عجيب.

هذه الحالة مفقودة لدينا ونحن من لدينا مكتبات: علوم في السياسة، والإجتماع، والإقتصاد، والفقه، والحديث، والأصول، والتفسير....، وكم؟! صفر، لا نملك شيئاً حقيقة، لا نملك شيئاً، ليس لدينا ما يصح أن يقال له شيء بالنسبة لما ينبغي أن يكون الناس عليه، ولهذا كانت خسارة كبيرة جداً جاءت هذه الآية تنص عليها عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة:١٢١] العبارة هذه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾"[1].

(١) الدرس السابع من دروس رمضان للشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي.

كلام السيد القائد عبدالملك الحوثي عن القرآن الكريم:

"يقول الله «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» في كتابه الكريم: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ١-٢]، البرنامج الذي يعود إليه المتقون، والمرجع الثقافي والفكري الذي ينطلقون من خلاله في هذه الحياة، في أعمالهم، في مواقفهم، في التزاماتهم، في ولاءاتهم، برنامج حياتهم يأخذونه من أين؟ هل من المفكِّر الفلاني، هناك رؤى في الدنيا، هناك نُظُم حياة في الدنيا، هناك الكثير من أبناء البشر يعتمدون في مسيرة حياتهم، في اتجاهاتهم بكلها على رؤية لفيلسوف معين، أو مفكِّر معين، كل اتجاهات الناس في هذه الحياة لها مدارسها، لها مفكِّروها، لها المفلسفون لها، ينطلقون من خلالها معتمدين لها في هذه الحياة.

المتقون اعتمادهم بالأساس هو على كتاب الله «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، يمثِّل القرآن الكريم المرجعية والوثيقة الأساسية التي يعتمدون عليها بشكلٍ رئيسي، وبهذا تتحقق التقوى، لا يمكن أن تتحقق التقوى إلا بهذا، فالله يقول: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢]، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾: هذه إشارة إلى علو شأن القرآن، في المعاني والبيان والبديع تستخدم الإشارة للبعيد أحيانًا، ﴿ذَٰلِكَ﴾، وبهذا الأسلوب، ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾، الإشارة إلى القرآن الكريم في علو شأنه من جوانب متعددة، أولًا: أنه كتاب الله «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، فله هذه العظمة وهذه الأهمية وهذه القيمة، لكونه كتاب هداية، كتاب عظيم، أنه من الله، كلماته، هديه، ضمَّنه من علمه، ضمَّنه توجيهاته الرحيمة والحكيمة والهادية والنافعة والمفيدة، وضمَّنه أيضًا الحقائق التي لا ريب فيها، ولا شك فيها، ولا ريب أبدًا، ولا قلق أبدًا، ولا شك نهائيًا في أن القرآن كتاب الله بحروفه ومضمونه، كلماته «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى»، وفي أنه ضمَّن هذا الكتاب من علمه، من حكمته، وجعله أيضًا تجليًا لرحمته فيما ضمَّنه وفيما فيه"[1].

(١) محاضرة القرآن المنهل الصافي لتحقيق التقوى.

يحق لكل مسلم أن يفتخر بكتب قرناء القرآن أئمة أهل البيت عليهم السلام، التي دائما تتحفنا بمواقفها القوية تجاه كل عقيدة فاسدة تمس مقدسات المسلمين، وقد قرأتَ قبل قليل كلماتِهم في ذلك، مما يدل تماما على أنهم أولى المناهج بصفاء الإسلام، نسأل الله أن يجعلنا من المتمسكين بدينه وأن يجنبنا العقائد الهدامة.

❖ ❖ ❖

السنة النبوية

"ليس لديكم علم جرح وتعديل"، "لا يمكن ان نثق بما رواه أئمتكم".

كلمات طالما تتكرر على السنة دعاة الوهابية، وافتتن كثير من الشباب بهذه الكلمات، وأذكر يوماً أن أحد الوهابية أطلق في أذني هذه الكلمات، فقلت له: إن الطبيب لا يمكن أن يعطي في حال من الأحوال عقاراً طبياً للأصحاء، وسينصرف عقاره نحو المريض المحتاج له ليخرجه من وعكته الصحية التي يمر بها، وبمعنى آخر أن الحاجة هي أم الاختراع، والمشكلة أن أهل السنة لم تكن لتعوزهم الحاجة لو تركوا العناد وتحركوا بعد ورثة الكتاب، لكن الانحراف هو ما دفعهم للحلول الترقيعية والمعالجات القاصرة جدا والمليئة بالضلال والانحراف، ولتوضيح المسألة أكثر، على سبيل المثال عندما أصيبت اوروبا في العصور الوسطى بكهنوت ديني محرَّف حرَّم عليهم وأبعدهم عن كل مقومات النهوض، أوصلت الحاجة المثقفين الغربيين إلى القيام بثورة والالتجاء إلى حضن العلمانية على ما فيها من كوارث ومصائب، وعندما حاول العلمانيون تطبيق نظرياتهم في البلدان الإسلامية فشلوا فشلاً ذريعاً؛ لأن الإسلام غير المسيحية، فالإسلام يحمل جميع مقومات النهوض المادية والمعنوية، والمشكلة ليست في الإسلام ولكنْ في المسلمين أنفسهم، وكان لزاماً على المتغربين أن يدركوا خصوصيات المجتمعات المسلمة قبل أن يلقوا بتجربتهم عليها، وهذه النظرة الفرعونية ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩] كانت سبباً أساسياً في البعد عن الحقِّ واسبابِ القرب من الله سبحانه وتعالى.

نعود إلى موضوعنا؛ فكما قلت إن الحاجة هي أم الاختراع، وعند استقراء تاريخ الحديث والجرح والتعديل أو ما يعرف بعلم الرجال، فإنه لم يُبتكر ويُخترع جزافاً عند أهل السنة، بل كان ابتكاره ضرورةً حتمية ومعالجة ترقيعية وتلفيقية في البيئة السنية لسببين هامين وخطيرين ألا وهما: البعد عن سنة الله في الهداية فالله يهيئ للناس أعلاما يبينون لهم القرآن، ويعالجون المستجدات وظروف المرحلة، ويبينون سنة الرسول العملية؛ لأنهم الهداة بأمر الله، والسبب الآخر الذي دفع أهل السنة لاقتحام ما يسمى بعلم الجرح والتعديل: الجمع العشوائي والغثائي الذي

أصيب به أهل السنة في بداية جمعهم الحديث، دون مراعاة لأي شرط في بداية الأمر، وإليك الأرقام والحقائق التالية:

كان البخاري يحفظ مائة ألف حديث صحيح!!! خرَّج منها في صحيحه أربعة آلاف حديث بدون المكرر (حفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح) ٢٠١/٢ (من هدي الساري مقدمة فتح الباري) وانظر جميع الكتب التي تحدثت عن البخاري وروى ابن حجر في مقدمة فتح الباري ص٤ أن أبا علي الغساني روى عنه أنه قال: خرّجت الصحيح من ستمائة ألف حديث.

ترى ما الذي اختزل المائة ألف حديث صحيح إلى أربعة آلاف حديث من دون المكرر وهي مجموع الاحاديث في "صحيح" البخاري؟ لا بد أن الجمع الابتدائي كان عشوائياً وغثائياً جداً.

أما أبو زرعة فقد قال فيه الحافظ أبو بكر محمد الرازي: لم يكن في هذه الأمة أحفظ من أبي زرعة، وكان يحفظ سبعمائة ألف حديث، وكان يحفظ مائة وأربعين ألفاً في التفسير والقراءات[١].

وقال الحافظ يحيى بن منده: وبلغني بإسناد هو لي مسموع أن أبا زرعة قال: أنا أحفظ ستمائة الف حديث صحيح واربعة عشرالف حديث اسناد في التفسير والقراءات)[٢].

وقال أحمد بن حنبل (صح من الحديث سبعمائة ألف وكسر)[٣].

ولو تساءلنا أين ذهبت هذه الآلاف المؤلفة من الأحاديث لما وجدنا غير جوابين:

إما أن سنة رسول الله ﷺ ضاعت، وهذا مستحيل.

أو أن الجمع الابتدائي كان عشوائياً وغثائيا جداً، وإن سميت أحاديث صحيحة.

وستزداد عجباً عندما تعلم أن مجموع الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة

(١) راجع (أبو زرعه الرازي) الدكتور/ سعدي الهاشمي ٢٠٧/١عن تهذيب الكمال.
(٢) المصدرالسابق وراجع تاريخ ابن كثير٣٧/١١.
(٣) تدريب الرواي ٥٠/١ – تهذيب التهذيب ٣٠/٧.

عند أهل السنة لا تبلغ "خمسين ألفاً" بدون تكرار، ذكر ذلك السيوطي في تدريب الراوي ١/ ١٠٠، بل إن الأحاديث المصححة في هذا العصر لا تصل إلى عشرة آلاف حديث قد تزيد أو تنقص بحسب اجتهاد المحدث، وإذا حسبنا الفارق الكبير فستبلغ عدد الأحاديث الصحيحة حسب تعبيرهم التي اندرست وضاعت ما يقارب ستمائة وتسعون ألفاً!!! وعلى افتراض أن الخمسين ألف حديث صحيحة فسيكون الفارق ستمائة وخمسون ألف حديث صحيح ضائع!!! والأعجب من ذلك أن المحدث الكبير أبو زرعة الرازي ذكر أن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تُحصى[١]!!

بينما يقول الإمام النووي في التقريب ص٣ (الصواب أنه لم يفت الأصول الخمسة إلا اليسير)!!!!

أما صحيح مسلم فقد نُقل عنه أنه صنف مسنده من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، أما عدد أحاديث كتابه فأربعة آلاف حديث دون المكرر أضواء على الصحيحين ص٣٠، أما أبو داوود فقد صنف سننه من بين خمسمائة ألف حديث، قال أبكر بن داسة: سمعت أبا داوود يقول: كتبت عن رسول الله خمسمائة ألف حديث انتخبت منه ما ضمنته هذا الكتاب -جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث- ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه.[٢]

أما موطأ الإمام مالك فقد نقل السيوطي في تنوير الحوالك، وانظر كذلك شرح الزرقاني على الموطأ ص١١ عن القاضي أبي بكر ابن العربي أن الموطأ هو الأصل الأول، والبخاري هو الأصل الثاني، وأن مالكاً روى مائة ألف حديث اختار منها في الموطأ عشرة آلاف حديث، ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة (السنة العملية) حتى رجعت إلى خمسمائة حديث أي الحديث المسند، ورواية ابن الهباب: ثم لم يزل يعرضه على الكتاب والسنة ويختبرها بالآثار والأخبار حتى رجعت إلى خمسمائة حديث، وغيرهم من علماء الحديث عند أهل السنة الذين كانوا يحفظون مئات الآلاف من الأحاديث!!.

(١) الإصابة ١/١، توضيح الأفكار للصنعاني ص ٤٣.

(٢) أضواء على الصحيحين ص٣١٧ نقلًا عن معالم السنن للخطابي ١/٨٠٦ تذكرة الحفاظ ٢/٥٩٩.

من خلال الأرقام الخيالية السابقة يتبين لك أن الرواية في المجتمع السني كانت سوقاً كبيرة لكل من هب ودب، وكانت على درجة عالية من الغثائية والعشوائية، إزاء هذا الوضع المزري دعت الضرورة أهل السنة إلى اعتماد أساليب اقتصرت على تنقيح وتصحيح الإسناد غالباً دون المتن، وعلى ما في هذا الطريقة من انتقادات سنوافيك بها لاحقاً لم يستطع أهل السنة تصحيح حتى المصحح في الوقت الحالي لانعدام الأساليب السليمة في التصحيح.

الجمع العشوائي وعلاقة السنة بالتبيين للقرآن

على العكس تماما ً من أهل السنة كان أتباع أعلام الهداية من أهل البيت عليهم السلام يفهمون سنة الله في الهداية في أنه يهيئ للناس أعلاما في كل مرحلة يبينون للناس القرآن، ومعالجات ومستجدات المرحلة، ويبينون سنة رسول الله العملية، ولذلك كانت منابعهم صافية، ومضوا من القناة التي أمرهم الله باتباعها، فلم يضطرهم ذلك إلى تقحم علم الرجال واصطلاحاته التي ما زال كثير منها خارج نطاق التطبيق عند أهل الحديث انفسهم إلا في مجال الرد، ولذلك لم يحصل عندهم التضخم والحشو الزائد من الأحاديث التي صرفتهم عن كتاب الله، وأصبح مثناة كمثناة أهل الكتاب كما سنوافيك لاحقاً.

يتشدق الوهابية بالصحاح الستة وبالذات البخاري ومسلم، وعندما تسألهم هل أمرنا الله باتباع هذه الكتب لا يملك أي جواب، وإنما يقول لا بد من السنة لأن القرآن بحاجة إلى مبين، وقد تتفاجأ أكثر عندما يتضح لك أن روايات أسباب النزول والتفسير بالمأثور الموجود لدى أهل السنة محكوم عليه بعدم الصحة من محدثيهم هم، وأنه خالٍ من الإسناد إلا ما ندر، وقد فشلت محاولات لبعضهم مثل (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للسيوطي، حيث حاول فيها تفسير القرآن الكريم بالحديث النبوي الشريف، لكنه لم يجد إلا القليل القليل عن رسول الله، وروايات متعارضة، ثم عاد إلى التفسير بأقوال الصحابة والتابعين كالضحاك وابن عباس وعكرمة... إلخ.

وقد تتفاجأ أكثر عندما تطلب منهم تبيينا روائيا لسورة واحدة أوسورتين من

القرآن بإسناد صحيح فلا تجد منهم جوابا، وبذلك يتضح لك أن كتبهم تغرِّد في معظمها خارج سرب القرآن، وأن تمسكهم بها بحجة أنها مبينة للقرآن باطل، وليس أمامهم إلا الطريق التي وضحها لهم الله ورسوله في معرفة سنة الله في الهداية.

وفي الواقع لا يوجد تفسير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطريقة التفسيرية المعروفة إلا أقل القليل، كتفسير للنص، لكنه كان هو صلى الله عليه وآله وسلم في حركته كلها تفسيرا وتبيينا، وتوجيهاته كلها تفسير وتبيين.

هل كان رسول الله يفسر لنا السورة من أولها إلى آخرها بالتفسير المعروف: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل: ١] أي: الليل إذا غطى الأرض، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل: ٢] أي جعلناه كذا... إلخ؟ هل كان خطابه عبارة عن تفسير على النمط المعروف؟ يفسر لنا القرآن آية آية؟ هل يوجد أصلا كتاب تفسير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطريقة التفسير المعروفة؟ لا شك أن النبي الأكرم ينطق بالقرآن، يبين للأمة ماذا يريد القرآن، وكيف يريد القرآن أن تكون، ألم يكن عمله هكذا؟ وهذه هي الطريقة المطلوبة.

عندما يقولون رسول الله هو مفسر، هو مبين، بالتأكيد هو مبين هذا شيء لا شك فيه، لكن ما هو البيان؟ البيان لا يقتصر فقط على مجرد أن يقول: «هذه الآية تعني كذا»! البيان أيضا في حركته في الحياة، هو قرآن يتحرك، حركته كلها هي تجسيد للقرآن لما يهدي إليه القرآن.

فالبيان يأتي عن طريق الكلام، وعن طريق الحركة، وعن طريق أشياء كثيرة جداً، عن طريق مواقف يتبناها على نحو معين هي عبارة عن بيان؛ وبهذا يكون بيانه هو حركته في أداء الرسالة.

إذاً فسنته هي حركته في الحياة، وأسلوبه الذي كان يسير عليه في الحياة، وبيانه للقرآن هو هذا.

من الذي كتب هذا البيان؟ الجانب الكبير من البيان جانب غير مكتوب، لا يمكن لأحد أن يرصد حركة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويحللها التحليل الكامل.

فمثلاً من خلال سلوك معين له يتجلى مبدأ معين هو مما أرشد إليه القرآن، مثلما تحرك لمواجهة الروم في تبوك دون أن يستعين بأي طرف آخر، أن يتحرك في كل حروبه ضد المشركين، وضد الروم دون أن يستعين بأطراف أخرى.

ليس معنى ذلك عدم قدرته على إقامة علاقات مع دول أخرى فيستعين بها، بل لأنه يعتقد أنه لا بد من بناء أمة قوية تعتمد على نفسها واثقة بربها، لو يفتح المجال بالاعتماد على الآخرين ستكون نقطة ضعف رهيبة في بناء الأمة.

فعندما يتحرك على هذا الأساس، هو يبين، هذا هو الجانب الذي لا يوجد فيه روايات، لا يوجد فيه أحاديث: حدثنا فلان أن رسول الله لم يعمل كذا؛ لأنه أراد كذا كذا كذا...إلخ؛ لأن هذا الموضوع يحتاج إلى تحليل، لا يوجد روايات تحليلية.. ممكن أن يروي لنا الرواة أنه حشد الناس وكانوا ثلاثين ألفًا، وتحركوا إلى تبوك، وتبوك تبعد عن المدينة وهي في تخوم الشام... إلخ. وانتهى الموضوع، لكن لماذا كان هكذا في قيادته؟ لماذا كان هكذا في حركته؟ لا يوجد فيها روايات.

هذا هو الجانب المهم، والجانب الكبير، وهذا هو البيان، مثل هذا أين يمكن أن يُكتب؟، لا يمكن أن يكتب في ذهنية رواة الحديث أو كل صحابي، بالتأكيد سيكتب في ذهنية الإمام علي، الشخص الذي يمكن أن يقوم بدور كهذا هو الإمام علي، هو الذي سيعرف، وهو مؤهل من الله سبحانه وتعالى، ومؤهل لتربية رسول الله له، سيعرف حركة رسول الله، فهو إذًا من سيعرف سنة رسول الله؛ لأن السنة ليست موضوع روايات، هو يعرف كيف كان يبين رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) القرآن، وما هو بيانه للقرآن، فسنة رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله هي طريقته في حركته الرسالية، القضية ليست قضية تفسير، ولمن يفهم القضية بهذا الشكل: مسألة شروح وروايات وأشياء من هذه: أين هي شروح القرآن التي أرفقها الله بالقرآن؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩] ألم يكن بالإمكان أن يرفق به ﴿بَيَانَهُۥ﴾ فيعمل مجلدين آخرين شرح بيان القرآن؟ لقد بينه، عليه بيانه، وبطريقته، عليه بيانه هو، بيانه مرتبط بالحياة، وبيانه مرتبط بمن يكمله، بمن يختصه سواء على يد رسول الله، أو على يد الإمام علي من بعده، أو

أي شخص آخر يقوم مقامه، لن يكون بيانه أبداً بطريقة تفسيرية، مثل: الزمخشري أو الطبري أو أي مفسر آخر لن يكون بالطريقة هذه؛ هذا بيان محدود، هو يتعامل مع اللغة أساساً، يتعامل مع اللغة: النص ومعناه في اللغة، يستعين بقواميس. لكن بيانه كهدى، بيانه مرتبط بحركة في الحياة، مرتبط باختصاص إلهي. ﴿عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ كما قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: ١٢] ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] يقول: هذه هي عَلَيَّ، لا تشغلوا أنفسكم أنتم بها، تنطلقون أنتم تتناولونها ستتيهون وتضيعون.

عندما انطلق الناس هم: كل واحد يريد أن يبين لنفسه هو، تمزقوا وتفرقوا، انتهوا إلى غرائب، إلى ضلال رهيب انعكس علينا. ألم ينعكس علينا؟ أصبحنا أحط الأمم، أمة أصبحت النسبة إليها سُبَّة في العالم.

تجد في مقابل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] من يقول مثلاً: لا بأس تبيانا لكل شيء، لكن لم نجده ذكر الصلاة بالتفصيل في كيفيتها وعدد ركعاتها. ألسنا نسمع هذه؟ نقول له: تعال ننظر إلى الانطلاقة الأخرى التي لم تقم على أساس هدي القرآن: ألم يصلِّ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ قل لي كيف قدم المسلمون هذه الصلاة، يوم انطلقوا هم. ألم يقدموها لنا بأشكال متعددة ومختلفة؟ بعض الناس يرفع، وبعضهم يضم أعلى صدره، وبعضهم يضم وسط صدره، وبعضهم يعمل كذا، وبعضهم يعمل كذا، و ... إلخ أليست منوعة؟ ألم يصبح التطبيق الذي عمله الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ضائعاً؟ أصبح ضائعاً فعلاً، ضاع من خلال ما بين أيدي المسلمين، وكل فئة قدمت نموذجًا معينًا. أليس معنى هذا أنه في المجموع جهل التطبيق الحقيقي؟ الممارسة الحقيقية للدين الذي أداها رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله بما فيها أذانه، الآذان نفسه بعض الناس يقول: الصلاة خير من النوم، وبعضهم يكبر أربع مرات، وبعضهم يقولون: حي على خير العمل.. وهو كان يؤذن على مسامعهم، والأذان من أوضح الواضحات، واختلفوا في تقديمه لنا؟

لكن هداية القرآن هي كانت -ولا تزال- بالشكل الذي لا يصبح شيء من هذه

التطبيقات محط إشكال، ولا غائبًا، لو تمسكت الأمة بالإمام علي مثلاً، وسارت بمسيرة الإمام علي، أليس الإمام علي يعرف كيف كان يصلي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ ألن يكون أداء الإمام علي لصلاته، وصيامه، وحجه، وكل عباداته، وكل مواقفه، هي التطبيق نفسه الذي قام به الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله)؟ إذاً ألن يكون موقف الإمام علي هو التبيان الواضح للتطبيق؟ فتمشي الأمة على طريقة واحدة. من تبيان القرآن الكريم، من التبيان أنه يهدي إلى العَلَم الذي هو أعلم بالمسيرة التي كان عليها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) فتسير الأمة على منهج واحد، وطريقة واحدة في الصلاة، وفي الحج، وفي العبادات، وفي المواقف، ألن تكون الصورة عن الدين يوم طبقه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أبين من الصورة التي المسلمون عليها الآن؟ أليس هناك اختلافات في كل قضية؟ أي: المسالة من حيث هي ليست بيِّنة! أليس معناها هكذا؟ وإذا كان الآذان الذي كان يؤذن به كل يوم عدة مرات جهراً لم يعد بيِّناً عند المسلمين، بعض الناس يقول: الله أكبر أربع مرات، وبعضهم يحذفون حي على خير العمل، وبعضهم يأتي بالتثويب بدل، وبعضهم يقولون: حي على خير العمل، وهو أذان واحد!

أي: أن من التبيين القرآني، ما يهدي إليه القرآن بالنسبة لأعلام دين الله؛ فيكونون هم وسيلة تبيين، هم أنفسهم، ولن يكونوا عبارة عن رقم آخر، تبيين في إطار القرآن الكريم.

عندما نسمع: لكن كم عدد ركعات كذا؟ نقول: القرآن في تبيينه يرشد إلى علي، وعلي سيبين لك الصلاة التي صلاها رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وانتهى الموضوع. أليس هذا بيان؟ لكن لم نمشِ على هذا البيان، ما الذي حصل؟ ألم يحصل اختلاف؟ وحصل تضييع للتطبيق؟ ضاع التطبيق الذي قام به رسول الله في حياته في وسط الضجة هذه.

فالملاحظ أن الله لم يذكر سنة النبي أو رواياته أو الحديث النبوي في القرآن الكريم، لأن الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعبر عن رسول الله ليست كتب الحديث، وإنما القرآن وورثته الحقيقيين، ولذلك يذكر الله

في القرآن الكريم أن الامتداد الطبيعي لرسول الله هم رجال وليس مرويات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ (سورة النساء – من الآية ٥٩)، ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ (سورة فاطر – من الآية ٣٢)، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٖ ۝٧﴾ (سورة الرعد – من الآية ٧)، ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ (سورة النساء – من الآية ٣٨)، كما تلاحظون لا توجد آية واحدة تقول: أطيعوا سنة رسول الله أو رواياته، ولا يعني ذلك إنكارا لسنة رسول الله، أو إنكارا لوجود مرويات عنه، وإنما المراد بكلامنا هو أن الأقدر على فهم سنة رسول الله هم الورثة الحقيقيون للقرآن الكريم.

هل دعا رسول الله إلى الإكثار من الرواية عنه أم لا؟

لأن الله سبحانه وتعالى قد وضع للناس سنة في الهداية أراد من الناس أن يتحركوا وأن يقتدوا بأعلامه الذين يهيئهم في كل مرحلة، ولأن الرسول كان يعلم بأن الناس سيتخذون قنوات أخرى يدعون أنها من رسول الله؛ فقد نهى رسول الله عن الرواية عنه حتى لا تتشكل قنوات للهداية غير ما أراده الله ورسوله، وإلا فما فائدة قول الرسول «كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»، والعجيب أن روايات النهي موجودة في كتب أهل السنة وإليك الحقائق التالية:

من يقارن بين الأحاديث التي رويت في كتب أئمة أهل البيت عليهم السلام، وما هو موجود في كتب أهل السنة والاثني عشرية، سيلاحظ قلة المرويات الحديثية في كتب قرناء القرآن، مقارنة بالحشو الزائد عند كل من أهل السنة والاثني عشرية، وهذه إحدى النقاط المثارة والشبه التي افتتن بها بعض التابعين لأئمة أهل البيت، رغم أن واقع كتب قرناء القرآن ما كان إلا ثمرةَ اتّباع أمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واستمراراً لعمل الصحابة، وإليك الأدلة على ذلك:

روى أحمد ومسلم والدارمي والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه".

وأخرج الدارمي عن أبي سعيد كذلك أنهم استأذنوا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يكتبوا عنه فلم يأذن لهم.

وفي رواية الترمذي عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال: استأذنَّا النبيَّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الكتابة فلم يأذن لنا[1].

ومن مراسيل ابن أبي مليكة: أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: "إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه"[2].

وروى حافظ المغرب ابن عبد البر والبيهقي في المدخل عن عروة أن عمر أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله في ذلك -ورواية البيهقي فاستشار- فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال: إني أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتباً فانكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني -والله- لا أشوب كتاب الله بشيء أبداًورواية البيهقي (لا ألبس كتاب الله ابداً) وعن عبد الله بن يسار قال: سمعت علياً يخطب يقول: أعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فمحاه، فإنما هلك الناس حين تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم.

وعن الأسود بن هلال قال: أُتي عبدُ الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث، فدعا بماءٍ فمحاها ثم غسلها، ثم أمر بها فأحرقت، ثم قال أذكر الله رجلاً عن أحد إلا أعلمني به، والله لو أعلم أنها بدير هندٍ لبلغتها، بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون!

---

(١) ٩١/٢طبعة الهند.

(٢) ٣/١ تذكرة الحفاظ للذهبي.

وهناك غير ذلك أخبار كثيرة يُرجَع إليها في الكتابَين؛ (جامع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر، و(تقييد العلم) للبغدادي، وغيرهما.

روى ابن سعد في الطبقات (١٤٠/٥) والبغدادي في تقييد العلم ص ٥٢ عن عبد الله بن العلاء قال: سألت القاسم بن محمد أن يمليّ علي أحاديث فقال: إن الأحاديث كثرتْ على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناسَ أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: "مثناة كمثناة أهل الكتاب"! قال فمنعني القاسم بن محمد يومئذ ان أكتب حديثا.

وقد عقد الفقيه المحدث السيد رشيد رضا رحمه الله فصلاً قيماً في التعادل والترجيح بين روايات النهي وروايات الرخصة، نأتي به هنا ليكون مقطع الحق في هذا الأمر، قال رحمه الله:

"إن أصح ما ورد في المنع من كتابة الحديث ما رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وابن عبد البر في كتاب العلم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن فمن كتب غير القرآن فليمحه».

وإن أصح ما ورد في الإذن حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيرهما مرفوعاً «أكتبوا لأبي شاة» وهو لا يعارض حديث أبي سعيد وما في معناه، على قاعدتنا التي مدارها على أن نهيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن كتابة حديثه مراد به ألا تُتخذ ديناً عاماً كالقرآن، وذلك أن ما أمر بكتابته لأبي شاة هو خطبة خطبها صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم فتح مكة موضوعها تحريم مكة ولُقَطَةُ الحرم، وهذا من بيانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم للقرآن الذي صرّح به يوم الفتح وصرّح به في حجة الوداع وأمر بتبليغه، فهو خاص مستثنى من النهي العام. وقد صرّح البخاري في باب اللُّقطة من صحيحه بأن أبا شاة اليمني طلب أن تُكتب له الخطبة المذكورة فأمر صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإجابة طلبه، وليس من باب فتح المجال لرواية الحديث لكل من هبّ ودبّ؛ لأن الله بين لنا سنته في الهداية". [1] إنتهى.

(١) من كتاب أضواء على الصحيحين بتصرف كبير ص ٤٦ – ٤٨.

وسائل تصحيح الحديث عند أهل السنة

الوسيلة الوحيدة لتصحيح الحديث عند أهل السنة والجماعة هو فحص وتمحيص أحوال الرواة، ولا عليهم بعد ذلك من متن الحديث غالباً.

عيوب منهج أهل السنة في التصحيح

الاقتصار على نقد السند دون المتن أثمر أخطاءً جسيمة منها:

أولا: الحكم على أحاديث بالصحة رغم معارضتها لكتاب الله

والامثلة على ذلك كثيرة نذكر منها:

- حديث الاغراء بالمعاصي (الرسالة المنقذة ٧١-٧٢) روى مسلم في صحيحه (٤/٢١٠٦ برقم ٢٧٤٩) عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: "لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم آخرين يذنبون..." الخبر، وهو يسمع كتاب الله بخلاف ذلك في قوله عز وجل: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨] ... وقوله في قصة هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] إلى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [هود: ٥٧].

حديث خلق السماوات والأرض في سبعة أيام:

الذي رواه مسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين باب ابتداء الخلق برقم ٢٧٨٩ عن أبي هريرة انظر كتابنا هذا موضوع (بعض الصحابة يأخذ عن مخبر وينسب للنبي) والمعلوم بأدلة القرآن أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهذا لايحتاج إلى توضيح.

- روى البخاري (فتح ٣/١٥١ - ١٥٢) ومسلم (٢/٦٣٨ - ٦٤٢) «عن عبد الله بن عمر وعن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه". وكما تعلم فالحديث معارض لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ

﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] إذ كيف يعذّب الميت بما لم يعمله وليس من آثار عمله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥٤].

- روى البخاري في صحيحه: أن أبا لهب يخفّف عنه كل يوم إثنين لأنه أعتق جاريته فرحاً بمولد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا معارِض لقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة: ١٦٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧]، ولعلّ قائلاً يقول: إنّ أبا لهب مخصص ومستثنى من ذلك، فيا سبحان الله! أيستثنى أبو لهب وهو رأس الكفر، ولا يستثنى غيره ممن هم دونه؟! ناهيك عن أن هذا الادعاء يفتح المجال لتخصيص كتاب الله المحكم بأحاديث ظنية، فيكون حجة لكل من أتى برواية مخالفة للقرآن ليقول إن هذه الرواية أو تلك تستثني وتخصص ما نصت عليه آيات الله في كتابه الكريم.
- حديث سحر النبي والذي ذكرناه في فصل سابق بعنوان نبينا محمد وروايات أهل السنة.
- حديث «ولد الزنا شر الثلاثة» ذكرناه في فصل (بعض الصحابة ينقلون آخر الحديث أحياناً)، وهو معارض لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].
- حديث أبي ذر الغفاري: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق" الذي ذكرناه في فصل (الأحاديث المتناقضة) وهو معارض لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩]، ولم يقل الله يدخل الجنة وإن زنى وإن سرق!!!!

ثانيا: الحكم على أحاديث بالصحة رغم معارضتها للقوانين العلمية الثابتة والواقع العلمي المعاش.

نذكر لذلك أمثلة منها:

روى البخاري (كتاب بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر) ومسلم وبعض السنن والمسانيد والتفسير بالمأثور عن أبي ذر قال رسول الله لأبي ذر حين غربت الشمس: أتدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل، فتستأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث شئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس:٣٨]. (المصادر في الحاشية)

كما تلاحظ فالحديث يبين أن الشمس تغرب كلية عن الأرض، وتغيب عنها تحت العرش، مع أن الشمس لا تغيب إلا عن نصف الكرة الارضية وتظهر على النصف الآخر نتيجة كرويتها، قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ [الزمر: ٥]، ولا يمكن أن يحصل هذا التكوير إلا إذا كانت الأرض كروية، والمعلوم أن هذه حقيقة علمية لا يمكن تكذيبها أبداً.

وروى أحمد في مسنده حديثا حكم له علماء الحديث بالصحة، ورواه كذلك في مجمع الزوائد وأبو يعلى والطبراني، عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "صدق أمية في شئ من شعره، فقال:

زحل وثورٌ تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصدي

فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: صدق وقال:

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد

تاتي فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد"

ولما اعتُرِضَ عليه في قوله: "إلا معذبة وإلا تجلد"، قال ابن عباس: والذي نفسي بيده ما طلعت الشمس قط حتى ينخسها سبعون ألف ملك، فيقولون: لها اطلعي اطلعي! فتقول: لا أطلع على قوم يعبدونني من دون الله فيأتيها.

- روى الشيخان -واللفظ لمسلم- عن أنس بن مالك «أن رجلاً قال: متى تقوم الساعة؟ قال: فسكت رسول الله هنيهةً، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوأة، فقال: إنْ عُمِّرَ هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة، قال أنس: ذاك الغلام من أترابي يومئذ"، وقد مات أنس في سنة ٩٣ هجرية على المشهور، وهو تِرب -أي في سن- الغلام الذي قال النبي إنه لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة، وبذلك يكون قيام الساعة قبل انقضاء القرن الأول الهجري كما نص الحديث! فما قول علماء أهل السنة في هذا الحديث صحيح الإسناد على طريقتهم؟ لعل بعضهم ينبري فيقول: وما يدريك لعل هذا الغلام لم يدركه الهرم إلى الآن![1].
- روى ابن القيم في بدائع الفوائد ٤٤٩/٢ والحاكم وصححه والبيهقي في الاسماء والصفات وغيرهم عن ابن عباس: أول ما خلق الله من شيء القلم ثم خلق النون -الحوت- فكبس الأرض على ظهر النون.

يقول الإمام القاسم الرسي معلقاً على من يقول إن الارض على ظهر حوت: "وقال حشو هذه الأمة المختلف الذي لا يفقه ولا يتصرف: قرار الأرض زعموا على ظهر حوت! ونعتوا حوتها في ذلك بألوان من النعوت، وأشبه هذه الأقوال عندنا بالحق وأقرب ما قيل بها من الصدق أن يكون ما تحت الأرض خلاءً منفهقاً وهواء من الأهوية منخفقاً.."[2].

ولأهمية العرض على كتاب الله يقول الإمام زيد بن علي عليه السلام في الرسالة المدنية عندما سأله بعض أصحابه عن الأحاديث المختلف فيها (اعلم يرحمك الله أنه ما ذهب نبي من بين أمته إلا وقد أثبت الله حججه عليهم؛ لئلا تضيع حجج الله وبيناته، فما كان من بدعة وضلالة فإنما هو من الحدث الذي كان من بعده، وأنه يُكذب على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "اعرضوا الحديث -إذا سمعتموه- على القرآن؛ فما كان من القرآن فهو عني وأنا قلته، وما لم يكن على القرآن فليس عني ولم أقله وأنا برئ منه." ..انتهى .

(١) اضواء على الصحيحين بتصرف ص ٢٢٨.
(٢) مجموع الإمام القاسم عليه السلام.

وهذا الحديث قاعدة عامة عند قرناء القرآن، رواه الإمام الهادي في شرح معاني السنة، ولمزيد من التوضيح اقرأ مجمع الفوائد للسيد العلامة مجد الدين المؤيدي، وتحرير الأفكار للسيد العلامة بدر الدين الحوثي.

ويقول الإمام القاسم الرّسي عليه السلام: "وإن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى» مجموع الامام القاسم

ثانيا : رواية الأحايث المتناقضة

نذكر الأمثلة التالية:

- روى البخاري ومسلم والترمذي عن عباده بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق حرم، الله عليه النار) البخاري ٣/ص ١٢٦٧ رقم الحديث ٣٢٥٢ مسلم ١/ص٥٨ رقم الحديث ٢٩ ، وروى البخاري ٥/٢١٩٢ رقم الحديث ٥٤٨٩ ومسلم ١/٩٤-٩٥ رقم الحديث ٩٤ عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "أما أخي جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله تعالى شيئاً دخل الجنة" قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق"، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق"، ثم قال في الرابعة: "على رغم أنف أبي ذر".
- ورووا نقيض هذه الأحاديث عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "لا يدخل الجنة قتات: (البخاري ٥/٢٢٥٠ رقم الحديث ٥٧٠٩) ومسلم ١/١٠١ ، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً.." البخاري ٥/٢١٧٩ رقم الحديث ٥٤٤٢ ومسلم ١/١٠٣ رقم الحديث ١٠٩.

- روى البخاري ٦/٢٥٣٦ رقم الحديث ٦٥٢٣ ومسلم ١/١١١ عن ابن مسعود قال: قيل يا رسول الله: أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية، ومن أساء في الإسلام أُخذ بالأول والآخر".
- وروى مسلم ٤/٢١١٩ عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً"، وما روى البخاري عن بأي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى"، قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: "من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى".
- وروى أبو داود ٤/٤٦٨ رقم الحديث ٤٢٧٨ عن أبي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل". انظر إلى هذا التناقض الكبير بين هذه الاحاديث ولك الحكم بعد هذا.

ثالثا: إضفاء القداسة الزائدة على الصحابة.

الاعتماد على النقد الظاهري لسلوك الفرد لا يكفي في تكوين صورة صحيحة عن الأشخاص؛ لأنه من الصعب الخوض في بواطن الشخص والاطلاع على المستور الذي لا يعلمه الا الله، والمواقف هي أفضل طريق يتم من خلالها معرفة معادن الرجال ومدى مصداقيتهم، وإذا كان الله قد أخبر محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن هناك مجموعة من المنافقين في مجتمع المدينة لا يعلمهم الرسول: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: ١٠١]، فتأمل كيف أن كمال النبي البشري لم يسعفه في معرفة طبائع ونفوس بعض أبناء مجتمعه من المنافقين المردة، ومن ناحية أخرى فإن الصحابة يتفاوتون في الضبط والعدالة والإدراك، كما أنهم خاضعون لمنهج الجرح والتعديل وليسوا معفيين من ذلك، وعندما حكم أهل السنة على الصحابة بالعدالة المطلقة، وتم إعفاؤهم من

الخضوع لمقاييس الجرح والتعديل واعتماد جميعهم كمرجعية للأمة -على ما في تعريفهم للصحابي من توسع كبير يشمل من رأى رسول الله ولو للحظة ما دام مظهراً إسلامه- كان لذلك كله آثارٌ سلبية على الرواية في الإسلام، نذكر هذه الآثار السيئة نقلاً عن أضواء على الصحيحين باختصار شديد وتصرف:

١- بعض الصحابة ينقلون آخر الحديث أحياناً

عن أبي حسان الأعرج: أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث عن رسول الله: «إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار"، فطارت شفقاً، ثم قالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث بهذا؟ إنما قال رسول الله: :كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار"، ثم قرأت: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد: ٢٢][1].

روى الحاكم في المستدرك في كتاب العتق بإسناده عن عروة ابن الزبير أنه قال: بلَغ عائشةَ أن أبا هريرة يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "لئن أمتع بسوط في سبيل الله أحبّ إليَّ من أن أعتق ولد الزنا)"، وأن رسول الله قال: "ولد الزنا شر الثلاثة"، و"إن الميت يعذب ببكاء الحي" فقالت عائشة: رحم الله أبا هريرة، أساء سمعاً فأساء إصابةً؛ أما قوله "لئن أمتع بسوط.." إنها لما نزلت ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢﴾ [البلد: ١١-١٢] قيل يا رسول الله ما عندنا ما نعتق، إلا أن أحدنا له جارية سوداء تخدمه وتنعى عليه، فلو أمرناهن فزنين فجئن بالأولاد فاعتقناهم، فقال رسول الله: "لئن امتع بسوط في سبيل الله.."، وأما قوله: "ولد الزنا شر الثلاثة"، فلم يكن الحديث على هذا، إنما كان رجل من المنافقين يؤذي رسول الله فقال: "ومن يعذرني من فلان؟" قيل: يا رسول الله مع ما به ولد زنا، فقال رسول الله: "هو شر الثلاثة"، والله عز وجل يقول ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤][2].

(١) الحديث٢٢ - تأويل مختلف الحديث ص ١٢٦-١٢٧.
(٢) المستدرك ٢/ ٢١٥ وصححه.

حدث ابن الجوزي: أن الزبير ابن العوام سمع صحابياً يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاستمع إليه حتى قضى حديثه، فقال له: أنت سمعت هذا من رسول الله؟ فقال الرجل: نعم، فقال الزبير: هذا وأشباهه مما يمنعانني أن أتحدث عن النبي، قد -لعمري- سمعت هذا من رسول الله وأنا يومئذ حاضر، ولكن رسول الله ابتدأ بهذا الحديث فحدثَناه عن رجل من أهل الكتاب حديثا يومئذ، فجئتَه أنت بعد انقضاءِ صدر الحديث وذِكرِ الرجل الذي هو من أهل الكتاب، فظننتَ أنه من حديث رسول الله[1].

كما تلاحظ فهذان نموذجان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ أحدهما يلقب عند أهل السنة براوية الإسلام وهو أبو هريرة، ينقل آخر الحديث عن رسول الله، فينقلب المعنى إلى غير المراد، مَن الذي يضمن لنا أن هناك أحاديث أخرى نُقلت بنفس الطريقة؟ وأن هناك صحابة آخرين دخلوا في نفس الخطأ؟ سؤال لا تستطيع طرق التصحيح عند أهل السنة الإجابة عليه.

٢- بعض الصحابة يأخذ عن مخبرٍ وينسب للنبي.

قال بشر بن سعيد: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويحدثنا عن كعب الأحبار، ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب وحديث كعب عن رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم.[2]

وليت أحداً يدلنا على هؤلاء الذين كانوا مع بشر بن سعيد وما أسماؤهم؟ فربما وصلت إلينا مروياتهم وهي عن كعب.

يقول ابن قتيبة في أبي هريرة: وكان مع هذ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كذا، وإنما سمعه من الثقة عنده فحكاه[3].

روى أحمد عن أبي هريرة: "إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا

(١) دفع شبه التشبيه ص ٣٨.
(٢) البداية والنهاية ١٠٩/٤، سير اعلام النبلاء ٦٠٦/٢.
(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٥٠.

كادوا يرون شعاع الشمس.." قال ابن كثير: "لعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار، فإنه كثيراً ما يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة، فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه.."[١].

قال يزيد ابن هارون: سمعت شعبة يقول: "أبو هريرة كان يدلِّس، أي يروي ما سمعه من كعب وما سمعه من رسول الله ولا يميز هذا من هذا". رواه ابن عساكر، انظر علوم مصطلح الحديث صبحى الصالح[٢].

قال رشيد رضا حين تكلم عن كعب الأحبار ووهب بن منبه: وما يدرينا أن تلك الروايات المرفوعة أو الموقوفة ترجع إليهما، فإن الصحابة لم يكونوا يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض ومن التابعين على سبيل الرواية والنقل، بل يذكرونه من غير عزوٍ غالباً، وكثير من التابعين كذلك، بل أكثر ما روي عن أبي هريرة من الأحاديث المرفوعة لم يسمعه منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم[٣].

وقال: وأنا لا آمن أن يكون بعض أحاديث أبي هريرة المرفوعةِ الغريبةِ المتون التي لم يصرح فيها بالسماع، مما رواه كعب الأحبار؛ فقد صرحوا أنه روى عنه.[٤]

روى مسلم عن أبي هريرة: أخذ رسول الله بيدي فقال: "خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل"[٥].

وقد قدح أئمة الحديث في هذا الحديث. قال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب الاحبار.[٦] ومع أن هذا الحديث من كعب الأحبار إلا أن أبا هريرة ينسبه إلى النبي، ويؤكد ذلك بقوله: أخذ رسول الله بيدي!! ونحن نعلم يقيناً أن الله خلق السموات والارض في ستة أيام وليس في سبعة أيام كما تحكيه هذه الرواية.

(١) تفسير ابن كثير ٣/١١١.
(٢) البداية والنهاية ٤/١٠٩، وهناك رواية قريبة منها في سير اعلام النبلاء ٢/٦٠٨.
(٣) مجلة المنار ١٩/٩٧.
(٤) مجلة المنار ٢٧/ ٣٤٢.
(٥) كتاب صفات المنافقين باب ابتداء الخلق.
(٦) تفسير سورة الاخلاص لابن تيمية ص ١٦.

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله يحكي عن موسى على المنبر قال: "وقع في نفس موسى هل ينام الله؟ فأرسل الله تعالى إليه ملكا فأرّقه ثلاثا، وأعطاه قارورتين؛ في كل يدٍ قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما، فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحدى القارورتين عن الأخرى، حتى نام نومة فأصفقت يداه فانكسرت القارورتان".

قال ابن كثير: والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع، بل من الإسرائيليات المنكرة، فإن موسى عليه السلام أجلُّ من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم..[1]

من هنا نعلم كيف دخلت أحاديث التشبيه والتجسيم والإسرائيليات إلى كتب المسلمين.

٣- بعض الصحابة يخطئون في النقل

عن مطرف قال: قال لي عمران بن حصين: أي مطرف، واللهِ إن كنت لأرى أني لو شئت حدثت عن نبي الله يومين متتابعين لا أعيد حديثاً، ثم لقد زادني بطئاً عن ذلك وكراهية له، أن رجلاً من أصحاب محمد أو من بعض أصحاب محمد شهدت كما شهدوا وسمعت كما سمعوا، يحدثون أحاديث ما هي كما يقولون، ولقد علمت أنهم لا يألون عن الخير، فأخاف أن يشبَّه لي كما شُبِّه لهم..[2].

وقال زيد بن ثابت: لعل كل شيء حدثتكم به ليس كما حدثتكم[3].

أخرج أحمد عن عائشة أنه بلغها أن ابن عمر يحدث عن أبيه عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: "الميت يعذب ببكاء أهله عليه"، فقالت يرحم الله عمر وابن عمر فو الله ما هما بكاذبين ولا مكذبين ولا متزيدين، إنما قال ذلك رسول الله في رجل من اليهود مرّ بهم وهم يبكون عليه فقال: إنهم ليبكون عليه، وإن الله عز وجل ليعذبه في قبره.[4]

(١) تفسير ابن كثير ٣/٥٦٨.
(٢) مسند احمد ٥/٥٩٩، مجمع الزوائد ١/١١٤١، تأويل مختلف الحديث ٤٠.
(٣) جامع بيان العلم ١/٦٥.
(٤) ٦/٢٨١، سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي ٤/١٨-١٩.

كما تشاهد أن عدمَ ضبط الحديث والإخلالَ بمعناه كان يقع فيه كثير من الصحابة، فما الذي يمنع بعد ذلك أن يكون هناك أحاديث مختلة ومعكوسة؟ مَن يضمن لنا ذلك؟ واللوم يقع في البداية على أصحاب نظرية العدالة المطلقة للصحابة.

٤- صحابة مشكوك في روايتهم

روي عن أبي حنيفة أنه قال: أقلد جميع الصحابة، ولا أستجيز خلافهم برأي، إلا ثلاثة نفر؛ أنس بن مالك، أبو هريرة، سمرة، فقيل له في ذلك فقال: أما أنس فاختلط في آخر عمره، وكان يُستفتى فيفتي من عقله، وأنا لا أقلد عقله، وأما ابو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى، ومن غير أن يعرف الناسخ والمنسوخ[١].

رُوي أن الشافعي أسرَّ إلى الربيع أنْ لا تقبلْ شهادة أربعة من الصحابة وهم: معاوية، عمرو بن العاص، المغيرة، زياد[٢].

قال عمر بن الخطاب لأبي هريرة: لتتركن الحديث عن رسول الله أو لأُلحقنَّك بأرض دوس[٣].

وأرسل عثمان يقول لأبي هريرة: لقد أكثرت، لتنتهين أو لأُلحقنَّك بجبال دوس[٤] (وكان أبو هريرة يقول: حدثني خليلي.. ورأيت خليلي.. وقال لي خليلي رسول الله..، فبلغ علياً ذلك فقال له: متى كان النبي خليلك يا أبا هريرة؟ قال ابن قتيبة: وكان علي سيئَ الرأي فيه[٥].

وقال إبراهيم النخعي إمام العراق، وقيل عنه: إنه كان صيرفياً في الحديث: كان أصحابنا يدعون من حديث أبي هريرة، وعنه قال: ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي

(١) مرآة الاصول ملا خسرو الحنفي، ابو شامة الشافعي في مختصر المأمل ص ٣١-٣٢.
(٢) تاريخ الطبري، ابن الاثير، ابن عساكر ٢/٣٧٩.
(٣) ابن عساكر ٥/٢٣٩ رقم ٤٨٨٥ من كنز العمال، البداية والنهاية ٤/١٠٦، سير اعلام النبلاء ٢/٦٠٠.
(٤) المحدث الفاصل الرامهر مرزي ص ٥٥٤).
(٥) تأويل مختلف الحديث ٤١.

هريرة، وعن الأعمش قال: كان إبراهيم صحيح الحديث، فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه، فأتيته يوماً بأحاديث أبي صالح عن أبي هريرة فقال: دعني من أبي هريرة، إنهم كانوا يتركون كثيراً من أحاديثه[1].

بل إن المجتمع في عهد أبي هريرة ظهر فيه من يُكذب أبا هريرة، كمثل ما أشرنا إليه من مقالة الإمام علي عليه السلام وعمر وعثمان وغيرهم فيه، وما كان باعتراف أبي هريرة بنفسه؛ روى مسلم عن ابن رزين قال: خرج علينا أبو هريرة فضرب بيده على جبهته فقال: إنكم تقولون إني أكذب على رسول الله لتهتدوا وأضل..[2]

ولا شك أن شك جميع هؤلاء الناس في رواية أبي هريرة في محلها، خصوصاً إذا علمت أن معظم روايات التشبيه والتجسيم وانتقاص الأنبياء وغيرها من الإسرائيليات رويت عن طريق أبي هريرة، وكل هذه الاختلالات لا يمكن حلها عبر منهج أهل السنة في التصحيح.

٥- صحابة يروون عن أهل الكتاب

قال ابن حجر عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين[3].

وقال ابن كثير في مقدمة تفسيره: إن عبدالله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما، وقال ابن كثير عن الحديث الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: إن الأشبه أن يكونَ موقوفاً على عبد الله بن عمرو، ويكونَ من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب.

إن «الباحث المتثبت والناقد البصير لا ينكر أن الكثير من الإسرائيليات دخلت الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا، وكذلك لا ينكر أثرها السيئ في كتب

(١) سير اعلام النبلاء ٢/٦٠٢، البداية والنهاية ٤/١٠٩ العلل ومعرفة الرجال احمد بن حنبل ١/٤٢٨.
(٢) مسلم ٢/٧٥.
(٣) فتح الباري ١/١٦٧.

العلوم وأفكار العوام من المسلمين، وما جرّته على الإسلام من طعون أعدائه"[1]

"تأمل إلى هذا الخلل الكبير في منهج أهل السنة في التصحيح؛ كيف أدى إلى دخول الكثير من العقائد الفاسدة والروايات الغريبة، والتي أصبحت فيما بعد ثقافة عامة لجماهير المسلمين في عصرنا، ولا نملك إلا أن نقول اللهم انَّا نسألك الثبات والعون والهداية لأمة الإسلام، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم"[2].

الجرح والتعديل وأثره السلبي على أخلاقيات اهل السنة السلفية

أي علم مربوط بالقرآن يكون له أثر إيجابي في نفوس وسلوك أتباعه؛ لأن القرآن يقوّم النفوس ويهذبها: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، بينما هكذا تصنع ثقافة الجرح والتعديل بنفوس مريديها: تحت عنوان عندما تتحول المساجد إلى أسواق لعبد الرزاق الجمل أحد طلاب مركز دماج سابقاً:

صحيفة البلاغ العدد ٦١٦ يقول فيه: "تحت شعار الجرح والتعديل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتحول كثير من المساجد إلى أسواق بل إلى أقبح في بعض الأحيان، هذا الكلام لا علاقة له بالمبالغات لا من قريب ولا من بعيد، كل ما عليك فعله لتصديق هذا هو استعراض شريط او شريطين ليحيى بن علي الحجوري القائم على مركز الوادعي في دماج -قائد سلفي- ستسمع في ساعة ما لم تسمعه في سوق عنس في ساعات، ولِتتأكدَ أكثر دعنا نستعرض شريطاً واحداً من هذه الأشرطة التي بلغت ثلاثمائة شريط في ظرف ثلاث سنين، أي بمعدل شريط في كل أربعة أيام، وكله من هذا الضرب أشرطة سوقية مجردة عن الرد العلمي والأخلاق، إضافة إلى ما فيها من إساءة للدين والخلق وللحياء العام، رغم أنها تملأ المكتبات والتسجيلات التابعة لهم وتذاع بمكبرات وسماعات خارجية لغرض الإغاضة للمخالفين لا غير.

إن الديمقراطية وحرية الرأي لا تعنى التعري عن الحياء ولا تعنى الدوشنة،

(١) دفاع عن السنة ص٨٢.

(٢) انتهى من كتاب وركبت السفينة ص ٢٠٩-٢٢٥ نقلًا عن اضواء على السنة المحمدية.

على أنهم لا يؤمنون بالديمقراطية ويرونها كفرا مُخرجاً من الملة، ولا يؤمنون أيضا بوجهات النظر الأخرى ولو كانت صحيحة ما لم تأتِ من جهتهم، ونحن قبل أن نقدم هذا للناس، نعرضه أيضاً كشكوى للجهات المختصة التي ربما كانت على علم مسبق بما يجرى؛ لتضع حداً لهذا العبث الديني الذي ربما ستنسينا عواقبه منافع قاعدة "فرق تسد".

الشريط الذي سنستعرضه يحمل عنوان الرد على عمرو خالد (أحد دعاة الوهابية)، وقد ركزت في الشريط على الجانب اللفظي، فقد قال الحجوري عن عمرو خالد: (١)سفيه رويبض لاعب كرة (٢)داعي الإجرام (٣)ضائع من الضائعين (٤)عقلاني فلسفي لا كتاب ولا سنة (٦)مغازل من المغازلين (٧)ضائع فاسق (٨) جويهل فسيق (٩)هل هو من الإسلام في سرد أو رد (١٠)يدعو إلى الإجرام والفتنة والفساد والخنا والريبة (١١)من فسقة الدعاة الذين لا يعبؤون بالدين (١٢)لا يرفع بالدين رأساً (١٣)لا تفرق بينه وبين النصراني حليق فسيق (١٤)صورته ملأت الدنيا عمرو خالد أعزك الله (١٥)صورته صورة شيطان على إنسي (١٦)إبليس الثاني يدافع عن إبليس الأول (١٧)يا فويسق بعضهم يحضرون من أجل البنات (١٨)أنت أيضا تجمع هؤلاء للمتعة (١٩)من دعاة أبواب جهنم (٢٠)هذا داعٍ إلى الاختلاط والخنا والفساد والزنا والمغازلات (٢١)أما قلب عمرو خالد فنجس (٢٢)ما عندك علم أنت تعلم الناس الفساد والمغازلات (٢٣)يدعو إلى المجون والخنا والميوعة والفساد (٢٤)مسرحي ممثل لعاب ضائع يحب الضياع والضائعين (٢٥)ولد بار لإسرائيل (٢٦)أخزاه الله (٢٧)أنت بلا حياء (٢٨)أسهر الله جلدك وجلد سهير البابلي (٢٩) يقف أمام النساء (٣٠)يبتغي سنة الجاهلية وأفعال المشركين (٣١)من أبناء اليهود والنصارى البررة بهم (٣٢)داعية إسلامي إلى المصمصة! (٣٣)فاجر.

هذا شريط واحد من جملة أشرطة، لقد جمعت من عشرة أشرطة أكثر من أربعمائة لفظة، كل لفظة أقبح من الأخرى، ولو استعرضت عشرين شريطاً لكانت ألفيةً أو قاموساً، ولعلي أخرجها في قاموسين: الأول نمد به إرشيف المكتبة العامة في سوق قات شميلة أو عنس، والثاني مختصر كقاموس جيب.

سؤال: أين تلقّى الحجوري العلم؟ هل هذا هو الجرح والتعديل الذي تفتخرون به وأنه الذي يميزكم عن غيركم؟.

إن مركز دماج يعج بثلاثة آلاف شخص، وكلهم يتلقون العلم على يد هذا الجراح، هل سنرى ثلاثة آلاف داعية أم ثلاثة آلاف سباب؟ سؤال نطلب الإجابة عنه من جهة الاختصاص، ولعلنا إن سنحت الفرصة نستعرض بقية الأشرطة في حلقات قادمة... انتهى

كما تلاحظ؛ هذا نموذج من نماذج علماء الحديث، فما بالك بطلاب العلم! وهل الدين يرضى بمثل هذه الأخلاق السيئة؟

حقائق وأرقام تؤكد ما ذهبنا إليه

رويت الآثار الصحيحة في النهي عن كتابة الحديث إلا ما كان منها بياناً للقرآن، وكانت الأخبار الوثيقة قد ترادفت بأن صحابته قد استمعوا إلى هذا النهي. وإليك هذه الأرقام والحقائق عن مقدار روايات كبار الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

١- أحاديث زيد بن ثابت الأنصاري:

شهد أحد والمشاهد كلها، روى عن رسول الله حديثاً واحدا[١].

٢- أحاديث عبد الرحمن بن عوف:

روى خمسة وستين حديثاً[٢].

٣- أحاديث الزبير بن العوام:

رُوي أنه كان رابع أربعة او خامس خمسة في الإسلام، رُوي له ثمانية وثلاثون حديثاً[٣].

(١) أسماء الصحابة الرواه ص ٤٥٠.
(٢) اسماء الصحابة الرواة ص ٧٢.
(٣) اسماء الصحابة ص ٩٥.

٤- أحاديث طلحة بن عبيد الله:

أسلم في بداية الدعوة، وصلنا منه ثمانية وثلاثون حديثاً[١].

٥-أحاديث أبي ذر الغفاري:

أول من جهر بالحق، عاش مع النبي ثلاثة وعشرين سنة، ووصل إلينا منه مائتان وواحد وثمانون حديثاً.

٦- أحاديث سلمان الفارسي:

وما أدراك ما سلمان الفارسي! يكفيه فخراً أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال فيه: «سلمان منا أهل البيت"، وصلنا عنه ستون حديثاً[٢].

٧-أحاديث أُبَيّ بن كعب.

شهد بدرا والمشاهد كلها، وصلنا من روايته مائة وأربعة وستون حديثاً[٣].

٨-أحاديث عثمان بن عفان:

أسلم عثمان في بداية الدعوة، وروى له البخاري تسعة أحاديث، ومسلم خمسة أحاديث، وصلنا عنه مائة وستة وأربعون حديثاً[٤].

٩-أحاديث ابي بكر:

لم يبلغنا عنه غير مائة واثنين واربعين حديثاً[٥] وتجد الفارق الهائل بين احاديث ابي هريرة التي بلغت خمسة الاف وثلاثمائة واربعة وسبعين خلال سنتين فقط وبين احاديث ابي بكر.

(١) انظر كتاب اسماء الصحابة الرواة ص ٩٥.
(٢) اسماء الصحابة الرواة ص ٧٤.
(٣) الاصابة ١٦/١، سير اعلام النبلاء ٣٨٩/١.
(٤) اسماء الصحابة الرواة ص ٥٦.
(٥) اسماء الصحابة الرواة ص ٥٧.

١٠-احاديث عمر بن الخطاب:

لم يصح من الأحاديث التي رواها غير حوالي خمسين حديثا[١].

وكثير من الصحابة الذين لم يؤثر عنهم إلا اليسير من الأحاديث

أهل البيت وكتبهم

كتب قرناء القرآن من أئمة أهل البيت الحديثية خرجت من منابع صافية، ومع ذلك نحن لا نخرج في تقييمها عن سنة الله في الهداية، وكذلك نخضعها لقاعدة العرض على القرآن.

قال الإمام المرتضى بن الإمام الهادي: "وما كان من الحديث مما رواه اسلافنا -أباً فأب عن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فنحن نحتج به، وما كان مما رواه الثقات من أصحاب رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبلناه وأخذناه وأنفذناه».

أما موقعه من رواياتهم فلهم المسانيد الطيبة لعل أبرزها:

مسند الإمام زيد بن علي عليه السلام

يعتبر أصح وأول مصنف حديثي في تاريخ الإسلام، ورواته تلك السلسلة الذهبية العزيزة الوجودِ في غير كتب أهل البيت عليهم السلام؛ عن زيد حليف القرآن، عن علي زين العابدين السجاد، عن الحسين سبط رسول الله، عن علي باب مدينة علم رسول الله، عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ورغم أنها سلسلة ذهبية، لكن لا زال قرناء القرآن يعتقدون أن الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كتاب الله فقط، أذكر يوماً أن أحد السلفيين أخبرني بلغة السخرية أن الذي قدم مسند الإمام زيد للأمة واحد فقط هو أبو خالد الواسطي، ومن العجب -وما عشتَ أراك الدهر عجباً- أنهم يقولون

(١) انظر اسماء الصحابة الرواة.

بأن الذي قدم مسند الامام زيد للأمة هو واحد من بين ثلاثمائة وثمانين تقريباً من طلابه وأبنائه و أقاربه.

ابو خالد لم يبق إلا وحده يروى مسند الإمام زيد، فلا ضير في ذلك، خصوصاً أنهم خرجوا من معركة قتالية بين جيشين غير متكافئين، واحتمال القتل والإفناء لأصحابه وارد، مع أن الأحاديث في المسند مروية بطرق أخرى في كتب أهل البيت عليهم السلام، بل إن أهل البيت جميعاً تلقوه بالقبول، ولكن قل لي بربك أين ذهب الـ(تسعون ألفا) الذين سمعوا من البخاري ولم يبق إلا واحد، وماتوا جميعا ولا معركة هناك؟ فأي الأمرين أدعى للاستغراب والعجب؟!

ما رواه الإمام القاسم الرسي عليه السلام، ت سنة ٢٤٦ هـ

روى الأحاديث في كتاب الفرائض والسنن، وكتاب المناسك، وكتاب صلاة اليوم والليلة، وكتاب مسائل جهشيار، وكتاب مسائل الكلاري، وكتاب مسائل النيروسي، وما رواه في مجموعة الشريف في أصول الدين، وهي روايات ممزوجة بغيرها من المسائل الفقهية والعقائدية.

ما رواه الإمام الهادي عليه السلام

روى الأحاديث في كتاب الأحكام، وكتاب المنتخب والفنون، والمجموعة الفاخرة، وهي روايات ممزوجة بغيرها من المسائل الفقهية والعقائدية، وجُل أحاديث الإمام الهادي لم يصرح فيها بالإسناد، ولا يعنى ذلك أنها منقطعة بل هي مسندة بأصح الأسانيد وإن لم يصرح بذلك، والدليل على ذلك ما يقوله عليه السلام في كتابه الأحكام ٢/ ٥١٩: «إن آل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يختلفون، إلا من جهة التفريط، فمن فرط منهم في علم أهل بيته أباً فأبا حتى ينتهى إلى علي بن ابي طالب عليه السلام والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشارك العامة في أقاويلها واتباعهم في شيء من تأويلها، لزمه الاختلاف، ولا سيما إذا لم يكن ذا نظر وتمييز، وردّ ما وَرَدَ عليه إلى الكتاب، وردّ كل متشابه إلى المحكم، فأما من كان منهم مقتبساً من آبائه أباً فأبا حتى ينتهي إلى الأصل غير ناظر في قول غيرهم

ولا ملتفت إلى رأي سواهم، وكان مع ذلك فهما مميزا حاملاً لما يأتيه على الكتاب والسنة المجمع عليها والعقل الذي ركبه الله حجة فيه، وكان راجعاً في جميع أمره إلى الكتاب وردّ المتشابه منه إلى المحكم فذلك لا يضل أبداً ولا يخالف الحق أصلاً"

وهذا دليل واضح على أن مروياتِ الإمام الهادي عليه السلام المرسلةَ مسلسلةٌ بآبائه الطاهرين عليهم السلام.

أمالي أحمد بن عيسى

وهو من أئمة أهل البيت العظماء وكان عالما وفقيها وعابدا وقد جمع مجموعة من الرايات النبوية في كتاب سمي بالأمالي.

أمالي الإمام أبي طالب

"وهو عليه السلام لا يروي الحديث إلا بعد تأكده من صحته أو حسنه بدليل ما ذكره في كتابه «شرح البالغ المدرك"، بعد أن أورد أخباراً من طريق العامة قال: واعلم أنه دعانا إلى ذكر هذه الأخبار بنقل العامة -وإن كان قد نقلها عندنا من نثق بهم من أئمتنا عليهم السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومشائخ أهل العدل والتوحيد- إنكارُ فقهائهم حجج العقول والرجوع إليها في متشابه القرآن والأخبار[1]... قال عنه أبو طاهر: كان من أمثل أهل البيت، ومن المحمودين في صناعة الحديث وغيره من الأصول والفروع[2]، وقال ابن حجر: كان إماماً على مذهب زيد بن علي، وكان فاضلا غزير العلم مكثراً، عارفاً بالأدب وطريقة الحديث[3]... انتهى"[4].

وما رواه أيضا الإمام الناصر الأطروش في البساط وغيرها من الكتب.

البخاري ومسلم

وبعد أن استعرضنا بعض كتب أهل البيت عليهم السلام، نسلط الضوء على

(١) شرح البالغ المدرك ٥٤.
(٢) لسان الميزان ٦/٢٤٨.
(٣) لسان الميزان ٦/٢٤٨.
(٤) تيسير المطالب في امالي ابي طالب ص ٣٠.

"صحيح" البخاري ومسلم كأصح كتابين بعد كتاب الله عند أهل السنة، وستعلم أن تلك الهالة والقداسة التي وضعوها لـ«صحيح" البخاري ومسلم ما هي إلا قعقعة من غير من مطر وجعجعة من غير طحين.

"صحيح" البخاري قُدِّم للأمة عن طريق شخص واحد من طلاب البخاري وهو الفربري الذي قال إن من حمل "صحيح" البخاري من طلابه تسعون ألفاً ماتوا جميعا، ولم يبق غيره لينقل "صحيح" البخاري للأمة، وانظر إن شئت مقدمة فتح الباري شرح "صحيح" البخاري.

على شرط البخاري ومسلم

ترى ما هو هذا الشرط الذي لطالما سمعناه وما علمناه، وستتفاجأ عندما تعلم أنه ليس هناك شرط أصلا! يقول النووي: إن المراد بقولهم "على شرطهما" أن يكون رجال إسناده في كتابيهما؛ لأنه ليس لهما شرط في كتابيهما ولا في غيرهما، كما حكاه عنه السيد محمد بن ابراهيم الوزير في التنقيح[1].

".. وقال الحازمي -في شروط الأئمة الخمسة تحت هذا العنوان: "باب في إبطال من زعم أن شرط البخاري إخراج الحديث عن عدلين وهلم جرا إلى أن يتصل الخبر بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم" -قال: إن هذا حكم من لم يُمْعِن الغوص في خبايا الصحيح، ولو استقرأ الكتاب حق الاستقراء لوجد جملة من الكتاب ناقضة عليه دعواه، وأما قول الحاكم: إن اختيارَ البخاري ومسلم إخراجُ الحديث عن عدلين إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهذا غير صحيح طرداً وعكسا، بل لو عكس القضية وحكم كان أسلم له، وقد صرح بنحو ما قلتُ مَن هو أمكن منه في الحديث، وهو أبو حاتم محمد بن حبان البستي، فقد قال: فأما الأخبار، فإنها كلها أخبار الآحاد؛ لأنه ليس يوجد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خبرٌ من رواية عدلين روى أحدهما عن عدلين وكل واحد منهما عن عدلين حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلما استحال هذا وبطل ثبت أن الأخبار كلها أخبار الآحاد، ومن اشترط ذلك فقد عمد إلى ترك السنن كلها؛ لعدم وجود السنن إلا

(١) انظر توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الانظار ١/ ٨٨ لابن الامير الصنعاني) (الرسالة المنقذة ١٧-١٨ بتصرف).

من رواية الآحاد... انتهى كلام ابن حبان، و من سبر مطالع الأخبار عرف أن ما ذكره ابن حبان أقرب إلى الصواب "[١].

استدراك على البخاري ومسلم

قال النووي في شرح مسلم: استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلّا بشرطيهما فيها ونزلت عن درجة ما التزماه.

وقد ألف الحافظ الدار قطني في بيان ذلك كتابه المسمى "الاستدراكات والتتبع"، وذلك في مائتي حديث مما في الكتابين، ولأبي مسعود الدمشقي صاحب «الأطراف" استدراك عليهما، وكذا لأبي علي الغساني في كتابه "تقييد المهمل"، وقال في أول شرح مسلم: وما يقوله الناس إن من روى له الشيخان فقد جاوز القنطرة، هذا من التجوه ولا يقوى[٢].

قال رزين العبدري في مقدمة جامعه ما لفظه: وأكثر أحاديث الموطأ لفظها لفظ الإرسال، وفي البخاري من المرسلات جمل.

قال محمد بن يحيى الذهلي شيخ البخاري في حق البخاري: "ومن يقربه فلا يقربنا"[٣]، وقال فيه: «من ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه؛ فانه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه"[٤].

وإن أبا حاتم محمد بن إدريس الرازي وأبا زرعة تركا حديثه؛ لما كتب إليهما محمد بن يحيى بذلك بعد أن سمعا منه[٥].

ودلس البخاري عبد الله بن صالح رغم أن له مناكير[٦].

قال ابن الصلاح في مقدمته: احتج البخاري بجماعة سبق من غيره الجرح لهم؛

---

(١) ص ٣١ نقلًا عن كتاب اضواء على السنة المحمدية.
(٢) اضواء ٣١٣.
(٣) سير اعلام النبلاء ٢٧٣/١٢.
(٤) سير اعلام النبلاء ٤٥٦/١٢.
(٥) سير اعلام النبلاء ٤٦٢/١٢.
(٦) انظر (الميزان ٤٧/٢).

كعكرمة مولى ابن عباس وكإسماعيل بن أبي أويس وعاصم بن علي وعمر بن مرزوق وغيرهم، واحتج مسلم بسويد بن سعيد وجماعة اشتهر الطعن فيهم، وهكذا فعل أبو داوود السجستاني. انظر علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٠٧ بتحقيق عتر.

وحكوا أن مسلماً لما وضع كتابه "الصحيح" عرضه على أبي زرعه الرازي، فأنكر عليه وتغيظ، وقال سميتَه "الصحيح" فجعلته سُلماً لأهل البدع وغيرهم[١].

واعتمد البخاري على أهل التدليس مثل حميد بن أبي ثابت، وزكريا بن أبي زائدة وغيرهما[٢].

واعتمد على مجاهيل مثل الحسين بن الحسن بن بشر، والحكم بن عبد الله، وعبد الله بن الحسين القنطري، ومحمد بن الحكم المروزي، جهّلهم أبو حاتم الرازي[٣].

واعتمد على بعض المتكلَّم فيهم مثل مروان بن الحكم وعمران بن حطان[٤].

عدد الذين تُكُلِّم عنهم بحق وباطل ممن اعتمدهم البخاري ٣٥٥ رجلاً، والذين علق لهم من المُتَكَلَّم فيهم ٧٥ رجلاً، والمجاهيل المختلف فيهم وفي تعيينهم ١٤٨ رجلاً.[٥]

و"قال النووي في كتابه شرح صحيح مسلم (١٦/١): قال أبو عبد الله الحاكم النيسابوري في كتابه "المدخل إلى معرفة المستدرك": عدد من أخرج له البخاري في الجامع الصحيح ولم يخرج له مسلم [يريد أن مسلماً استضعفهم] ٤٣٤ شيخاً، وعدد من احتج بهم مسلم في المسند الصحيح ولم يحتج بهم البخاري في الجامع الصحيح [يريد أن البخاري استضعفهم] ٦٢٥ شيخاً، ومثله ذكره ابن حجر في مقدمة فتح الباري ص ٤٠٣ وما بعدها" الرسالة المنقذة ٤٠.

---

(١) انظر اضواء على السنة المحمدية ص ٣٠٩ لابي ريه وقد عزاه إلى كتاب شروط الائمة الخمسة للحازمي وشرحها (٦٠-٦٣).

(٢) مقدمة فتح الباري ص ٤٨٥.

(٣) مقدمة الفتح ٤٨٥ -٤٨٧.

(٤) مقدمة فتح الباري ٤٨٥ -٤٨٨).

(٥) انظر (هدي الساري، مقدمة فتح الباري ص ٤٠٣ وما بعدها).

ملاحظات أخيرة

تطاول أهل الحديث في نقدهم للإرسال، ثم لا تراهم إلا على ذلك عاكفين وفي طريقه واقفين، فإن علوم الحديث التي هي عندهم أصوله وكتب الجرح والتعديل التي هي قاعدته لا ترى فيها عن المشائخ مسندا إلا الشاذ الشارد والقليل النادر.[١]

اغتفار الإرسال من الصحابي والتشديد على غيرهم بدون أي وجه حق للتفريق في ذلك، قال البراء بن عازب: ما كل الحديث سمعناه من رسول الله، كان يحدثنا أصحابنا عنه، كانت تشغلنا رعاية الإبل. قال محمد زهو في كتابه (الحديث والمحدثون) ص ١٥٨ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه الحاكم... قال الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

إذا تعلق الجرح والنقد بشخصية مؤثرة، جرحها يسبب انهدام جانب كبير في علم الرواية يتم اغتفار ذلك والقفز فوق جميع نظرياتهم وقواعدهم الحديثيه، من ذلك قول يحيى بن معين: لو ارتد عبد الرزاق ما تركنا حديثه[٢]، وقول الذهبي عن عبد الله بن أبي داوود السجستاني: إنه ثقة، رغم أنه نُقل عنه ما يقتضي الكفر، وهو قول ابن أبي داوود في حديث الطير: إن صح حديث الطير فنبوّة النبي باطل[٣]، فاعتذر له الذهبي بقوله: إنما هو كذاب في لهجته.

وقد جاء بها الذهبي تفسيراً لقول أبي داوود السجستاني في ولده عبد الله: كذاب، فقال الذهبي متأولاً: قلتُ لعل قولَ أبيه فيه إن صح أراد الكذب في لهجته!!، لا في الحديث[٤]، ولا يخفاك أن دفاع الذهبي عنه لأنه يمثل ركناً كبيراً لو انهدّ لانهدّ معه جانبٌ كبير من علم الرواية[٥].

وقال السيد محمد بن إبراهيم الوزير -رغم انتصاره الشديد لأهل الحديث في كتابه (نخبة الفكر) التي استدرك بها على نخبة ابن حجر، لما حكى قول من يقبل

---

(١) الرسالة المنقذة بتصرف ص ١٦.
(٢) ميزان الاعتدال ٢/١٢٨.
(٣) سير اعلام النبلاء ١٣/٢٣٢.
(٤) سير اعلام النبلاء ١٣/٢٣١، تذكرة الحفاظ ٢/٧٧٢ برقم ٧٦٨.
(٥) الرسالة المنقذة بتصرف ص ٤٢.

رواية كافر التأويل كالمشبهة والقدرية والمرجئة وفاسق التأويل واحتج له بقوله: "وما يلزم من ردهم من تعطيل علم الحديث والأثر كما يعلم ذلك من بحث عن رجال الصحيحين، مع بلوغ الجهد في تنقية رواتهما" - قال ابن الوزير: "ولعمري ما علينا من بأس إن كان علم الحديث يتعطل باجتناب الكذب على الله وعلى رسوله، وليت شعري أي فائدة أو فضيلة إذًا يكثر به، إذا كان الله عز وجل أخذ علينا الميثاق أن لا نقول على الله إلا الحق، وحرم علينا أن نقول على الله ما لا نعلم؟ وقال عز وجل في الحجة التي آتاها إبراهيم على قومه وفيما آتى ابراهيم ونوحاً وذريتهما من الكتاب والحكم والنبوة: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام: ٨٩]. وهل كلام الذهبي وابن الوزير إلا كقول القائل: إني إن لم أكذب لم أستطع أن أقول، وإن لم أقل لم يؤثر عني شيء! الله المستعان[١].

لم يسلم من أصحاب الحديث الأئمة الأربعة عند أهل السنة.

عن الوليد بن مسلم قال: قال لي مالك بن أنس: أيُذكر أبو حنيفة ببلدكم؟ قلت: نعم، قال: ما ينبغي لبلدكم أن يسكن[٢].

وعن سفيان قال: استتاب أصحاب أبي حنيفة أبا حنيفة مرتين أو ثلاثاً[٣]

يقول ابن عبد البر: وممن طعن عليه وجرحه محمد بن إسماعيل البخاري، فقال في كتابه الضعفاء والمتروكين: أبو حنيفة النعماني..، قال نعيم بن حماد.. سمعنا سفيان الثوري يقول: استتيب أبو حنيفة من الكفر مرتين، وقال نعيم الفزاري: كنت عند سفيان ابن عيينه فجاء نعي أبي حنيفة فقال: كان يهدم الإسلام عروة عروة، وما ولد في الإسلام مولود شر منه، هذا ما ذكره البخاري[٤].

قال ابن عبد البر: وتكلم في مالك أيضاً.. عبد العزيز بن أبي سلمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم و.. وتحامل عليه الشافعي وبعض أصحاب أبي حنيفة في شيء

(١) الرسالة المنقذة بتصرف ص ٤٢-٤٤.
(٢) العلل ومعرفة الرجال: احمد بن حنبل ٢/ ٥٤٧ تحقيق وصي الله عباس وصحح اسناده.
(٣) العلل ومعرفة الرجال وصححه وصي الله عباس ٣/ ٢٣٩.
(٤) الانتقاء ص ١٥٠.

من رأيه حسداً لموضع إمامته، وعابه قوم في إنكاره المسح على الخفين في الحضر والسفر، وفي كلامه في علي وعثمان، وفي فُتياه بإتيان النساء في الأعجاز[١].

قال يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل عن الشافعي: (ليس بثقة).[٢]

وبالجملة لم يسلمْ من لسان المحدثين كبار أئمة أهل السنة ولا حتى المحدثون أنفسهم، ولو أنهم طبقوا قواعدهم حق التطبيق لما سلم من جرحهم إلا النادر الشارد، ولما وصل إلينا شيء من الحديث.

اعترافات متأخرة

الاعتراف بالحق فضيلة، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه، لن تجد حجة على أهل الحديث أشد من حجتهم على أنفسهم، وإليك هذه الاعترافات المتاخرة.

قال الذهبي: وأما المحدثون فغالبهم لا يفهمون، ولا همة لهم في معرفة الحديث ولا في التدين به.. معذور سفيان الثوري فيما يقول: لو كان الحديث خيراً لذهب كما ذهب الخير، صدق والله، وأي خير في حديث مخلوطٍ صحيحه بواهيه أنت لا تفليه ولا تبحث عن ناقليه ولا تدين الله تعالى به... يا الله خلونا فقد بقينا ضحكة لأولي العقول ينظرون إلينا ويقولون هؤلاء هم أهل الحديث[٣].

قال ابن الجوزي: ولولا أني لا أحب ذكر الناس لذكرت من أخبار كبار علمائهم وما خلطوا ما يعتبروا به، ولكنه لا يخفى على المحقق حاله.[٤]

وقال شعبة: كنت إذا رايت رجلاً من أهل الحديث يجيئني أفرح به، فصرت اليوم وليس أبغضَ إليَّ من أن أرى واحداً منهم.

وكان يقول: إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟

---

(١) جامع بيان العلم ٢/١١١٥.
(٢) جامع بيان العلم ٢/١١١٤.
(٣) بيان زغل العلم ص ٦-١١.
(٤) صيد الخاطر ص ١٦٧ - ١٦٨.

وقال لأصحاب الحديث: قوموا عني، مجالسة اليهود والنصارى أحب إليَّ من مجالستكم، إنكم لتصدون عن ذكر الله وعن الصلاة.[1]

وقال عمرو بن الحارث: ما رأيت علماً أشرف ولا أهلاً أسخف من أهل الحديث.

ونظر سفيان إلى بعض أصحاب الحديث فقال: أنتم سخنة عين، لو أدركنا وإياكم عمر بن الخطاب لأوجعَنا ضرباً.

وقال سفيان الثوري: إنَّا في هذا الحديث منذ ستين سنة، وددت أني خرجت منه كفافاً لا عليَّ ولا لي.

وقال مضيرة الضبي: والله لنأا أشد خوفاً منهم -يعني أصحاب الحديث- من الفساق[2].

السنة النبوية عند الاثني عشرية

أما رواية أحاديث النبي في كتب الاثني عشرية، فهي أسوأ حالاً بكثير مما هو عند أهل السنة، والفارق أنهم يتقبلون النقد العلمي السليم لكتبهم ولا يحيطونها بهالة من القداسة كما يعمل أهل السنة، ولذلك لم أعمد في كتابي هذا التفصيل في هذا الموضوع، ولكن سأذكر نقاطاً مهمة:

ذكر الطوسي في مقدمة كتابه (تهذيب الأحكام) وهو من كبار علماء الاثني عشرية: "ذاكرَني بعضُ الأصدقاء أبره الله ممن أوجب حقه علينا بأحاديث أصحابنا أيدهم الله ورحم السلف منهم، وما وقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه، حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا».

ويقول دلدار علي الاثنا عشري في أساس الأصول ص٥١: إن الأحاديث المأثورة عن الأئمة مختلفة جدا، لا يكاد يوجد حديث إلا وبإزائه ما يضاده، حتى صار ذلك سبباً لرجوع بعض الناقصين عن اعتقاد الحق.

(١) الجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور محمود الطحان ٢/٢١٧.
(٢) جميع هذه الاخبار منقولة من جامع بيان العلم الجزء الثاني. ذيل الامالي، ابن علي القال ص ١٠٥.

والحق أن الكتب والمراجع الاثني عشرية مليئة بالأحاديث الخرافية التي تخالف القرآن والعقل السليم، واذا كان علماء الحديث قد وضعوا نظريات وقواعد لم يستطيعوا تطبيقها، فإن بعض غلاة علماء الاثني عشرية قد وضعوا شروطاً للتصحيح تضحك منها الثكالى، ولولا خوف الإطالة لذكرنا وفصّلنا، ولكن نكتفي بهذا القدر.

وختاما

هذا الكتاب ما هو إلا بداية لطريق طويلة أسأل الله أن لا تخرج عن الهدى الذي لا بد أن نتحرك على أساسه، ولمن يريد الحق والهدى الإلهي في هذا العصر بأكمل وأجمل بيان، فعليه بدروس ومحاضرات الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه، ودروس ومحاضرات السيد القائد عبدالملك بدر الدين الحوثي يحفظه الله، فهم أعلام الهدى وورثة الكتاب في هذا العصر، والأمة بأمسّ الحاجة إلى أن تتلقى هدى الله عن طريقهم.

وفي الأخير أسأل الله أن يجمع الأمة الإسلامية على القرآن وأعلامه، وأن ينفع بهذا الكتاب المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، يا رب العالمين.

تم بحمد الله

❖ ❖ ❖

المحتويات

المقدمة ٣

البداية ٥

وفي الطريق: ٨

العقيدة في الله سبحانه ١٠

عقيدة الوهابية في الله سبحانه وتعالى ١٠

روايات التشبيه والتجسيم الموجودة في كتب الاثني عشرية ١٩

عقيدة قرناء القرآن في الله ٢٠

مناقشة الوهابية في التشبيه والتجسيم ٢٧

٣- الابتعاد عن الثقلين و الاختراق اليهودي ٢٧

الجهل بلغة العرب والرواسب الجاهلية: ٢٨

أ) المجاز في القرآن: ٢٨

ب) المجاز في كتب الوهابية ٣٠

الوهابيون يتأولون ولكن ..: ٣١

٢- فساد القلب وضعف خاصية التدبر والتعقل لديهم: ٣٢

قرناء القرآن والتعقل: ٣٣

مناقشة الوهابية في بعض الآيات ٣٤

كلام الإمام زيد في تفسير هذه الآية ٣٧

كلام الإمام القاسم الرسي عليه السلام في معرض رده على المشبهة: ٣٨

العدل الإلهي ٤٥

العدل الإلهي في منظور أهل البيت عليهم السلام ٤٩

تفصيل مسألة العدل الإلهي من منظور قرناء القرءان عليهم السلام ٦١

المجبرة القدرية ٦٢
نحن مجبورون في هذا ٦٣
هنا إرادتنا حرة: ٤٦
مناظرة ٦٩

النبوة والأنبياء ٧٠

عقيدة الوهابية في الأنبياء ٧٠
رسول من رسل الله يفقأ عين ملك الموت ٧٢
سباق موسى والحجر ٧٤

نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعض روايات أهل السنة ٧٦
الأكذوبة الأولى: ما ذبح على النصب، وسب من لايستحق. ٧٦
الأكذوبة الثانية : البول قائما. ٧٧
الأكذوبة الثالثة : رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يُسحر ٧٨
الأكذوبة الرابعة: النبي يقتل نساء وأطفال المشركين. ٧٨
الأكذوبة الخامسة أن النبي يأمر بقتل الأسرى ٧٩
الأكذوبة السادسة : زواج النبي الأكرم من عائشة وهي طفلة ٨٠

روايات مسيئة للأنبياء في كتب الاثني عشرية ٨٠

عقيدة قرناء القرآن في الأنبياء عليهم السلام ٨٣
قصة يوسف عليه السلام: ٨٥

أهل البيت عليهم السلام ٩٠

سنة الله في الهداية: ٩٠
معايير اختيار القائد الأعلى ٩٣
الاصطفاء تكريم للبشرية ٩٦

دوائر الاصطفاء ٩٩

(كتاب الله وسنتي) أم (كتاب الله وعترتي) ١٠٤

مناظرة: ١٠٥

مصادر حديث كتاب الله وعترتي: ١٠٨

دلالة الحديث: ١١٠

من هم أهل البيت في روايات أهل السنة ١١٠

١) أهل البيت في آية التطهير: ١١٠

٢) أهل البيت في آية المباهلة: ١١٢

٣) أهل البيت في آية المودة: ١١٣

(الانتماء إلى الرسول من قبل الأم) ٤١١

خاتمة ١١٧

تنبيه: (خاص بأهل النحو) ٠٢١

أهل البيت عند أهل السنة والجماعة ١٢٢

كلام ابن تيمية عن إجتباء آل الرسل ١٢٣

- ابن تيمية الوجه الآخر ١٢٦

المجتهد عبد الرحمن ابن ملجم قاتل الامام علي ١٢٨

غلاة الاثني عشرية.. وأهل البيت عليهم السلام ١٣٢

جواب الحائري: ٣٣١

(١) تفضيل الائمة الاثني عشر على الانبياء عليهم السلام: ١٣٤

(٢) عصمة الأئمة الاثني عشر ١٣٤

(٣) أشباح الأئمة خارج نطاق الزمان والمكان ١٣٤

(٤) الغلوّ في صفات الأئمة: ١٣٥

عدالة الصحابة ١٣٧

الصدمة ١٣٧

الحدث الأول - سرية أسامة بن زيد- ١٣٩

مناقشة النصوص: ١٤٠

الحدث الثاني - رزية الخميس - ١٤١
* النص الأول: ١٤١
* النص الثاني: ١٤١
* النص الثالث: ١٤١
* النص الرابع: ١٤٢
* النص الأخير: ٢٤١
مناقشة النصوص: ٢٤١

الحدث الثالث - سقيفة بني ساعدة - ١٤٥
قصة السقيفة: ٥٤١

مواقف المعارضة الثابت والمتحول ١٥٠
١- المعارضة الأنصارية: ٠٥١
٢-اعتراض أهل البيت وبعض الصحابة : ١٥٣
٣-دور العباس، ومحاولة الحكم كسر تحالف جبهة الحق: ٧٥١
٤- دور فاطمة الزهراء: ١٥٨
موقف فاطمة عليها السلام من البيعة: ٩٥١
وتستمر معاناة الإمام: ٢٦١
وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام ١٦٤
موقف المجتمع في مكة والمدينة ١٦٦
مواقف بني هاشم ١٧٠
ابن عباس في حواره مع عمر: ٠٧١

الإمام علي بن أبي طالب: الثابت والمتحولات ١٧٤

مناقشة إضافية لنصوص السقيفة وبعض نتائجها ١٧٦
- بيعة أبي بكر كانت فلتة: ٦٧١
الأنصار كانوا أول من دفع ثمن التفريط: ٨٧١
استكمال مناقشة نصوص السقيفة: ٨٧١
- الهاشميون: ٠٨١
العباس والإمام: ٢٨١
متى ظهرت بوادر التخلي؟ ١٨٣

اللامبالاة والبساطة وخطورتها ١٨٥
هل يمكن أن يضل صحابة تربوا على يد نبي الله؟ ٧٨١
النبي في آخر أيامه لا يزال حريصًا على هداية الأمة. ٨٨١
بعد الإنحراف في السقيفة ١٩٠
معاوية بن أبي سفيان ١٩٢
أما عن الابن البار يزيد بن معاوية ١٩٧
منجزات المجتهد يزيد بن معاوية!!! ١٩٧
وقعة الحرة ١٩٨
هل هذه الاختلافات ثمرة بغي أم سوء فهم ١٩٩
«الرؤية القرءانية في تقييم الصحابة» ٢٠٠
مقدمة لا بد منها: ٠٠٢
هل غيرتهم دينية أم سياسية؟ ٠٠٢
أنصار الله ومنهجيتهم القرآنية: ١٠٢
الوهابية يخافون من قراءة التاريخ: ٢٠٢
التفسير الخاطئ ومعاداة التاريخ: ٣٠٢
منهجية صكوك الغفران: ٣٠٢
التلقي العشوائي للدين ونتائجه: ٤٠٢
معنى الصحبة ودلالاتها. ٤٠٢
هل يمكن أن ينقلب الصحابة؟. ٥٠٢
من هو الصحابي وما هو حكمه عند الوهابية: ٧٠٢
أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ٢٠٨
ازدواجية المعايير: ٠١٢
افتراء الوهابية على السيد بدر الدين رحمة الله عليه: ٤١٢
ملاحظة مهمة فيما يتعلق بصاحبه في الغار ٢١٤
فيما يتعلق بنساء النبي صلى الله عليه وآله الطاهرين: ٥١٢
التلميح بالطلاق بشكل تهديدي. ٦١٢

الصحابة عند أئمة أهل البيت (رؤية قرآنية) ٢١٨
الإمام الهادي يحيى بن الحسين تـ ٢٨٩ هـ: ٢١٩
الإمام المرتضى محمد بن الهادي تـ ٣١٠ هـ: ٢١٩
فصلُ العملِ عن الإيمان (الإرجاء) ٢٢٢
أمثلة لروايات الإرجاء عندأهل السنة والاثني عشرية ٢٢٣
القرآن بين السنة والاثني عشرية، وورثة الكتاب ٢٣٧
روايات تحريف القرآن في كتب أهل السنة ٢٣٨
روايات تحريف القرآن في كتب الشيعة الاثني عشرية ٢٤١
أهل البيت عليهم السلام والقرآن ٢٤٢
مقتطفات من مديح القرآن الصغير للإمام القاسم الرّسي: ٢٤٢
وصية الإمام القاسم بالقرآن: ٢٤٢
كلام الإمام القاسم في حفظ الله لكتابه الكريم: ٢٤٢
كلام الإمام الهادي يحيى بن الحسين في حفظ الله كتابه: ٢٤٣
كلام الشهيد القائد حول عظمة القرآن الكريم ٢٤٤
كلام السيد القائد عبدالملك الحوثي عن القرآن الكريم: ٢٤٥
السنة النبوية ٢٤٧
الجمع العشوائي وعلاقة السنة بالتبيين للقرآن ٢٥٠
هل دعا رسول الله إلى الإكثار من الرواية عنه أم لا؟ ٢٥٥
وسائل تصحيح الحديث عند أهل السنة ٢٥٨
عيوب منهج أهل السنة في التصحيح ٢٥٨
أولا: الحكم على أحاديث بالصحة رغم معارضتها لكتاب الله ٢٥٨
ثانيا: الحكم على أحاديث بالصحة رغم معارضتها للقوانين العلمية الثابتة والواقع العلمي المعاش ٢٦٠
ثانيا: رواية الأحاديث المتناقضة ٢٦٢
ثالثا: إضفاء القداسة الزائدة على الصحابة ٢٦٣
١- بعض الصحابة ينقلون آخر الحديث أحياناً ٤٦٢
٢- بعض الصحابة يأخذ عن مخبرٍ وينسب للنبي ٥٦٢

٣- بعض الصحابة يخطئون في النقل ٢٦٧
٤- صحابة مشكوك في روايتهم ٢٦٨
٥- صحابة يروون عن أهل الكتاب ٢٦٩
الجرح والتعديل وأثره السلبي على أخلاقيات اهل السنة السلفية ٢٧٠
حقائق وأرقام تؤكد ما ذهبنا إليه ٢٧٢

أهل البيت وكتبهم ٢٧٤
مسند الإمام زيد بن علي عليه السلام ٢٧٤
ما رواه الإمام القاسم الرسي عليه السلام، ت سنة ٢٤٦ هـ ٢٧٥
ما رواه الإمام الهادي عليه السلام ٢٧٥
أمالي أحمد بن عيسى ٢٧٦
أمالي الإمام أبي طالب ٢٧٦
البخاري ومسلم ٢٧٦
على شرط البخاري ومسلم ٢٧٧
استدراك على البخاري ومسلم ٢٧٨
ملاحظات أخيرة ٢٨٠
لم يسلم من أصحاب الحديث الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ٢٨١
اعترافات متأخرة ٢٨٢

السنة النبوية عند الاثني عشرية ٢٨٣
وختاما ٢٨٤

تم بحمد الله